

منہج ابن کثیر

ح) دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريف، مبارك بن حمد الحامد

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم
والاستفادة منه في العصر الحاضر/ مبارك بن حمد الحامد الشريف - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢ مج

٣٩٢ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٧٧-٥ (مجموعة)

٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٧٩-٩ (٢ ج)

١- ابن كثير، إسماعيل بن عمر ٢- الدعوة الإسلامية ١- العنوان

١٤٣٠/٣٤٩٢

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٣٤٩٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٧٧-٥ (مجموعة)

٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٧٩-٩ (٢ ج)

ساعد على نشره ليباع بسعر التكلفة



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية

SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

- جزاهم الله خيراً -

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

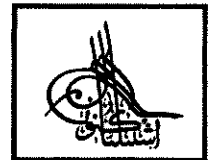
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com



الصندوق الخيري لنشر البحوث والرسائل العلمية
(٣٦)

الدراسات الدعوية
(٢)

منهج ابن كثير

في الدعوة إلى الله
والاستفادة منه في العصر الحاضر

د. مبارك بن محمد الأحامد الشريف^{تأليف}

الجزء الثاني

دار الدعوة الإسلامية
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المطلب الرابع

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالكتب

من أركان الإيمان الستة الإيمان بالكتب، وهي الكتب المنزلة من الله تعالى على أنبيائه ورسله، رحمة للعباد وهداية لهم، لتوصلهم إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة، وقد أكد ابن كثير رحمه الله على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله سبحانه على أنبيائه ورسله، فقال رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿تَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُنزِلَ الْتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ﴾^(١) «يعني نزل عليكم القرآن يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لا شك فيه ولا ريب بل منزل من عند الله عز وجل... وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشّرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به، وبشّرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم، وقوله: ﴿وَأُنزِلَ الْتَّوْرَةُ﴾ أي: على موسى بن عمران ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي: على عيسى بن مريم: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا القرآن هدى للناس أي في زمانهما ﴿وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل، والغبي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيّنات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك»^(٢). والزبور هو الذي أنزله على

(١) سورة آل عمران، الآية [٣].

(٢) التفسير ١/ ٤٢٤.

داود عليه السلام كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾^(١)، قال ابن كثير: «والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام»^(٢).

وقد ختمت الكتب المنزلة بالقرآن الكريم، يقول ابن كثير: «والكتاب وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين»^(٣).

وقد أشار رحمه الله إلى أن جميع الكتب المنزلة - غير القرآن - قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان فقال عند تفسير الآية: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٤) وقال وهب بن منبه: «إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغير منهما حرف، ولكن يضلون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول.

فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات

(١) سورة النساء، الآية [١٦٣].

(٢) التفسير ٧١٤/١.

(٣) المرجع نفسه ٢٥٨/١.

(٤) سورة آل عمران، الآية [٧٨].

كثيرة، ونقصان ووهم فاحش، وهو من باب تفسير المعبر المعرب، وفهم كثير منهم بل أكثرهم وبل جميعهم فاسد، وأما إن عنى كتب الله التي هي كتبه عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء^(١).

فابن كثير رحمه الله من خلال المنهج الحسي يستدل على ما حصل في الكتب السماوية من التحريف والتبديل والتغيير، لأن هناك اختلافاً وتبايناً بين نسخها الموجودة بين الناس مما يدل على أنه دخلها التحريف والتغيير والزيادة والنقصان بخلاف القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأن الله تكفل بحفظه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

وأما ما يخبر به أهل الكتاب مما لا يعلم صدقه ولا كذبه فقد قال ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(٣) «يعني إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً مطلقاً معلقاً على شرط، وهو أن يكون منزلاً لا مبدلاً ولا مؤولاً»^(٤).

وأما التفصيل في القرآن الكريم فقد سبق في فصل اعتماد منهج ابن كثير على الكتاب والسنة فيمكن الرجوع إليه.

(١) التفسير ١/٤٦٢.

(٢) سورة الحجر، الآية [٩].

(٣) انظر سليمان ناصر عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ص ٢٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية [٤٦].

(٥) التفسير ٣/٥١٣.

وينبغي أن يتخصص دعاة من المسلمين في معرفة مواطن التحريف والتبديل الذي حصل في الكتب المقدسة، ليتمكنوا من مناظرة ومجادلة المنصرين والقساوسة وكشف زيفهم وضلالهم كما فعل الداعية أحمد ديدات^(١) رحمه الله.

المطلب الخامس

منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالرسول

النبي : مشتق من النبأ وهو الخبر كما في قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^(٢)، وقيل إن النبي مأخوذ من النبوه، والنباوه وهي الارتفاع، لارتفاع قدره، ولأنه شُرِّفَ على سائر الخلق، فأصله غير مهموز وقيل النبي الطريق، والأنبياء طرق الهدى^(٣).

(١) هو أحمد بن حسين ديدات، ولد في الهند عام ١٩١٨ هـ لأبوين مسلمين، ثم انتقل إلى جنوب أفريقيا وعاش في ديربان، وقد التحق الشيخ أحمد بالدراسة في المركز الإسلامي في ديربان فتعلم القرآن الكريم وعلومه وأحكام الشريعة، وقد تفرغ الشيخ أحمد ديدات للدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات، توفي يوم الإثنين الثامن من أغسطس عام ٢٠٠٥ م. المصدر (موقع الشيخ أحمد ديدات على الشبكة العنكبوتية [http:// www.ahmeddeedat.net](http://www.ahmeddeedat.net)).

(٢) سورة النبأ، الآية [١-٢].

(٣) انظر: الصحاح للجوهري مادة نبأ ٧٤/١، وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد أحمد الأزهرى تحقيق إبراهيم البياري ٤٨٦/١٥ طبعة دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م، ٤٨٦/١٥ والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٨١-٤٨٢، ولسان العرب لابن منظور ١٦٢/١.

والرسول: اسم من أرسلت، وأصل الرسل: الانبعاث على التودة^(١).
ويفرق ابن كثير بين النبي والرسول لأن «مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس»^(٢).

والإيمان بالرسول عليهم السلام واجب من واجبات الإيمان وركن من أركانه، ولذا نجد ابن كثير رحمه الله يقرر هذا الأمر ويؤكدده ويعتبر أن الكفر بواحد منهم هو كفر بهم وإن دعوتهم واحدة - وإن اختلفت شرائعهم - وهي عبادة الله وحده دون سواه، وأنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب، وأن واجبهم ورسالتهم هي البلاغ، وليس هداية الناس، كما أشار رحمه الله إلى صدق الأنبياء واستقامتهم، وعدلهم وتأيد الله لهم بالمعجزات والأدلة الواضحات، وستحدث عن ذلك بإيجاز من خلال النقاط التالية:

[١] وجوب الإيمان بجميع الرسل وأن الكفر بواحد منهم هو كفر بهم جميعاً، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣) «يتوعد تعالى الكافرين به ويرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسوله في الإيمان فأمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادمهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصية، فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد ﷺ، والنصارى آمنوا بالأنبياء

(١) انظر: تهذيب اللغة ٣٩١/١٢، والمفردات ص ١٩٥، ولسان العرب ٢٨٤/١.

(٢) التفسير ٦٠٦/٣.

(٣) سورة النساء، الآية [١٥٢].

وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى ابن عمران، والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت^(١)، ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم. والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو غرض وهوى وعصبية^(٢).

أما أمة محمد ﷺ: «فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٣)»، ولا يفرقون بين أحد من الرسل بل «يصدقون بجميع الأنبياء... ولا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون هادون إلى سبل الخير»^(٤). والداعية

(١) زرادشت بن يوسنسف، وهو الذي تزعم المجوس على أنه نبيهم، وكان زرادشت فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب، من أهل فلسطين، خادما لبعض تلامذة أرميا النبي، وأثير عنده، فخانه فكذب عليه فدعا الله عليه فبرص، فلحق ببلاد أذربيجان فشرع بها دين المجوسية. انظر: تاريخ الطبري ١/٣٨٤.

(٢) التفسير ١/٦٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٨٥].

(٤) التفسير ١/٦٩٨ عند تفسير الآية [٥٣] من سورة النساء.

(٥) المرجع نفسه ١/٤٢٢ عند تفسير الآية [٢٨٥] من سورة البقرة.

المسلم يستفيد من منهج ابن كثير في دعوته للإيمان بجميع الرسل ومنهم محمد ﷺ وفق منهج عقلي واضح وجلي^(١). فينطلق منه في دعوة غير المسلمين من اليهود والنصارى، حيث إن كتبهم أوجبت الإيمان بجميع الرسل الذين سبقوهم كما بشرت بنبوّة محمد ﷺ ودعت إلى الإيمان به، فعدم إيمانهم بمحمد ﷺ وغيره من الأنبياء يقتضي كفرهم بالأنبياء جميعا كما يقتضي ذلك مخالفتهم لما عندهم من الأمر بوجوب الإيمان بجميع الأنبياء ومنهم محمد ﷺ.

[٢] دعوة الأنبياء ودينهم واحد، ولكن شرائعهم مختلفة، فهم جميعا يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعهم واختلفت، قال ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢) «أخبر تعالى أنه بعث رسله بالإسلام، ولكنهم يتفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضها إلى أنها نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تُنسخ أبد الآبدين... ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد، فإن أولاد العلات)^(٣) هم الأخوة من أب واحد وأمهاتهم شتى، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات)^(٤).

(١) انظر محمد البيانوني المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٨ مرجع سابق.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان [١٦٢-١٦٣].

(٣) والأخفاف الذين أمهم واحدة وآباءهم شتى. المعجم الوسيط ص ٢٦٦.

(٤) التفسير ٢/٢٥٢، ٢٥٣. والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري بلفظ: (الأنبياء إخوة لعلات

أمهاتهم شتى ودينهم واحد) كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من

أهلها.. رقم (٣٤٤٣) ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى رقم (٢٣٦٥).

وقال عند تفسير الآية: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١) «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد»^(٢). وهذا يجعل الداعية يركز في دعوته على التوحيد في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب ثم بعد ذلك يدعوهم إلى الفروع الأخرى من الدين.

[٣] صدق الأنبياء واستقامتهم وعدلهم وتأيد الله لهم بالمعجزات والأدلة الواضحات، فابن كثير رحمه الله يؤكد أن الأنبياء عليهم السلام «في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات»^(٣).
ويؤكد رحمه الله صدق الأنبياء من خلال المنهج الحسي^(٤) فذكر رحمه الله أن الله سبحانه «جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والأقوال الفاضلة والأعمال الكاملة والخوارق الباهرة والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاؤوا به من الله عز وجل»^(٥).

(١) سورة المائدة، الآية [٤٨].

(٢) التفسير ٨٦/٢.

(٣) المرجع نفسه ٦٠٨/٣ عند تفسير الآية: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [الاحزاب ٣٩].

(٤) انظر: سليمان ناصر عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢.

(٥) التفسير ٣٨٩/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الفرقان ٢٠].

كما أيدهم سبحانه بالمعجزات و«بعث كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحَّار، لما استيقنوا إنها من عند العظيم الجبار، وانقادوا للإسلام وصاروا من الأبرار، وأما عيسى عليه السلام فبعثه في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة إحياء الجماد أو على مداواة الأكمة^(١) والأبرص، وبعث من هو في قبره رهيناً إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء فأثاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وما ذلك إلا لأن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق أبداً»^(٢).

[٤] الرسل عليهم السلام لا يعلمون الغيب: فهم عليهم السلام لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه يقول سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(٣)، قال ابن كثير: «ولا أعلم الغيب، أي لا أقول لكم إنني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا ما أطلعني عليه»^(٤).

(١) الأكمة الأعمى. المعجم الوسيط ص ٧٩٩.

(٢) التفسير ١/ ٤٤٨-٤٤٩ عند تفسير الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٤) التفسير ٢/ ١٧٢.

ويكرر رحمه الله استخدامه المنهج الحسي^(١) بلفت النظر إلى أن هناك وقائع حصلت لعدد من الأنبياء عليهم السلام تدل على أنهم لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم عليه، فأبراهيم عليه السلام لم يعلم أن ضيوفه من الملائكة، ولذلك ذبح لهم عجلاً حتى أخبروا أنهم ملائكة لا يأكلون الطعام.

وكذلك لوط عليه السلام لم يعلم أن الذي جاءه ملائكة أرسلهم الله فخاف عليهم من قومه أن يفعلوا بهم فاحشتهم المعروفة، لأنهم في صورة شبان حسان فقال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد حتى أخبروه وقالوا «إنا أرسل ريك لن يصلوا إليكم» وكذلك سليمان عليه السلام مع أهل مارب وملكتهم بلقيس.

وكذا يعقوب لم يكن يدري عن خبر ابنه يوسف وغيرهم من الأنبياء، فالغيب لا يعلمه أحد من الخلق كائناً من كان إلا الله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢)، يقول رحمه الله: «أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله فإنه المتفرد بذلك وحده لا شريك له»^(٣)، فإذا كان الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه وأخبرهم به عن طريق الوحي فغيرهم من الناس أولى، كمن يدعي ذلك من الكهان والمنجمين ونحوهم، والواجب على الدعاة إلى الله تبصير الناس بذلك لاسيما وقد انتشر الآن ذهاب بعض المسلمين إلى الكهان والعرافين والسحرة وتصديقهم فيما يقولون من ادعاء علم الغيب ونحوه.

(١) انظر سليمان عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢.

(٢) سورة النمل، الآية [٦٥].

(٣) التفسير ٤٦١/٣.

[٥] الواجب على الرسول البلاغ وليس عليه الهداية، كما قال سبحانه لرسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، يقول ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه إنك يا محمد، لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك وإنما عليكم البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾»^(٢) فمهمة الرسل الدلالة والإرشاد والإنذار والبلاغ أما التوفيق والهداية للخير فهي إلى الله سبحانه؛ لأنه «... من كتب عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم فلا يهمنك ذلك»^(٣).

ولما «كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الشقاوة في الذكر الأول»^(٤). ولما كان عليه السلام يحزن على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، خاطبه ربه مسلماً بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٥)، يقول ابن كثير: «أي: لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل

(١) سورة القصص، الآية [٥٦].

(٢) التفسير ٤٨٧/٣.

(٣) المرجع نفسه ٦١/١.

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٧٢]، التفسير ٦٢/١.

(٥) سورة الكهف، الآية [٦].

فإنما يضل عليها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»^(١).

فمهمة الرسل هي كما قال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) يقول ابن كثير: «يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تجيبوا فستعلمون غير ذلك»^(٣). ومعرفة هذا الأمر وتذكره دائماً في غاية الأهمية للدعاة، فاعتقاد الداعية أن هداية الناس وقبولهم للحق هي من واجبه ومسؤوليته وينسى أن الواجب المناط به هو الدعوة والبلاغ، يجعله يتنازل عن بعض الحق الذي عنده ظاناً أن مفاتيح قلوب الناس بيده، وأن عدم قبول بعضهم لدعوته وصدودهم عنه هي مسؤوليته ونتيجة تقصير منه سيؤاخذ عليه ويحاسب عنه.

المطلب السادس

منهجه في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر

إن منهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر شمل المنهج العاطفي والعقلي والحسي، فيشير رحمه الله إلى أن الإيمان باليوم الآخر يحمل المسلم على فعل الطاعات وترك المعاصي طمعا في ثواب ذلك اليوم وخوفا من عقابه، كما أنه دليل على عدل الله وحكمته حيث يجازي من يستحق العذاب بعدله، ويجازي من يستحق الثواب بفضله وكرمه، وفيه تسلية للمؤمن عما

(١) التفسير ٩٤/٣.

(٢) سورة يس، الآية [١٧].

(٣) التفسير ٦٩٥/٣.

يفوته في هذه الدنيا من المحبوبات والملاذ، ولا يتكدر مما يصيبه من مكروه لأنه يرجو العوض والأجر من الله، فيدعوه ذلك إلى الطمأنينة والراحة وترك التسخط^(١)، وقد أشار رحمه الله إلى تفاصيل اليوم الآخر والبعث والنشور، فذكر الموت والبرزخ وعذاب القبر ونعيمه، وكذلك أشرط الساعة وأحوال القيامة والحساب والميزان والحوض والجنة والنار ورؤية المؤمنين ربهم في الجنة وغير ذلك من أحوال اليوم الآخر التي أخبر بها الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وسنذكر ذلك على سبيل الإيجاز.

[١] فتنة القبر:

من عقيدة أهل السنة الإيمان بفتنة القبر، وهي سؤال الملكين الميت بعد دفنه، عن ربه ودينه ونبيه ﷺ، وقد أورد ابن كثير عدة أحاديث في عذاب القبر ونعيمه ووجوب تصديق ذلك والإيمان به، منها ما ذكره عند تفسير الآية: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)، قال الإمام أحمد.... عن البراء بن عازب^(٣) قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى قبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال:

(١) انظر محمد البيانوني المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٤-٢١٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية [٢٧].

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة ٢٤هـ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال وتوفي زمنه سنة ٧١هـ. الأعلام ٤٦/٢.

(استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً) ثم قال : (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة... قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة... قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه... قال : فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار... الحديث)»^(١).

[٢] أشرط الساعة :

وهي من مقدمات اليوم الآخر وعلامات على قيام الساعة التي هي من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً ، كما قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا

(١) التفسير ٦٥٥/٢ - ٦٥٦ ، والحديث أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ - ٢٨٨ ، وأبو داود كتاب السنة ، باب المسألة في القبر وعذاب القبر رقم (٤٧٥٣) ، والحاكم ٣٧/١ - ٣٩ وصححه .

لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ»^(١)، يقول ابن كثير: «أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى، فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ولهذا قال: ﴿ثُقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ وقال السدي خفيت في السموات والأرض فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل»^(٢).

وقد قسم العلماء أشراط الساعة وعلاماتها إلى علامات صغرى وعلامات كبرى، وقد ذكر ابن كثير بعض هذه العلامات والتي منها بعثة الرسول ﷺ فقال: «فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه بآمارات الساعة وأشراتها وأبان ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله... قال الحسن البصري: بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة، وهو كما قال، ولهذا جاء في أسمائه عليه السلام أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(٣).

وابن كثير رحمه الله قد تعرض لبعض العلامات الصغرى التي وقعت ويمكن أن تتكرر في كتابه البداية والنهاية «الفتن والملاحم» وجعل عنوانها «ذكر أنواع

(١) سورة الأعراف، الآية [١٨٧].

(٢) التفسير ٣٤٠/٢ - ٣٤١.

(٣) المرجع نفسه ٢٠٩/٤ عند تفسير الآية: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا

فَأَنَّهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرْنَاهُمْ﴾ [محمد ١٨].

من الفتن وقعت وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان»^(١)، وهو بهذا يدعو إلى الإيمان باليوم الآخر عن طريق المنهج الحسي^(٢) بلفت النظر إلى ما يشاهده الناس لبعض أشراف الساعة الصغرى.

وأما أشراف الساعة وعلاماتها الكبرى، فهناك أشراف دالة على قربها مثل المهدي المنتظر والمسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج، كما أن هناك أشرافاً دالة على حصولها مثل الدخان وطلوع الشمس من مغربها والنار التي تحشر الناس.

فمن أشراف الساعة الكبرى: المهدي المنتظر، قال ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^(٣): «هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أئمة للناس، والولاية عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد... عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً)^(٤).... وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً وليسوا هم بأئمة الشيعة الأثنى عشر، فإن كثيراً

(١) انظر البداية والنهاية ٦٧/١٩.

(٢) انظر سليمان عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي، ص ٢٢.

(٣) سورة النور، الآية [٥٥].

(٤) متفق عليه، وأخرجه البخاري بلفظ يكون اثنا عشر أميراً، كلهم من قريش كتاب الأحكام، باب حدثنا محمد بن المثنى حدثنا غندر رقم (٧٢٢٢) (٧٢٢٣) ومسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش رقم (١٨٢١).

من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء... ثم لم يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً وقد وجد منهم أربعة على الولاء، وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليه السلام، ثم كانت بعدهم فترة بينهم، ثم وجد منهم ما شاء الله، ثم قد يوجد منهم من بقي في وقت يعلمه الله ومنهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم الرسول ﷺ وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً^(١)، وقال أيضاً بعد ما أورد حديث جابر بن سمرة: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً): «والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وقد استخدم رحمه الله المنهج العقلي^(٣) في الرد على مثل هذه الدعاوى فقال: «وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء»^(٤)، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس

(١) التفسير ٣/٣٧٤-٣٧٥، عند تفسير الآية: [١٢] من سورة المائدة ١٢.

(٢) المرجع نفسه ٤٤/٢ عند تفسير الآية: [١٢] من سورة المائدة.

(٣) انظر محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٨.

(٤) وهو السرداب الذي تزعم الرافضة أن محمد بن حسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي، الحاضر في الأمصار والغائب عن الأبصار، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم!! يقفون بالخیل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم. انظر المنار النيف في الصحيح والضعيف. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ص ١٤٠-١٤١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ.

العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة»^(١).

ومن أشرط الساعة الكبرى المسيح الدجال، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٢): «وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام فهو كذاب أفك دجال ضال مضل، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يَخْتَمُوا بالمسيح الدجال»^(٣).

وكذلك نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للمسيح الدجال، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾^(٤): «ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام»^(٥).

وقال عند تفسير الآية: ﴿وَنَجِّنَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٦) «عن أبي بن كعب في قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قال: الشام...

(١) التفسير ٤٤/٢ عند تفسير الآية: (المائدة ١٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٣٩].

(٣) التفسير ٦٠٧/٣، ٦٠٨.

(٤) سورة غافر، الآية [٥١].

(٥) التفسير ٩٩/٤.

(٦) سورة الأنبياء، الآية [٧١].

وكان يقال هي أرض المحشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال»^(١). وقال أيضاً «ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها»^(٢).

وكذلك من أشراط الساعة يأجوج ومأجوج وهم كما قال ابن كثير: «يعيشون في الأرض فساداً ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين إن الله تعالى يقول: (يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: ما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتا يأجوج ومأجوج)»^(٣).

وردّ رحمه الله على من قال بأن يأجوج ومأجوج خلقوا من آدم وليسوا من حواء فقال: «وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس: (أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من

(١) التفسير ٢٣٣/٣ .

(٢) المرجع نفسه ٢٣٠/١ عند تفسير الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة ١٢٩] .

(٣) المرجع نفسه ١٣٢/٣ عند تفسير الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ [الكهف ٩٣] والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب أن زلزلة الساعة شيء عظيم رقم (٦٥٣٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: (يقول الله لأدم اخرج من بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) رقم (٢٢٢٢).

ذلك ، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء^(١) ، وقد استخدم ابن كثير المنهج العقلي في الرد على ذلك فقال : « وهذا القول غريب جدا لا دليل عليه من عقل ولا نقل ، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم^(٢) » ، وأشار ابن كثير إلى أن الله تعالى سبيلهم ببركة دعاء عيسى بن مريم عليه السلام فقال عند تفسير الآية : ﴿ وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ ﴾^(٣) « يعني بعيسى ... وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح أن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء^(٤) . ويبعث الله في أيامه بأجوج ومأجوج فيهلكهم الله ببركة دعائه^(٥) .

وكذلك طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۝ ﴾^(٦) يقول ابن كثير : « يقول تعالى متوعدا للكافرين والمخالفين رسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله

(١) التفسير ١٣٢/٣ .

(٢) المرجع نفسه ١٣٢/٣ .

(٣) سورة النساء الآية [١٥٩] .

(٤) أخرجه البخاري بلفظ : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ، كتاب المرضى ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء رقم (٥٦٧٨) وأخرجه ابن ماجه بلفظ : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ، كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء رقم (٢٤٣٨) (٢٤٣٩) .

(٥) التفسير ٧١١/١ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية [١٥٨] .

«هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك... وذلك كائن يوم القيامة، أو يأتي بعض آيات ربك» وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل)^(١).

وغير ذلك مما أورده ابن كثير عن علامات الساعة وأشراطها حيث إننا نلاحظ أنه رحمه الله استخدم المناهج الدعوية المختلفة في الدعوة إلى الإيمان بها وتصديقها.

[٢] البعث:

من حكمة الله تعالى أن جعل للناس معاداً يجازيهم فيه على أعمالهم، والإقرار بالبعث داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، وإنكاره كفر بالله عز وجل، فيجب الإيمان بالبعث وأن الله سبحانه يبعث الناس من قبورهم «ويعيدهم بعدما صاروا في قبورهم ربما»^(٢)، ويوجدتهم من العدم»^(٣).

ولقد كذب الذين كفروا بالبعث واستبعدوا الميعاد وقالوا كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمُخْرَجُونَ ﴿٥٠﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤)، فرد الله عليهم وأكذبهم وأمرهم

(١) التفسير ٢/ ٢٤٥. والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب التفسير، باب «لا ينفع نفساً إيمانها» رقم (٤٦٣٥) (٤٦٣٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٧)، وأبو داود كتاب الملاحم باب أمارات الساعة رقم (٤٣١٢) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها رقم (٤٠٦٨).

(٢) الرميم البالي، المعجم الوسيط ص ٣٧٤.

(٣) التفسير ٣/ ٢٦٢، عند تفسير الآية [٧] من سورة الحج.

(٤) سورة النمل، الآيتان (٦٧-٦٨).

أن ينظروا في عاقبة من قبلهم ممن كذب بالرسل وما جاؤوا به من أمر المعاد وغيره فقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «أي: المكذبين بالرسل وما جاؤوا به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته»^(٢).

وقد قرر رحمه الله أن من عدل الله وحكمته أن لا يساوي بين الفجار والأبرار كما قال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٣).

يقول ابن كثير: «أي: لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإن كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين دار أخرى لهذا الجزاء والمواساة»^(٤)، وهكذا نجد ابن كثير رحمه الله استخدم المنهج العقلي في تقرير البعث والدعوة إلى تصديقه والإيمان به.

(١) سورة النمل، الآية [٦٩]

(٢) التفسير ٤٦٢/٣ .

(٣) سورة ص، الآية [٢٨].

(٤) التفسير ٤١/٤ .

[٤] الجنة والنار:

الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله في الدار الآخرة للمؤمنين المتقين المخلصين لله المتبعين لرسله، والنار هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين بالله وعصوا رسله^(١).

والله سبحانه وتعالى كثيرا ما يقرن بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويحذر من النار كما قال سبحانه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(٢).

وقد أورد ابن كثير رحمه الله في مواضع متعددة من تفسيره حال أهل الجنة وحال أهل النار وما منزلة كل منهم وما أعد الله للمؤمنين من المآكل والمشارب والملاذات وللكافرين من الذل والهوان والعذاب الأليم^(٣)، ولا شك أن الفارق بين الحالين كبير فكما يقول ابن كثير «أين هذا من هذا؟ أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق بظلمه، عمن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومناظر ومناكح وملاذ، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٤)، وغيرها من المواطن الكثيرة التي استخدم

(١) انظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ص ٢٦، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية بالملكة العربية السعودية ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الرعد الآية [٣٥].

(٣) انظر مثلاً ٤٩٥/١، ٢٠٥/٢، ٢٥٧/٢، ٢٧٣/٢، ٦٣٧/٢، ٥٤٤/٢، ١٦٤/٣، ٢٠٢/٣، ٣٨٨/٣، ٣٠٥٤٥، ١٢/٤، ١٥٩/٤.

(٤) المرجع نفسه ١٣١/٤ عند تفسير الآية: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُتَفَقِّحِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ لَا يَذَرُونَ﴾ عند تفسير الآية: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُتَفَقِّحِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ لَا يَذَرُونَ﴾ الشورى ٢٢.

فيها ابن كثير المنهج العاطفي للترغيب في الجنة والترهيب من النار^(١).

المطلب السابع

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان، فالله سبحانه قدّر قدرا وهدى الخلائق إليه كما قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣) وقدر الله السابق هو كما قال ابن كثير: «علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها»^(٤).

وقد رد ابن كثير على القدرية نفاة العلم السابق فقال عند تفسير الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٥) يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البريه فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمه.... وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبهم الله، قال الإمام أحمد: عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض

(١) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٠٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية [٢٢].

(٣) سورة القمر، الآية [٤٩].

(٤) التفسير ٣/٣١٦.

(٥) سورة الحديد، الآية [٢٢].

بخمسين ألف سنة»^(١).

فمنهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الإيمان بالقدر هو أنه يقرر رحمه الله علم الله الأشياء وكتابتها قبل كونها وأنه سبحانه قدّر لها قبل وجودها^(٢)، «وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو ولا رب سواه»^(٣). فهو رحمه الله استخدم المنهج العقلي في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والرد على نفاته، ثم نبه رحمه الله أنه «لا يغني حذر من قدر وأن لا ملجأ من الله إلا إليه»^(٤)، فهو بهذا المنهج العاطفي يبين رحمه الله من خلاله أن للإيمان بالقدر ثمرات تعود على المسلم، لا سيما الدعاة إلى الله الذين تعترض لهم في طريق دعوتهم عقبات وصعوبات، وما يلاقونه من فتن وابتلاءات، «فمن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله وقدره هدى الله قلبه وعوضه عما فاتته من الدنيا هدى في قلبه وبقينا صادقا، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، وعن ابن عباس «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» يعني يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»^(٥).

(١) التفسير ٣٧١/٤. والحديث: أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم رقم (٢٦٥٣)، والترمذي، كتاب القدر، باب إعظام أمر الإيمان بالقدر رقم (٢١٥٦).

(٢) انظر التفسير ٣٧٢/٤ عند تفسير الآية: ﴿لَيَكُونَنَّ نَاسًا عَلَىٰ مَا فَاَتَكُم﴾ [الحديد ٢٣].

(٣) المرجع نفسه ٤٢٢/٢ عند تفسير الآية: ﴿أَنزَحَسْبُتَنَ أَنْ تُزَكُّوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ [التوبة ١٦].

(٤) المرجع نفسه ٣٧٠/١ عند تفسير الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة ٢٤٣].

(٥) المرجع نفسه ٤٤٢/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن ١١].

المبحث الثاني

منهجه في الدعوة إلى الشريعة

معنى الشريعة في اللغة: «الشريعة في اللغة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويسقون»^(١)، وفي الصحاح: «والشريعة الطريق الأعظم»^(٢).

وعند ابن كثير الشريعة هي الشرعة «فإن الشرعة هي الشريعة أيضاً، وهي ما يبدأ منه إلى شيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه، وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء»^(٣).

وأما في الاصطلاح: «فالشريعة الإسلامية هي الأحكام التي شرعها الله لعباده سواء كان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بسنة النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»^(٤).

وقد عرف ابن تيمية الشريعة فقال: «والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات...»^(٥).

(١) لسان العرب، مادة «شرع» لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور.

(٢) الصحاح، مادة «شرع» لإسماعيل بن حماد الجوهري.

(٣) التفسير ٨٦/٢.

(٤) المدخل لدراسة الشريعة، عبد الكريم زيدان ص ٣٤، مؤسسة الرسالة الطبعة العاشرة ١٤٠٨ هـ.

(٥) الفتاوى ١٣٤/١٩.

وأما ابن كثير فيرى أن الشريعة هي الأحكام العملية فقط ، وهي الفروع التي اختلفت فيها الرسالات السماوية كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾^(١) في تفسيرها «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان ، باعتبار ما بعث الله رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفق في التوحيد»^(٢).

اهتمام ابن كثير بالشريعة والدعوة إليها : وكما اعتنى ابن كثير رحمه الله بالعقيدة فقد اهتم واعتنى بالشريعة ، ببيانها والدعوة إليها وخطورة مخالفتها ، وأن كل عمل لا يكون خالصا ولا موافقا للشريعة فهو باطل ونحو ذلك مما يجب على الدعاة مراعاته والالتزام به في دعوة الناس ؛ لأنهم يدعون إلى شريعة الله التي أنزلها على رسوله ﷺ وارتضاها دينا لعباده ، فكما أن العمل لأبد فيه من الإخلاص لله فكذلك يجب أن يكون موافقا لشرع الله ، يقول رحمه الله عند تفسير الآية : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣) «أي : عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته ، فتوزن الأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله كائنا من كان»^(٤) ، «فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل»^(٥).

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٨).

(٢) التفسير ٨٦/٢.

(٣) سورة النور ، الآية [٦٣].

(٤) التفسير ٣٨٢/٣ عند تفسير الآية : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور ٦٣].

(٥) المرجع نفسه ٣٩١/٣ عند تفسير الآية : ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِنْ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ [الفرقان ٢٣].

ويؤكد رحمه الله: «أن الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول، فأخباراتها حق وإنشاءاتها عدل»^(١). وقد تعرض رحمه الله في تفسيره إلى فروع الشريعة من العبادات والمعاملات والأخلاق ونحوها ودعا إليها وحث على الالتزام بها، وهذا ما سنشير إليه بإيجاز في المطالب التالية:

- [١] منهجه في الدعوة إلى العبادات.
- [٢] منهجه في الدعوة إلى المعاملات.
- [٣] منهجه في الدعوة إلى الجهاد.
- [٤] منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- [٥] منهجه في الدعوة إلى الأخلاق.

المطلب الأول

منهجه في الدعوة إلى العبادات

عبادة الله هي الغاية من خلق الجن والإنس كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) ومعنى الآية كما قال ابن كثير: «أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم»^(٣).

(١) التفسير ٢٣٩/٤ عند تفسير الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ [الفتح ٢٨].

(٢) سورة الذاريات، الآية [٥٦].

(٣) المرجع نفسه ٢٨٠/٤.

ولقد استخدم ابن كثير رحمه الله في دعوته إلى العبادات المناهج الدعوية المختلفة، فاستخدم العاطفي بالحث على إقامة الصلاة وأنها عماد الدين، وهي راحة للمصلي وقرة عين له، وكذلك الزكاة ففي إخراجها حصول بركة المال وسبب لزيادته ونمائه وحفظه، بينما الصيام فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان وأن مقصوده وغايته تقوى الله سبحانه وتعالى ومخافته، وكذلك الحج بالمبادرة إليه لأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه العظام، ولما اشتمل عليه من منافع الدين والدنيا كما قال سبحانه: ﴿لَيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾^(١).

وكذلك استخدم ابن كثير المنهج العقلي فحينما أشار إلى أهمية صلاة الجماعة استدلل بالآية: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾^(٢) حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، وكثيرا ما تقرن الزكاة بالصلاة في القرآن مما يدل على منزلتها ومكانتها، وفي صيام رمضان إذا أكل الصائم ناسيا أو شرب فإنه يتم صومه لأنه إنما أطعمه الله وسقاه، فهو قياس ضمنني حيث قاس ضمنا الصائم الذي أكل أو شرب ناسيا على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب، وكذلك الحج فإنه لا يجب على المسلم المستطيع إلا مرة واحدة في العمر وذلك كما قال عليه السلام لمن سأل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)^(٣).

(١) سورة الحج، من الآية [٢٨].

(٢) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٤، ط. مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤١٢هـ.

(٣) سورة النساء، الآية [١٠٢].

(٤) انظر: محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٩.

وكذلك استخدم ابن كثير المنهج الحسي، ففي الصلاة نبه إلى استحباب التجميل للصلاة وكذلك الطيب والسواك، وأوصى بأن يقوم إليها المصلي وهو نشيط طليق الوجه غير كسلان، وفي وقت الصيام يحب الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي الحج بيان الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات ونحوها^(١). وسنشير إلى هذا بشيء من الإيجاز.

أولاً: الصلاة: معناها وفضلها وحكمها ومنزلتها:

أصل الصلاة في كلام العرب هي «الدعاء...» ثم استعملت في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة^(٢).

وهي «عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد»^(٣). فيجب على المسلم أن يحافظ عليها وأن يقيمها كما أمره الله سبحانه بقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤)، وإقامتها هو «المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها»^(٥).

وقد نقل رحمه الله كلام الأئمة في حكم تارك الصلاة فقال: «ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو مشهور عن الإمام أحمد وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة لحديث: (بين العبد وبين الشرك ترك

(١) انظر محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٥.

(٢) التفسير ٥٩/١ عند تفسير الآية ٣ من سورة البقرة.

(٣) المرجع نفسه ١٦٢/٣ عند تفسير الآية: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم ٥٩].

(٤) سورة إبراهيم الآية ٣١.

(٥) التفسير ٦٦٥/٢.

الصلاة^(١)، والحديث الآخر: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)^{(٢)(٣)}.

كما أنه أشار إلى أهمية صلاة الجماعة عند تفسير الآية: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾^(٤) فقال: «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب صلاة الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة»^(٥)، وقال عند تفسير الآية: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٦) «أي: كونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة»^(٧).

وقد نبه رحمه الله على بعض الحكم والأسرار والآثار المتعلقة بالصلاة، والتي ظهر من خلالها استخدامه للمنهج العاطفي والعقلي والحسي في الدعوة إلى إقامة الصلاة والمحافظة عليها، فمن هذه الحكم والأسرار:

* كثيرا ما يقرن بين الصلاة وإنفاق الأموال؛ لأن الصلاة حق الله والإنفاق

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم

(٨٢)، والترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة رقم (٦١٨).

(٢) التفسير ١٦٢/٣ والحديث أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة رقم

(٢٦٢١)، وابن ماجه كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩).

(٣) المرجع نفسه ١٦٢/٣.

(٤) سورة النساء، الآية [١٠٢].

(٥) التفسير ١/٦٦٨.

(٦) سورة البقرة، الآية [٤٣].

(٧) التفسير ١/١٠٨.

هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي عليهم^(١).

* المواظبة على الصلاة تحمل صاحبها على ترك الفواحش والآثام^(٢).

* المواظبة على الصلاة سبب في حصول الرزق^(٣).

* إن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة^(٤).

* إن الخشوع في الصلاة يجعلها راحة للمصلي وقرة عين له^(٥).

* التحذير من صفات المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، بل يقوم إليها المصلي وهو طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح^(٦).

* يستحب التجميل عند الصلاة ولا سيما الجمعة والعيد وكذلك الطيب والسواك^(٧).

ولا شك أن الدعاة إلى الله هم أولى الناس بمراعاة ذلك والالتزام به، فقدوتهم في ذلك محمد ﷺ الذي جعلت قرعة عينه في الصلاة، والذي إذا حز به أمر قال أرحنا يا بلال بالصلاة.

(١) انظر المرجع نفسه ٥٨/١ عند تفسير الآية: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة، ٤١٧/١] عند تفسير الآية: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ التوبة ١٥.

(٢) التفسير ٥١١/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت ٤٥].

(٣) انظر المرجع نفسه ٢١٦/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه ١٣٢].

(٤) المرجع نفسه ٢٤٥/١ عند تفسير الآية: [البقرة ١٣٥].

(٥) المرجع نفسه ٣٠٠/٣ عند تفسير الآية: [المؤمنون ٢].

(٦) المرجع نفسه ٦٩٣/١ عند تفسير الآية: [النساء ١٤٢]، المرجع نفسه ٦٦٧/٤ عند تفسير الآية: [الماعون ٤-٥].

(٧) انظر المرجع نفسه ٤٨٢/٢ عند تفسير الآية: [التوبة ١٠٨].

ثانياً: الزكاة: معناها وفضلها وحكمها ومنزلتها:

الزكاة هي النماء والزيادة، فهي مصدر زكا الشيء إذا نما وزاد، وزكا فلان إذا صلح، فالزكاة هي البركة والنماء والطهر والصلاح^(١).

وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها كما يقول ابن كثير: «تطهره من الحرام وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات»^(٢).

وأصل الزكاة والصدقة كان مأموراً به في ابتداء البعثة، وأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة^(٣).

والزكاة واجبة على أهلها، وهي أحد أركان الإسلام وأشرف الأفعال المتعلقة بالخلق، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤): «أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكّيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ، ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد

(١) المعجم الوسيط ص ٣٩٦.

(٢) التفسير ١٠٩/٤ عند تفسير الآية: [فصلت ١٧].

(٣) انظر: المرجع نفسه ١٠٩/٤ عند تفسير الآية [فصلت ١٧].

(٤) سورة التوبة، الآية [١٠٣].

الصديق أبو بكر وسائر الصحابة وقتلوههم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق: (والله لو منعوني عقلاً، وفي رواية عناقاً، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم على منعه) ^(١).
فابن كثير رحمه الله دعا الأغنياء من المسلمين لدفع زكاة أموالهم لمستحقيها من الفقراء وغيرهم، واستخدم المنهج العاطفي والعقلي في ذلك وقد برز من خلال ذكر بعض الأحكام والأسرار والآثار المتعلقة بالزكاة نذكر منها:

* منزلة الزكاة وأنها كثيراً ما يقرن بينها وبين الصلاة ^(٢).

* أن إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة وطاعة الرسول ﷺ سبب في رحمة الله ^(٣).
* أن الله سبحانه هو الذي تولى قسم الصدقات وبيان حكمها ولم يكل ذلك إلى أحد ^(٤).

* فضل الصدقة في وجوه القربات وأثر ذلك على مضاعفة المال وحفظه ^(٥).

* ذم ابن كثير البخل وحذر منه ويبيّن صفات البخيل ^(٦).

* وكما ذم البخل فقد حث على الإنفاق ومدح أهله ^(٧).

(١) التفسير ٤٧٦/٢.

(٢) المرجع نفسه ٢٩٨/٣، عند تفسير الآية: (الحج ٧٨).

(٣) التفسير ٣٧٦/٣، عند تفسير الآية: (النور ٥٦).

(٤) المرجع نفسه ٤٥٠/٢-٤٥٣، عند تفسير الآية: (التوبة ٦٠).

(٥) المرجع نفسه ٢٨٦/١ عند تفسير الآية: (التوبة ١٠٤).

(٦) المرجع نفسه ٦٠٧/١ عند تفسير الآية: (النساء ٣٧).

(٧) المرجع نفسه ٤٠٢/١ عند تفسير الآية: (البقرة ٣٧٤).

* إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها إلا أن يترتب على ذلك مصلحة راجحة^(١).

ثالثاً: الصوم معناه وحكمه وفضله والحكمة من مشروعيته:
الصوم لغة: الإمساك، وفي الاصطلاح هو «الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله»^(٢).

وقد أوجب الله الصوم على هذه الأمة كما أوجبه على من كان قبلها كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

وقد كان المسلمون في ابتداء الإسلام يصومون في كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان^(٤)، وكان أيضاً صيام شهر رمضان على التخيير ثم نسخ لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٥). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، «هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر إن كان مقيماً في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محالة، ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحاً مقيماً أن يفطر ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم»^(٦).

(١) التفسير ٣٩٨/١-٣٩٩ عند تفسير الآية: [١٧١ البقرة].

(٢) المرجع نفسه ٢٦٥/١ عند تفسير الآية: [١٨٣ البقرة].

(٣) سورة البقرة، الآية [١٨٣].

(٤) انظر التفسير ٣٦٦/١.

(٥) سورة البقرة، الآية [١٨٥].

(٦) التفسير ٢٦٩/١.

وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى فضل الصوم والحكمة من مشروعيته فقال عند تفسير الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (٢) «يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وأمرأ لهم بالصيام... لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرذيلة والأخلاق الرديئة...؛ ولأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)» (٣).

وقد نبه رحمه الله على بعض الأحكام والآثار المتعلقة بالصيام نذكر منها:

* أن شهر رمضان الذي أوجب الله فيه الصيام قد امتدحه الله من بين سائر الشهور، واختاره من بينها لإنزال الكتب، ومنها القرآن كما اختصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر (٤).

* ذكر ابن كثير بعض الأحكام المتعلقة بالصيام مثل صيام المريض والمسافر، والشيخ الكبير والحامل والمرضع وأحكام الصيام في السفر، وإباحة الأكل

(١) سورة البقرة الآيتان ١٨٣-١٨٤.

(٢) التفسير ٢٦٩/١ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج) رقم (٥٠٦٥)، ومسلم كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه... رقم (٣٣٩٨).

(٣) المرجع نفسه ٢٦٥/١.

والشرب والجماع من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، حيث كان في أول الإسلام إنما يحل للصائم بعد الفطر الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة^(١)، وإذا نسي فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه. وغير ذلك من المسائل والأحكام المتعلقة بالصوم^(٢). والتي نلاحظ أن ابن كثير رحمه الله استخدم المنهج العاطفي والعقلي والحسي في بيان أحكام الصيام وفضله، وحكمه وأسراره ودعوة المسلمين لها وترغيبهم فيها.

رابعاً: الحج، معناه وحكمه وفضله ومنزلته:

الحج لغة: القصد، وهذا هو الأصل ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك^(٣).

وقد بين ابن كثير رحمه الله فضل الحج وحكمه ومنزلته والمبادرة إليه والإشارة إلى حكمه ومنافعه وأسراره مستخدماً في ذلك الأسلوب العاطفي والعقلي والحسي، فذكر رحمه الله أن الحج واجب على المكلف في العمر مرة واحدة، وهو أحد أركان الإسلام، يقول عند تفسير الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٤)، «هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل بل هي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٥) والأول أظهر، وقد وردت

(١) التفسير ١/٢٦٦-٢٧٣ عند تفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ للبقرة ١٨٣.

(٢) المرجع نفسه ١/٢٧٤-٢٧٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢/٤٢٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٩٧).

(٥) سورة البقرة، آية (١٩٦).

الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع، قال الإمام أحمد: «حدثنا يزيد بن هارون^(١)... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)^(٢).

وقد ذكر رحمه الله في تفسيره بعض الأحكام المتعلقة بالحج منها:

* المراد بالاستطاعة في قوله تعالى^(٣): ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٤).

* أن من أحرم بالحج والعمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما^(٥).

(١) يزيد بن هارون بن رازان بن ثابت السلمي بالولاء، من حفاظ الحديث الثقات، كان واسع العلم بالدين ذكياً كبير الشأن، وكان يقول: «أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر»، توفي سنة ٢٠٦هـ. الأعلام ٨/١٩٠.

(٢) التفسير ١/٤٧، ٤٧٢، والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٨)، ومسلم كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر رقم (١٣٣٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب في الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ رقم (٢٦٧٩).

(٣) المرجع نفسه ١/٤٧٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية [٩٧].

(٥) التفسير ١/٢٨٧ عند تفسير الآية: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة ١٩٦].

* أحكام الإحرام ووقته^(١)، والوقوف بعرفة^(٢)، والإحصار^(٣)، وحكم الطواف والسعي بين الصفا والمروة^(٤)، وحكم من لم يجد الهدي^(٥)، ومن كان به أذى من رأسه^(٦)، وحكم التعجل^(٧) وغيرها من الأحكام التي ذكرها ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

* آداب الحج والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الحاج كاجتناب الرفث والفسوق والجدال^(٨).

* اشتمال الحج على كثير من المنافع الدينية والدنيوية^(٩)، كما قال سبحانه: ﴿لَيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ ففي الحج يحصل التعارف والتآلف بين المسلمين من مختلف الأجناس والبلدان.

وفي الحج يتم التقاء علماء المسلمين ودعاتهم بعضهم ببعض ويكون ذلك فرصة لتشااورهم وتبادلهم الآراء والتجارب في أمور الدعوة ومصالح المسلمين، كما أن من منافع الحج أنه مدرسة تربوية أخلاقية يتعلم فيها الحاج الصبر والصفح والعفو والتواضع والرحمة والشفقة والعطف وغيرها من الأخلاق

(١) التفسير ٢٨٧/١.

(٢) المرجع نفسه ٢٩٣/١.

(٣) المرجع نفسه ٣٠٠/١.

(٤) المرجع نفسه ٢٨٨/١.

(٥) المرجع نفسه ٢٤٨/١.

(٦) المرجع نفسه ٢٩١/١.

(٧) المرجع نفسه ٢٨٩/١.

(٨) المرجع نفسه ٢٩٤/١.

(٩) انظر المرجع نفسه ٢٧٢/٣ عند تفسير الآية: ﴿لَيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج ٢٨].

الفاضلة التي يستفيد بها الحجاج بشكل عام والدعاة إلى الله بشكل خاص ،
فيتحقق المقصود من الحج وهو التزود بخير زاد وهو التقوى كما قال سبحانه :
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾^(١).

المطلب الثاني

منهجه في الدعوة إلى المعاملات

المعاملات: جمع معاملة على وزن مفاعلة وهي مصدر بصيغة (فاعل مفاعلة) التي من معانيها المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر ، وعامله بمعنى تصرف معه في بيع أو نحوه^(٢).

واصطلاحاً: الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا كالبيع والشراء والإجارة^(٣).
والمسلم لا سيما الداعية إلى الله - بأمر الحاجة إلى معرفة أحكام المعاملات التي تكون بينه وبين الناس ، مثل : « البيع والهبة والإجارة وغيرها من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب واللباس ، فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة فحرمت منها ما فيه فساد ، وأوجبت ما لا بد منه وكرهت ما لا ينبغي ، واستحسنت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها^(٤) .

(١) سورة البقرة، الآية [١٩٧].

(٢) انظر: شذى العرف في فن الصرف لأحمد المحلاوي ص ٢٤ ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٢هـ ، والمعجم الوسيط ص ٦٢٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٦٢٨ .

(٤) الفتاوى لابن تيمية ١٨/٢٩ .

والأصل في المعاملات الإباحة وعدم الحظر، فلا يحظر منها إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف شاؤوا ما لم تحرمه الشريعة، بخلاف العبادات التي أوجبها الله أو أحبها، فالأصل فيها الحظر، فلا يثبت الأمر بها إلا بالشرع^(١)، وابن كثير رحمه الله بين في تفسيره كثيرا من هذه الأحكام نذكر بعضها منها على سبيل الإيجاز.

[١] النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، فقال رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٢) «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل، أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا»^(٣).

[٢] النهي عن أكل الربا وأن الله سبحانه وتعالى يحق المرابي ويحرمه بركة ماله كما قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٤)، يقول ابن كثير: «يخبر تعالى أنه يحق الربا، أي يذهب بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما

(١) انظر: الفتاوى ١٦/٢٩-١٨.

(٢) سورة النساء، الآية [٢٩].

(٣) التفسير ٥٨٦/١ وانظر المرجع نفسه ٢٨٠/١ عند تفسير الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ﴾ [البقرة ١٨٨].

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٧٩].

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾^(١) وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، «أي: لا يحب كفور القلب آثم القول والفعل، ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب بالمباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل»^(٢).

[٣] إنظار المعسر حتى يتيسر حاله، فقال رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾^(٣) «يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاءً فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تربني»^(٤).

[٤] الأمر بكتابة البيع إذا كان ديناً لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾^(٥) يقول ابن كثير: «هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ

(١) سورة المائدة، الآية [١٠٠].

(٢) التفسير ٤٠٥/١ - ٤٠٧ وانظر المرجع نفسه ٤٠٣/١ عند تفسير الآية: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ [البقرة ٢٧٥] وكذلك ٤٠٣/١ عند تفسير الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة ٢٧٥] وكذلك ٤٠٤/١.

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٨٠].

(٤) التفسير ٤٠٨/١.

(٥) سورة البقرة، الآية [٢٨٢].

لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها.. فأمرُوا أمر إرشاد لا أمر إيجاب كما ذهب بعضهم^(١).

وغير ذلك من أحكام المعاملات ووسائلها وصورها المتعددة التي ذكرها ابن كثير في تفسيره ويُن الجائز منها والممنوع، مستخدماً المنهج العاطفي في التحذير من أكل أموال الناس بالباطل، وأن ذلك سبب في محق بركة المال أو حرمان صاحبه منه بالكلية، أو المنهج العقلي في إشارته إلى عدم تساوي المال الخبيث والمال الطيب ولو أعجب الإنسان كثرة الخبيث؛ لأنه سيحاسب عليه يوم القيامة ويعذب؛ لأن هذا من باب المقابلة بنقيض المقصود، وكذلك إشارته رحمه الله إلى ختم آية الربا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فالمرابي جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل، وكذلك المنهج الحسي بكتابة البيع إذا كان ديناً.

المطلب الثالث

منهجه في الدعوة إلى الجهاد

تعريف الجهاد لغة: جاء في لسان العرب الجُهد بالفتح المشقة والجُهد بالضم الطاقة، فالجهاد است فراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل^(٢). وفي الاصطلاح: بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان^(٣).

(١) التفسير ٤١٢/١.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (جهد).

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبو بكر مسعود الكاساني

يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(١) «أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم»^(٢).

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في مواضع كثيرة في تفسيره فضل الجهاد ومنزلته وحكمه ومتى فرض والحكمة من مشروعيته وبعض الأحكام المتعلقة به، ونحو ذلك مما سنذكره بإيجاز من خلال النقاط التالية:

[١] فضل الجهاد ومنزلته: للجهاد منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل الأعمال. يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾^(٣) «لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم التاركين للدين القويم، ورغبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة، التي لا تبعد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة، الحسنة مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها ينعم ولا ييأس ويحيا ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»^(٤).

(١) سورة الحج، الآية [١٧٨].

(٢) التفسير ٢٩٧/٣.

(٣) سورة المائدة الآية [٣٥].

(٤) التفسير ٧٠/٢ وانظر: المرجع نفسه ٦٤٧/١ عند تفسير الآية: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء ٨٤]، وكذلك ٥١٢/١ عند تفسير الآية: ﴿وَلَنْ يُفَتِّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران ١٥٧]، وكذلك ٩١/٢، ٥٢٣/١، ٣٦٩/٢، ٣٧٠/١، ٢٨٥/٣. وغيرها من المواضع الكثيرة التي أفاض ابن كثير فيها الحديث عن فضل الجهاد ومنزلته وفضله مستخدما في ذلك الأسلوب والمنهج العاطفي في بيان ذلك وشرحه.

[٢] حكمه ومتى شرع: يرى ابن كثير أن الجهاد واجب على من احتيج إليه فيقول عند تفسير الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(١) «هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام. وقال الزهري الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين وإذا استغيث أن يغيث وإذا استنفر أن ينفر، وإن لم يحتج إليه قعد، قلت ولهذا ثبت في الصحيح: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية)^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)^(٣).

وقد بين رحمه الله الوقت الذي شرع فيه الجهاد فقال عند تفسير الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾^(٤) «كان المؤمنون في ابتداء الإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليتشفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقاً، فلهذا لم يؤمروا بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار منعة وأمصار... وعن ابن عباس رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له رضي الله عنه

(١) سورة البقرة، الآية [٢١٦].

(٢) أخرجه مسلم، بلفظ مات على شعبة من نفاق، كتاب الأمانة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو رثم (١٩١٠).

(٣) التفسير ٣١٣/١ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير رقم (٢٧٨٣)، ومسلم كتاب الأمانة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح رقم (٤٨٣١).

(٤) سورة النساء، الآية [٧٧].

أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ومنعة ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة، قال: (إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم)»^(١).

وهكذا نجد أن ابن كثير استخدم المنهج العقلي في بيانه للحكمة من أن المسلمين لم يؤمروا بالجهاد إلا في المدينة، وأن رسول الله ﷺ منع عبدالرحمن بن عوف وأصحابه من مقاتلة المشركين في مكة لعدم مناسبة ذلك.

واليوم يوجد شباب متحمسون لنصرة دينهم وإعزاز كلمته، وقد غاظهم وآلمهم وقطع قلوبهم ما يحصل للمسلمين في كثير من البلاد الإسلامية من محاربة وقتل وتشريد واحتلال ونهب للثروات، ومعاداة الله ورسوله، فهب هؤلاء الشباب المتحمس الغيور لجهاد أعداء الدين وقتالهم، ولكن الحق أن كثيرا من الممارسات التي يقومون بها لم تستوف شروط الجهاد ومشروعيته، فأحدثت نتائج عكسية على الإسلام والمسلمين، ولم يتحقق في غالب الأحوال المقصود الشرعي من القتال وهو إعلاء كلمة الله ودحر الأعداء وكف شرهم والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

فواجب العلماء والدعاة والمصلحين هو أن يأخذوا بأيدي هؤلاء الشباب ويوجهوهم الوجهة الإسلامية الصحيحة، بأسلوب علمي رشيد، بعيداً عن أساليب الإثارة وإلهاب العواطف وتأجيج الحماس؛ لأن عاقبة ذلك ستكون

(١) التفسير ٦٤٢/١ وانظر المرجع نفسه ٢٨٣/٣، ٢٨٤ عند تفسير الآية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج ١٣٩]، المرجع نفسه ٢١٨/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ [الفتح ٧] وكذلك ٣١٣/١ عند تفسير الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا﴾ [التوبة ١٦].

وخيمة على الشباب أنفسهم وعلى الإسلام والمسلمين.

[٣] ابن كثير وكتابه الاجتهاد في طلب الجهاد: برزت عناية ابن كثير رحمه الله بالجهاد بتأليفه كتاب «الاجتهاد في طلب الجهاد» والذي أشرنا إليه سابقاً عند الحديث عن مشاركة ابن كثير في أحداث عصره^(١)، وفي هذا الكتاب تحدث ابن كثير عن أهمية الجهاد وشرف منزلته وساق النصوص الدالة على ذلك، وتعرض رحمه الله لهجوم الإفرنج على بعض الثغور الإسلامية وتصدى المسلمين لهم ولا سيما "الأمير منجك"^(٢)، وكذلك استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وجهود صلاح الدين الأيوبي^(٣) رحمه الله في جهادهم وطردهم وتخليص بيت المقدس منهم، إضافة إلى استعادته للبلاد الإسلامية الأخرى التي استولى عليها النصارى مثل غزة، والكرك، وكذلك تعرض ابن كثير للصراع بين المسلمين والنصارى حول مدينة "عكا"، ثم ختم كتابه بأن عزة الأمة الإسلامية هو بتمسكها بدينها ويتأييد الله لها^(٤).

(١) راجع ص ٣٢٣ من هذا الكتاب.

(٢) سبق ترجمته ص ٣٢٣.

(٣) هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩هـ، وتم لشيركوه الظفر أخيراً، ولكن شيركوه ما لبث أن مات فاختر العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر، ثم استقل بملك مصر مع اعترافه بسيادة نور الدين، ومرض العاضد مرض موته فقطع صلاح الدين خطبته وخطب للعباسيين وانتهى بذلك أمر الفاطميين وكان أعظم انتصار له على الأفرنج يوم حطين واسترداد عكا ويافا ثم فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ، توفي سنة ٥٨٩هـ. الأعلام ٢٢٠/٨.

(٤) انظر كتاب «الاجتهاد في طلب الجهاد» لابن كثير، حققه وعلق عليه د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ط دار اللواء الثانية ١٤٠٢هـ.

المطلب الرابع

منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تعريف المعروف لغة:

يدور معنى المعروف في اللغة غالباً على ما تعارف عليه الناس وعلموه ولم ينكروه^(١).

وجاء في المعجم الوسيط: «العرف: المعروف وهو خلاف المنكر وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم»^(٢).

وفي الاصطلاح:

المعروف هو كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويشني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل والإيمان به^(٣).

تعريف المنكر لغة:

يدور معنى المنكر في اللغة غالباً على ما جهله الناس واستنكروه وجحدوه^(٤)، والمنكر ضد المعروف يقال: نكر الشيء وأنكره لم يقبله ولم يعترف به لسانه^(٥).

(١) انظر القول المبين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للدكتور/

عبدالعزیز الراجحي، طبعة مطابع المدينة الرياض، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٢) المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وزملائه ص ٥٩٥.

(٣) القول المبين الأظهر ص ١٠.

(٤) المرجع نفسه ص ٨.

(٥) انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢/٢٠٨، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٢٨١.

وفي الاصطلاح:

المنكر هو كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وإنكار وحدانيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته^(١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام أمر الناس وصمام أمن الحياة، لا تستقيم الدنيا ولا تصلح بدونه، وقد اعتنى ابن كثير ببيان هذا الأمر عناية كبيرة، فذكر أهميته وضرورته للأمة، وأنه واجب على كل أحد بحسبه، وأنه سبب للنجاة في الدنيا والآخرة وسبب للتمكين والعزة إلى غير ذلك مما سنذكره بشكل موجز من خلال النقاط التالية:

[١] وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يرى ابن كثير أنه يتعين على الأمة أن تكون فرقة منها متصدية للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما على الأفراد فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد بحسب قدرته وطاقته يقول رحمه الله عن تفسير الآية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) «أي: منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقصود من هذه الآية أن تكون من الأمة منتصبة لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه»^(٣).

[٢] إن الأمر بالمعروف يتعين عليه فعل ما أمر به: وكذا الناهي عن المنكر يتعين عليه ترك ما ينهى عنه، ولكن لا يسقط أحدهما بترك الآخر، فيقول

(١) القول البين الأظهر ص ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٠٤].

(٣) التفسير ٤٧٧/١.

رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) «والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنع ونبههم على خطاياهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرُونَ بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنه كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَتْهَنُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾»^(٢).

فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية، فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه... ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعل المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم»^(٣).

وهذا التصور لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قرره ابن كثير من خلال المنهج العقلي يكون عوناً على تصحيح المفهوم الخاطئ لدى بعض الدعاة وذلك بترك الداعية بعض الأحيان القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن

(١) سورة البقرة، الآية [٤٤].

(٢) سورة هود، الآية [٨٨].

(٣) التفسير ١/ ١٠٩.

المنكر والدعوة إلى الله بحجة تقصيره في عدم فعل ما يأمر به ويدعو إليه وعدم تركه لما ينهى عنه ويحذر عنه، والصحيح كما قال ابن كثير: «إن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة^(١) سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر، وقال مالك وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء»^(٢)، ولكن ابن كثير رحمه الله ينبه ويقول «ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية، لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم»^(٣).

[٣] أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاقبة تركه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة نجاة المجتمع، وتركه سبب في عقوبة الله وسخطه، وقد أشار ابن كثير إلى ذلك عند تفسير الآية: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾^(٤) «يقول تعالى، فهلاً وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيره وفجأة

(١) هو ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء المدني، أبو عثمان إمام حافظ فقيه مجتهد كان بصيرا بالرأي، فلقب ربيعة الرأي، وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الإمام مالك، توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ. الأعلام ١٧/٣.

(٢) التفسير ١٠٩/١.

(٣) المرجع نفسه ١٠٩/١.

(٤) سورة هود، الآية [١١٦].

نقمه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا ثَجِرِينَ﴾^(٢) أي: استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك حتى فاجأهم العذاب»^(٣).

[٤] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الذين يحبهم الله ويحبونه: فهم خلاف المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما قال سبحانه: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(٤)، يقول ابن كثير «يقول تعالى منكرا على المنافقين

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٤].

(٢) سورة هود، الآية [١١٦].

(٣) التفسير ٥٧٢/٢ وانظر ٩٧/٢ عند تفسير الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَوهُمْ الرَّسُولُ﴾ [المائدة ٦٣]،

و ١٠٧/٢ عند تفسير الآية: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة ٧٩]، و ١٠٨/١

والمرجع نفسه ٣٧٤/١ عند تفسير الآية: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِحُّ الَّذِينَ﴾ [الأنفال ٢٥] والمرجع نفسه

٤٣٨/١ عند تفسير الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيُزَيَّمُوا لِقَاءَ رَبِّ فِيهِ﴾ [ال عمران ٢٥] والمرجع نفسه

٤٨٥/١ عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة ١٧٤] والمرجع

نفسه ٣٧٢/١ عن تفسير الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِرُسُلِنا﴾ [البقرة ٢٤٦] وكذلك المرجع

نفسه ٧٤٩/١ عند تفسير الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [ال عمران ١١٠] و ٣١٤/٢

عند تفسير الآية: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْفُ﴾ [الاعراف ١٥٤].

(٤) سورة التوبة، الآية [٦٧].

الذين هم خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف^(١). وقال عند تفسير الآية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٢) «أي: لا يرددهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال أعدائه وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يرددهم عن ذلك راد ولا يصدهم عنه صاد ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل»^(٣).

(١) التفسير ٤٥٥/٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٣) التفسير ٩١/٢ وانظر ١٥٢/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم ٣١]، ١٥٢/١ عند تفسير الآية: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ١٨٣]، ١٦٠/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم ٥٤، ٥٥]، ٥٥٠/٣ عند تفسير الآية: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان ١٧].

وغيرها من المواضع الكثيرة التي قرر فيها ابن كثير أهمية الأمر بالمعروف وفضله ومنزله من خلال المنهج العاطفي.

المبحث الثالث

منهجه في الدعوة إلى الأخلاق

وفيه مطالب:

توطئة:

الخلق هو جماع الدين، وبه وصف الله رسوله الكريم فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، قال ابن كثير: «... عن ابن عباس رضي الله عنه أي وإنك لعلی دین عظیم وهو الإسلام... وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: (كان خلقه القرآن)، تقول كما هو في القرآن... ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امثال القرآن أمراً ونهياً، سجية له وخلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصدق والحلم وكل خلق جميل»^(٢).

وقد اعتنى الإمام ابن كثير بجانب الأخلاق في تفسيره القرآن فكانت له نظرات حول التربية الأخلاقية والتي يمكن إجمالها في السمات التالية:

[١] موافقة الأخلاق الإسلامية للفطرة.

[٢] الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر.

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) التفسير ٤/٤٧٥.

[٣] تميز الأخلاق الإسلامية باليسر والسهولة.

[٤] الأخلاق الإسلامية هي فطرية من وجه ومكتسبة من وجه آخر.

وقبل التحدث عن هذه السمات وعن أهمية الأخلاق عند ابن كثير نود أن نعرف الأخلاق في اللغة والاصطلاح.

تعريف الأخلاق لغة: الأخلاق جمع خلق وأصلها خَلَقَ، قال ابن فارس: «الخاء واللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء والآخر ملامسة الشيء... قال: ومن الأول الخُلُق وهو السجية لأن صاحبه قد قُدِّرَ عليه، ومن الثاني صخرة خَلْفَاء أي ملساء»^(١).

في الاصطلاح: فقد عرفه الغزالي بقوله: «الخلق عبارة عن هيئة راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً»^(٢).

المطلب الأول

أهمية الأخلاق في منظور ابن كثير

اعتنى ابن كثير في تفسيره بالأخلاق كثيراً، ويظهر ذلك في حرصه على توجيه الأمة وعلى تربيتها على الأخلاق الفاضلة، وغرس القيم النبيلة، فهو يدعو دائماً إلى تزكية النفس بطاعة الله وتطهيرها من الأخلاق الدنيئة، وأن يحسن الإنسان العمل في هذه الدنيا لأن جزاء الإحسان في الدار الآخرة، والناس عند ابن كثير

(١) ابن فارس (معجم مقاييس اللغة) ٢/٢١٣، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

(٢) الغزالي (إحياء علوم الدين) ٣/٥٣، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٢هـ.

رجلان: «فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يخرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده»^(١).

ويُذكر رحمه الله بسمات عباد الرحمن وصفاتهم فهم «إذا سفه عليهم الجاهل بالسيء لم يقابلوههم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيد شدة الجهل إلا حِلماً»^(٢).

وابن كثير رحمه الله حينما يُرغب ويحث على الإعراض عن الجاهلين باحتمال الظلم والاعتداء، وعدم المقابلة بالمثل، بل بالعفو والصفح، فهو رحمه الله يستثني من هذه القاعدة عدم الإعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله وعدم الصفح عن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو على المسلمين حرب^(٣)، وكذلك حينما ذكر أن من صفات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هوناً أي بسكينة ووقار من غير استكبار ولا بطر، بين رحمه الله أنه «ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعاً ورياءً، فقد كان سيد ولد آدم إذا مشى كأنما ينحط من صبيب، وكأنما الأرض تطوى له وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روى عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً فقال ما بالك؟

(١) التفسير ٣٤٨/٢، عند تفسير الآية: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[الأعراف ١٩٩].

(٢) المرجع نفسه ٤٠٣/٣-٤٠٤، عند تفسير الآيات ٦٣-٦٧ من سورة الفرقان.

(٣) انظر التفسير ٣٤٨/٢ عند تفسير الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

أمريض أنت؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدرة وأمره يمشي بقوة، وإنما المراد بالهون هاهنا السكينة والوقار^(١)، ويضع رحمه الله قاعدة في مخالطة الناس ويسمّيها الترياق النافع في مخالطة الناس وهي «الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة»^(٢).

ومن مظاهر عناية ابن كثير بالأخلاق الفاضلة أنه حذر من الشيطان وعداوته، إذ أنه ليس كالعدو الإنسي يقبل المصانعة والإحسان حتى يعود إلى الموالاة والمصافاة لأنه «لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه من قبل»^(٣). وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(٤)، «أي هو مبارز بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يفركم به»^(٥).

كما يظهر اهتمام ابن كثير بالأخلاق من خلال دعوته وتأكيده على الالتزام بجملة من الأخلاق الحسنة والصفات النبيلة وتحذيره من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة، فمثلاً نجده رحمه الله يحث على العدل^(٦)، والصدق^(٧)، والصبر^(٨)

(١) التفسير ٤٠٣/٣ عند تفسير الآية ٦٣ من سورة الفرقان.

(٢) المرجع نفسه ٣١٩/٣ عند تفسير الآية ٩٦ من سورة المؤمنون.

(٣) المرجع نفسه ٢٢/١ عند تفسير سورة الفاتحة.

(٤) سورة فاطر ٦.

(٥) التفسير ٦٧١/٣.

(٦) التفسير ١٠/٢، ٢٤١/٢.

(٧) انظر: المرجع نفسه ٦٠٠/٣.

(٨) انظر: المرجع نفسه ٧٣٢/٢، ٥٥٠/٣.

والإخلاص^(١)، وصدق الوعد^(٢)، ونحوها من الأخلاق الحميدة، ويحذر من الأخلاق الذميمة كالغضب^(٣)، والحسد^(٤)، والظن السيئ^(٥)، والنميمة^(٦)، والسخرية^(٧)، واللمز ونحوها من الأخلاق الذميمة، فاهتمام ابن كثير في تفسيره بموضوع الأخلاق واستخدامه المنهج العاطفي في ذلك واضح وجلي وما ذاك إلا لأهمية الأخلاق للمسلم بشكل عام وللداعية إلى الله بشكل خاص فالداعية المتصف بالصبر والصدق والعدل والإخلاص في القول والعمل ونحوها من الأخلاق الفاضلة مع تجنبه في نفس الوقت الأخلاق الذميمة كالحسد والبغي والكيد والخيلاء والغيبة والنميمة والكذب ونحوها، لا شك أنه داعية صادقاً ومؤثراً وهو قدوة صالحة، فأحرى أن يستجاب له ويسمع منه ويرى أثر دعوته على غيره.

المطلب الثاني

سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير

جاء حديث ابن كثير عن سمات التربية الأخلاقية بناء على نظريته وتصوره للإسلام وأوامره ونواهيه، فهو بهذا يختلف عن نظرة غيره للأخلاق ممن يعتبرها

(١) التفسير ١٣٨/٣، ٧١٥/٢-٧١٦.

(٢) انظر المرجع نفسه ١٥٩/٣، ١٩٤/١.

(٣) انظر المرجع نفسه ٣٥٠/٢.

(٤) انظر المرجع نفسه ١٩٢/١، ١٥٨/١، ١٥٩/١، ٢٤٩/٤.

(٥) انظر المرجع نفسه ٢٥٠/٤.

(٦) انظر المرجع نفسه ٢٥٠/٤، ٢٥١/٤.

(٧) انظر المرجع نفسه ٢٤٩/٤.

فضائل إنسانية مدركة بالعقل^(١).

فمن سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير:

[١] موافقة الأخلاق للفطرة: فالنفوس تميل إلى محبة الخير والفضيلة، كما

أنها تنفر من الأخلاق الذميمة، وهذا يعني موافقتها للفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو سبحانه خلق النفوس «سوية مستقيمة على الفطرة كما قال تعالى:

﴿فَأَفْتَوْاْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الَّذِينَ اتَّخَذُواْ أَلْقَامًا﴾^(٢)، وقال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)^(٣).

كما أن الله سبحانه وتعالى مكن للنفس الإنسانية من معرفة أصول الأخلاق

من الخير والشر وهياها لقبول الحق، وسلوك طريق الخير والفضيلة كما قال

سبحانه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٤)، ومعنى ذلك كما قال ابن كثير: «يعني

أرشدنا إلى فجورها وتقواها، أي بين لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن

(١) انظر الأخلاق بين مدرستي السلفيه والفلسفيه للدكتور عبد الله العمرو، ص ١٩٢، مطابع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط ١، ١٤٢٧هـ.

(٢) سورة الروم، الآية [٣٠].

(٣) التفسير ٦١٣/٤ والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري بلفظ: ما من مولود إلا يولد على

الفطرة... كتاب الجنائز، باب إذا أسلم فمات هل يصلى عليه؟ رقم (١٣٥٨)، ومسلم

كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم (٢٦٥٨)، وأبو داود كتاب

السنة، باب في ذراري المشركين رقم (٤٧١٤)، والترمذي كتاب القدر باب ما جاء كل

مولود يولد على الفطرة رقم (٢١٦٨).

(٤) سورة الشمس، الآية [٨].

عباس فألهما فجورها وتقواها، بَيَّن لها الخير والشر.... وقال سعيد بن جبير ألهما الخير والشر»^(١).

فابن كثير رحمه الله يؤكد أن النفوس مجبولة على محبة الأخلاق الفاضلة واستحسانها، وهذه الأخلاق هي التي أمر الله بها وهي المتوافقة مع فطرة الإنسان السوية ولهذا فإنه «ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقَدَّم فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها، قلت: ولهذا جاء في الحديث... إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»^(٢)، وقد نقل ابن كثير أن أكثم بن صيفي^(٣) لما سمع الآيات: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)،

(١) التفسير ٦١٣/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس ٧].

(٢) المرجع نفسه ٧٢٠/٢ عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل ٩٠]، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ أن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها ١٣١/٣ رقم (٢٨٩٣)، طبعة مكتبة بالرياض بدون تاريخ، ومعنى سفاسفها أي رديثها وحقيرها، انظر المعجم الوسيط ص ٤٣٣.

(٣) هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق ولم ير النبي ﷺ، من كلامه من فسدت بطائته كان كالغاص بالماء، من مأمته يؤتى الخذر، ويل للشجي من الخلي، مات سنة ٩هـ (الأعلام ٦/٢).

(٤) سورة النحل، آية [٩٠].

قال: إني أراه - يعني محمداً ﷺ - يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناباً^(١)، ومما لا شك فيه أن انطلاق الداعية إلى الله من هذا التصور للأخلاق يشجعه إلى أن يتحمس في دعوته وأن يحرص دائماً على توجيه الناس وإرشادهم ودعوتهم للخير والفضيلة؛ لأنه موقن بأن الخير أصيل في نفوسهم وأن ما يدعوهم إليه من الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة هي متوافقة مع فطرهم السليمة ونفوسهم السوية المستقيمة.

[٢] الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر: من سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير أن الأخلاق مصدرها من عند الله تعالى سواء كانت هذه الأخلاق مما أثبتها الشارع ابتداءً أو كانت من الأخلاق التي أقرها ورضيها مما تعارف عليها الناس قبل الإسلام، فالله سبحانه يأمر عباده أن يتصفوا ويلتزموا ويتحلوا بالأخلاق الفضيلة وينهاهم عن الأخلاق الرذيلة، كما قال سبحانه في سورة الإسراء بعدما أمر بجملة من الأخلاق النبيلة ونهى سبحانه عن بعض الأخلاق الرذيلة ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾^(٢).

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيهاك عنه من الصفات الرذيلة، مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس»^(٣). وكما قال سبحانه في سورة النور بعد أمره ببعض الأخلاق الحميدة ونهيه عن بعض الأخلاق الرديئة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).

(١) التفسير ٧٢٠/٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية [٣٩].

(٣) التفسير ٥٤/٣.

(٤) سورة النور، الآية [٣١].

يقول ابن كثير «أي افعلوا ما أمركم الله به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة»^(١). وهكذا فالأخلاق الإسلامية ربانية المصدر لأن الله هو الذي شرعها وأقرها وأمر عباده بالالتزام بها، فهو سبحانه «يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان... ويأمر بصلة الأرحام»^(٢) كما «يأمر عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات... وترك المنكرات... وبنهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على الإثم والمحرم»^(٣).

وهو سبحانه الذي يُوفِّق عباده للخير ويزكي نفوسهم للبر كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، قال ابن كثير: «أي: لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس شيركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا»^(٥).

فالأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الداعية المسلم هي الأخلاق الإسلامية التي منبعها الإسلام ومصدرها القرآن، فهي أخلاق ثابتة أصيلة لا تتغير ولا تبدل فالأخلاق الحسنة هي الأخلاق الحسنة وهي أخلاق فضيلة في كل حال

(١) التفسير ٣/٣٥٧.

(٢) التفسير ٢/٧١٩ عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل ١٩٠].

(٣) المرجع نفسه ٢/١٠ عند تفسير الآية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة ٢].

(٤) سورة النور، الآية [٢١].

(٥) التفسير ٣/٣٤٤.

وفي كل زمان ومكان، والأخلاق المذمومة هي أخلاق مذمومة وهي أخلاق رذيلة في كل حال وفي كل زمان ومكان فهي لا تتغير؛ لأنها تعبدية تعتمد على الحق وابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى^(١).

فالأخلاق الإسلامية ليست أخلاقاً مادية ودينية تدور مع المنافع والمصالح والأهواء والأغراض الشخصية حيث دارت كما هو الحال في غير الأخلاق الإسلامية مما يجعلها مضطربة متذبذبة، فالإحسان إلى الوالدين وبرهما مثلاً من أفضل الأخلاق وأسمائها عند كل مسلم بخلاف غيره الذي يربط أصالة ذلك الخلق ونبله بالمصلحة العائدة عليه من التحلي بذلك الخلق، وليس لكونه أمراً تعبدياً أوجبه الله سبحانه وتعالى وحثّ عليه ورغب فيه.

[٣] تميز الأخلاق الإسلامية باليسر والسهولة: وهذه السمة لها أثر كبير في تقبل الأخلاق والأخذ بها، ومن الأمثلة عليها مراعاة ابن كثير للتوازن والاختلافات بين الناس ومعاملتهم بما يتناسب مع منازلهم وأقدارهم واختلاف مراتبهم ومستوياتهم، فيذكر رحمه الله أن الله سبحانه «قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة

(١) ومن هنا يتضح الفرق في السلوك التربوي بين التربية الإسلامية وغيرها، سواء كانت شرعية اشتراكية أو غربية علمانية، حيث لا تعتبر الأخلاق شيئاً يذكر - في جملتها - فالمفكرات والرذائل والفواحش التي تابها الفطرة الإنسانية السليمة أصبحت لا تعد شائنة ولا مرتكبها منبوذاً وأسما الشذوذ الجنسي بالثلثية، فلا يقال هذا شاذ جنسياً بل يقال «مثلي»، حتى تتوارى الكلمات المرفوضة ويحل محلها هذا المفهوم الغامض فتتسرب من خلاله الفاحشة والمخادار الأخلاق. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب لمحمد زين هادي العرماني ص ١٢٦-١٢٧.

والباطنة»^(١)، ونبه أيضاً رحمه الله على «اختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جُبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة»^(٢)، وبناء على ذلك فإن ابن كثير يوجه الداعية المصلح أن يأخذ ما عفا من أخلاق الناس وأعمالهم كما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾^(٣)، فيقول رحمه الله: «عن مجاهد في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس، وقال هشام بن عمرو عن أبيه أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، وفي رواية خذ ما عفا لك من أخلاقهم»^(٤).

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره ابن كثير من أنه ينبغي أن يراعي الداعية والمعلم التفريق في أسلوب معاملة الجاهل ودعوته وتعلمه عن المنسوب للعلم، فعندما أورد رحمه الله قصة الصديق مع الأعرابي الذي جاءه في الحج وقد قتل صيدا وهو محرم، فسأل الصديق عن جزاء ذلك، فشاور الصديق أبي بن كعب، فقال الأعرابي أتيتك وأنت خليفة رسول الله أسألك فإذا أنت تسأل غيرك، فقال أبو بكر ﷺ وما تنكر؟ يقول الله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٥)، فشاورت صاحبي حتى إذا اتفقنا على أمر أمرناك به، فقال ابن

(١) التفسير ١٥٠/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا لِّبَنِيهِمْ مُّعِشَتِهِمْ﴾ [الزخرف ١٣٢].

(٢) المرجع نفسه ٢٧٦/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] [الذاريات ٢٠-٢١].

(٣) سورة الأعراف، الآية [١٩٩].

(٤) التفسير ٣٤٨/٢.

(٥) سورة المائدة، الآية [٩٥].

كثير رحمه الله معلقاً على هذه الحادثة «فبين له الصديق الحكم برفق وتؤده لما رآه أعرابيا جاهلا وإنما دواء الجهل التعليم»^(١) وهذا الأسلوب الذي ذكره ابن كثير وهو مراعاة حال الجاهل والرفق في دعوته وتعليمه هو الأسلوب المناسب الذي ينبغي أن يسلكه الدعاة مع الجهال وعوام الناس.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره ابن كثير في كيفية أسلوب التعامل مع الزعماء والسلاطين وهو أن يكون الخطاب بالقول اللين كما قال سبحانه لموسى وهارون حينما أرسلهما لفرعون: ﴿آذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾^(٢)، قال ابن كثير «هذه آية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين.. ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»^(٣).

فابن كثير رحمه الله يوجه الدعاة والمصلحين إلى فائدة هذا الأسلوب حيث إنه أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع بخلاف الأساليب التي يغلب عليها طابع العنف والمواجهة والتهيج والإثارة مما يكون له أثر سيء عكسي على الدعوة والدعاة.

[٤] الأخلاق الإسلامية فطرية وجبلية من وجه ومكتسبة من وجه آخر: من سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير: أن الأخلاق الإسلامية فطرية في الإنسان بمعنى أنه مجبول عليها، فهي فطرية وجبلية من وجه ومكتسبة من وجه آخر، فالحلم بالتحلم والعلم بالتعلم كما قال عليه الصلاة والسلام^(٤)، وكان

(١) التفسير ١٢٨/٢ عند تفسير الآية [٩٥ من سورة المائدة].

(٢) سورة طه، الآيتان [٤٣-٤٤].

(٣) التفسير ١٩٥/٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، رقم (٦٧).

من دعائه ﷺ : (اللهم اهْدني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وجنّبي أسوأ الأعمال وأسوأ الأخلاق لا يمنّيني عنها إلا أنت)^(١). وقال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس : (إن فيك لختين يجبهما الله : الحلم والأناة) ، فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال : (بل جبلك الله عليهما) ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يجبهما الله ورسوله^(٢). وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم)^(٣).

يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿سَرِيهَمَ أَيْنَتَنَا فِي آفَاقٍ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤) ، «المراد بذلك ما الإنسان... مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح»^(٥). ويقول عند تفسير الآية : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾^(٦) : «يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة»^(٧).. ويمثّل ابن كثير على بعض الأخلاق الجبلية بالشجاعة والجبن فيذكر «أن الشجاعة والجبن غرائز تكون في

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل رقم (١٨١٢).

(٢) أخرجه مسلم بلفظ : (إن فيك لختين يجبهما الله الحلم والأناة) ، كتاب الإيمان ، باب

الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين رثم (١١٧) (١١٨).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب الإيمان ٣٣/١ ، طبعة دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ.

(٤) سورة فصلت ، الآية [٥٣].

(٥) التفسير ٤/٦٢٣.

(٦) سورة المعارج ، الآية [١٩].

(٧) التفسير ٤/٤٩٧.

الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان عن أمه»^(١). فالحاصل أن الأخلاق فطرية ومجبولة عليها الإنسان من وجه وهي من وجه آخر مكتسبة يكتسبها الإنسان بمجاهدة نفسه وتزكيتها كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا^(٣). يقول ابن كثير: «قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل»^(٤)، وكما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٥) يقول ابن كثير: «أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزله الله على الرسول ﷺ»^(٥)

وابن كثير رحمه الله يرى أن الأخلاق التي يكتسبها الإنسان ويتحلى بها ما هي إلا ثمرة من ثمرات التقوى، وأثر من آثار طاعة الله وعبادته واتباع رسوله ﷺ، فالصوم مثلاً يورث «زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرذيلة والأخلاق الرديئة»^(٦) وكذلك اتباع الرسول ﷺ يورث زكاة النفس وطهارتها، كما قال سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾^(٧).

(١) المرجع نفسه ٣٨٦/١ عند تفسير الآية: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة ١٢٥٦].

(٢) سورة الشمس، الآية [٩-١٠].

(٣) التفسير ٦١٣/٤.

(٤) سورة الأعلى، الآية [١٤].

(٥) التفسير ٥٩٣/٤.

(٦) المرجع نفسه ٢٦٥/١ عند تفسير الآية: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة ١٨٣].

(٧) سورة البقرة، الآية [١٥١].

قال ابن كثير: «يُذَكَّرُ تعالى عباده المؤمنين ما أنعم عليهم من بعثة الرسول ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبینات ویزکیهم، أي يطهرهم من رذائل الأخلاق وندس النفوس وأفعال الجاهلية»^(١).

فالواجب على المسلم بشكل عام والداعية إلى الله بشكل خاص أن يروض نفسه على الأخلاق الحسنة حتى تعتادها وتكون ممارستها عفوية بدون تكلف ولا تصنع، وهذا بلا شك يحتاج إلى مجاهدة ومثابرة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وكما قال عليه السلام: (ومن يتعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)^(٣).

(١) التفسير ١/ ٢٤٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٦٩].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى رقم (١٤٢٧).

الفصل الثاني

منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو

ويحتوي توطئة ومبحثين:

المبحث الأول: منهجه في دعوة المسلمين.

المبحث الثاني: منهجه في دعوة غير المسلمين.

1891. 1892. 1893. 1894. 1895. 1896. 1897. 1898. 1899. 1900.

1901. 1902. 1903. 1904. 1905. 1906. 1907. 1908. 1909. 1910.

1911. 1912. 1913. 1914. 1915. 1916. 1917. 1918. 1919. 1920.

1921. 1922. 1923. 1924. 1925. 1926. 1927. 1928. 1929. 1930.

1931. 1932. 1933. 1934. 1935. 1936. 1937. 1938. 1939. 1940.

1941. 1942. 1943. 1944. 1945. 1946. 1947. 1948. 1949. 1950.

1951. 1952. 1953. 1954. 1955. 1956. 1957. 1958. 1959. 1960.

1961. 1962. 1963. 1964. 1965. 1966. 1967. 1968. 1969. 1970.

1971. 1972. 1973. 1974. 1975. 1976. 1977. 1978. 1979. 1980.

1981. 1982. 1983. 1984. 1985. 1986. 1987. 1988. 1989. 1990.

1991. 1992. 1993. 1994. 1995. 1996. 1997. 1998. 1999. 2000.

2001. 2002. 2003. 2004. 2005. 2006. 2007. 2008. 2009. 2010.

2011. 2012. 2013. 2014. 2015. 2016. 2017. 2018. 2019. 2020.

2021. 2022. 2023. 2024. 2025. 2026. 2027. 2028. 2029. 2030.

2031. 2032. 2033. 2034. 2035. 2036. 2037. 2038. 2039. 2040.

2041. 2042. 2043. 2044. 2045. 2046. 2047. 2048. 2049. 2050.

2051. 2052. 2053. 2054. 2055. 2056. 2057. 2058. 2059. 2060.

2061. 2062. 2063. 2064. 2065. 2066. 2067. 2068. 2069. 2070.

2071. 2072. 2073. 2074. 2075. 2076. 2077. 2078. 2079. 2080.

2081. 2082. 2083. 2084. 2085. 2086. 2087. 2088. 2089. 2090.

2091. 2092. 2093. 2094. 2095. 2096. 2097. 2098. 2099. 2100.

توطئة

رسالة محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة، فلا غرو أن تكون عامة للعالمين، وكافة للناس أجمعين لأن الله سبحانه وتعالى لن يبعث نبياً بعد محمد ﷺ كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١)، قال ابن كثير: «فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى»^(٢)، فإذن رسالته ﷺ عامة للناس جميعاً كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي... وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة»^(٤).

وعلى هذا فالدعاة إلى الله مأمورون بدعوة الناس جميعاً؛ لأن قدوتهم في ذلك نبيهم محمد ﷺ كما قال ابن كثير: «أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً»^(٥).

وكذلك صحبه الكرام ومن سار على منهجهم واقتفى أثرهم من العلماء والدعاة والمصلحين، وابن كثير رحمه الله من أولئك الأئمة الأعلام والمصلحين العظام الذي تربى في مدرسة الإمام ابن تيمية رحمه الله، ثم إن العصر الذي

(١) سورة الأحزاب، الآية [٤٠].

(٢) التفسير ٦٠٦/٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية [١٥٨].

(٤) التفسير ٣٢١/٢.

(٥) المرجع نفسه ٥٥٥/٤ عند تفسير الآية: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَفْتَى ﴿۝﴾ فَأَن ت لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: ٥-١٦].

عاش فيه كلُّ من ابن تيمية وابن كثير مشابه إلى حد كبير لحال عصرنا اليوم في تفرق المسلمين واختلافهم، وتكالب الأعداء عليهم، وانتشار البدع والمنكرات بين كثير منهم، لذلك فالدعاة إلى الله اليوم هم بأمس الحاجة لمعرفة منهج ابن كثير في دعوته للناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وسواء كانوا من عامة الناس أو من العلماء والولاة أو من أهل البدع والمنكرات، وهذا ما سنتحدث عنه في هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول

منهجه في دعوة المسلمين

مر معنا في خصائص منهج الدعوة إلى الله عند ابن كثير شمول منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإسلام، فقد اعتنى في دعوته بالعقيدة والشريعة والعبادة وكذا قضايا المجتمع وأحداثه ودعوة الطوائف والفرق ودعوة المرأة ونحوهم.

وفي هذا المبحث ستعرض لدعوته المسلمين سواء كانوا من عامة الناس أو من العلماء والولاة ومن أهل البدع والمنكرات والنفاق. من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

منهجه في دعوة عامة الناس

عامة الناس هم أكثر أصناف المدعوين من المسلمين فهم الأغلبية من الناس حيث إن منهم الفقراء والضعفاء ونحوهم ممن يعمل في أنواع الحرف وسائر المهن.

ومنهم كما يعبر عنهم ابن كثير بالهمج والرعاع الذين هم أتباع كل ناعق^(١) ومنهم الشباب والأطفال والنساء.

ويغلب على هذا الصنف من الناس أنهم أسرع استجابة من غيرهم للخير وقبولاً للحق.

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٨/١٤٠ في أحداث سنة ٧١٤هـ.

وهذا راجع إلى سلامة فطرهم وأصالة الخير في نفوسهم ويمكن تصنيفهم من حيث قوة التزامهم للإسلام وضعفه ومن حيث معرفتهم للإسلام وجهله إلى ثلاثة أقسام:

[١] ظالم لنفسه.

[٢] مقتصد.

[٣] سابق بالخيرات^(١).

كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢) فالظالم لنفسه هو: «المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات»^(٣)، والمقتصد هو «المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل المكروهات»^(٤). والسابق بالخيرات هو «الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات»^(٥). وعلى ضوء تعريف ابن كثير لهذه الأصناف فإن منهجه في دعوة عامة الناس تتلخص في النقاط التالية:

(١) انظر المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البياتوي ص ١٧٤-١٧٥ طبعة مؤسسة الرسالة ط الاولى ١٤١٢.

(٢) سورة فاطر، الآية [٣٢].

(٣) التفسير ٦٨٠/٣.

(٤) المرجع نفسه ٦٨٠/٣.

(٥) المرجع نفسه ٦٨٠/٣.

[١١] القيام بدعوة كل صنف حسب حاله وموقفه من الاستجابة إلى الحق والالتزام به ، فالسابق إلى الخيرات والمستقيم على الطاعة تكون دعوته بأن يكثّر من الطاعات ويزداد من الخيرات كما قال سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) ، يقول ابن كثير : «أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه ، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه ، فعيّاذ بالله من خلاف ذلك»^(٢).

يقول سبحانه : ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٣) ، يقول ابن كثير : «يأمر عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقديره وتثبيته والاستمرار عليه»^(٤).

والظالم لنفسه بالحرص والمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه والإقلاع عن المعاصي والآثام كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^(٥) ، يقول ابن كثير : «أي : كل من تاب إليّ تبت عليه من أي

(١) سورة آل عمران ، الآية [١٠٢].

(٢) التفسير ٤٧٥/١.

(٣) سورة النساء ، الآية [١٣٦].

(٤) التفسير ٦٩٠/١.

(٥) سورة طه ، الآية [٢٢].

ذنب كان... وقوله ثم اهتدى أي لزم الإسلام حتى يموت»^(١).

وأما المقتصد فيكون بدعوته إلى الثبات على الطاعة وتجنب المعصية، وأن يترقى بحالة إلى حال المتقين السابقين بالخيرات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر، أنهم: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أي: أصابهم ﴿طَئِفٌ﴾ منهم من فسرهم بالهم بالذنب ومنهم من فسرهم بإصابة الذنب وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أي: عقاب الله وجزيل ثوابه ووعدته ووعيده فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه»^(٣).

فالدعاة إلى الله عليهم أن يستفيدوا من هذا التصنيف وأن يستخدموا المنهج العاطفي في الحرص على دعوة الناس والمنهج العقلي في مراعاة أحوالهم ودعوة كل صنف حسب حاله.

[٢] من الأمور التي يحرص عليها ابن كثير مع المدعوين تذكيرهم بفائدة صحة الأخيار وتحذيرهم من دعاة السوء والأشرار فيقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، «والمراد بهذا كل فرد من آحاد

(١) التفسير ٢٠٤/٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية [٢٠١].

(٣) التفسير ٣٥٠/٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية [٦٨].

الأمة أن لا يجلسوا مع المكذبين الذين يُحرِّفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فإذا جلس أحد منهم ناسياً ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى﴾ أي: بعد التذكر^(١). ويقول عند تفسير الآية: ﴿قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾^(٢) «هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى الله عز وجل، كمثّل رجل ضل عن الطريق إذ ناداه مناد: "يا فلان بن فلان هلم إلى الطريق"، وله أصحاب يدعونه: "يا فلان هلم إلى الطريق"، فإذا اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوهُ إلى الهدى اهتدى إلى الطريق»^(٣). وقد لفت رحمه الله النظر إلى فائدة صحبة الأخيار في قصة أهل الكهف الذين صحبهم كلبهم لما خرجوا إلى الغار فقال: «وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذه فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكراً وخبر وشأن»^(٤).

[٣] دعوة ابن كثير للمرأة والشباب والأطفال؛ فمن أصناف المدعوين من عامة الناس النساء والشباب والأطفال وقد اعتنى ابن كثير بدعوتهم وتوجيههم، فحرص على بيان طبيعة المرأة وعلاقتها بالرجل وتكريم الإسلام لها، وإعطائها حقوقها وصيانتها من التبرج والسفور والاختلاط، ومنع السبل المؤدية إلى فتنها وإيذائها، ونحو ذلك مما ذكرناه مفصلاً عند الحديث عن شمول

(١) التفسير ١٨٤/٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣١).

(٣) التفسير ١٨٥/٢.

(٤) المرجع نفسه ٩٨/٣.

دعوة ابن كثير للمرأة^(١).

وأما الشباب فهم عند ابن كثير يختلفون عن غيرهم من أصناف المدعوين في سرعة الاستجابة للدعوة وتقبل الخير لأن الشباب في نظر ابن كثير «أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وعسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابا، وأما المشائخ من قريش فعاتمهم بقوا على دينهم ولم يُسلم منهم إلا القليل»^(٢)، ولذلك اعتنى ابن كثير في تفسيره بدعوة الشباب وتوجيههم وذكر مواقفهم الإيمانية، وسيرهم البطولية، وتفانيهم في البذل والتضحية، كما حرص على نصحتهم وتوجيههم، ويُن لهم طبيعة المرحلة التي يعيشونها وهي مرحلة الشباب وما فيها من العثرات والزلات وحذرهم من ذلك، حيث أورد كلام عمر رضي الله عنه للشاب قبيصة بن جابر حينما قال له: «يا قبيصة بن جابر إني أراك شاب السن فصيح الصدر بين اللسان وإن الشاب فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء فإياك وعثرات الشباب»^(٣).

ومن المواقف الجميلة التي ذكرها ابن كثير في تفسيره عن الشباب قصة إسماعيل عليه السلام مع أبيه إبراهيم عليهما السلام لما أمره الله بذبحه فلم يتردد ولم يتلکأ بل قال: «قَالَ يَتَابِعْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ»^{(٤)(٥)}،

(١) انظر ص ٣٣٠ من هذا الكتاب.

(٢) التفسير ٩٦/٣ عند تفسير الآية: «إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ أَمْتُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى» [الكهف ١١٣].

(٣) المرجع نفسه ١٢٨/٢.

(٤) سورة الصافات، الآية [١٠٢].

(٥) التفسير ٢٠/٤.

وكذلك قصة شباب أهل الكهف حينما «توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه»^(١).

وكذلك قصة عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول رضي الله عنه لما وقف عند مدخل المدينة ومنع أباه من الدخول إليها إلا بإذن من الرسول ﷺ. فقال له أبوه، مالك؟ ويليك! فقال والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل»^(٢).

وكذلك موقف الغلام الذي قتله ملك نجران ليرده عن دينه فأبى، في قصة أصحاب الأخدود^(٣)، وغيرها من المواقف المتعددة الذي ذكرها ابن كثير في تفسيره، وهناك مواقف عملية لابن كثير نفسه في دعوة الشباب وتعليمهم العلم وامتحانهم وإجازتهم وقد ذكرها في كتابه البداية والنهاية^(٤).

وأما الأطفال: فقد ذكر رحمه الله جملة من الآداب والأساليب المناسبة لتوجيههم وتربيتهم التربية المناسبة لهم، فمن ذلك مثلاً:

* تعويدهم على الاستئذان عند الدخول كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٥)، قال ابن كثير: «يعني إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يسأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال، يعني بالنسبة إلى أجانبيهم وإلى

(١) التفسير ٩٥/٣-٩٦.

(٢) انظر: المرجع نفسه ٤٣٩/٤.

(٣) انظر: المرجع نفسه ٥٨٣/٤.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١٨/٤٨٨، في أحداث سنة ٧٤٧هـ، ١٨/٦٥٨ في أحداث ٧٦٣هـ.

(٥) سورة النور، الآية [٥٨-٥٩].

الأحوال التي يكون الرجل فيها مع أهله وإن لم يكن في الأحوال الثلاث»^(١).

* تعويدهم على العبادة وتمرينهم عليها، يقول رحمه الله عند تفسير الآية ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢): «وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد.. قال رسول الله ﷺ: (مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها).. قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق»^(٣).

* منعهم من اللعب والعبث في المساجد، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ رُسُخٌ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ﴾^(٤) «وفي الحديث: (جنبوا مساجدكم صبيانكم)؛ وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة»^(٥).

(١) التفسير ٣/٣٧٨، والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة رقم (٤٩٤) والترمذي كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة رقم (٤٠٧).

(٢) سورة التحريم، الآية [٦].

(٣) التفسير ٤/٤٦١.

(٤) سورة النور، الآية [٣٦].

(٥) التفسير ٣/٣٦٥، والحديث أخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد رقم (٧٥٠).

وغيرها من الآداب والتوجيهات التربوية المناسبة للأطفال^(١) والتي ينبغي على الدعاة والمربين أن يراعوها في تربية الأطفال وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة^(٢).

المطلب الثاني

منهجه في دعوة العلماء

العلماء هم ورثة الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(٣).

فالعلماء ورثوا عن الأنبياء العلم فهم يحملونه في صدورهم ويعملون به ويدعون الناس إليه، والعلماء هم أئمة الدين الذين «يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»^(٤) كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِقَائِمِينَ يُوَفُّونَ﴾^(٥)، قال ابن

(١) التفسير ٥٩٥/٣ عند تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الاحزاب ١٣٣]،

وانظر: المرجع نفسه ٤٢٢/٤ عند تفسير الآية: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[الصف ١٢]، و٤٦٦/٤ عند تفسير سورة الملك.

(٢) للاستزادة انظر الدعوة الإسلامية الاستيعاب والشمول للدكتور محمد زين الهادي العرمابي

ص ١٢٤ - ١٣٥، مرجع سابق، ومنهج تقديم الدعوة للمؤلف نفسه ص ٣١-٤٣ طبعة

مركز الكتاب للنشر - القاهرة ١٩٩١ م.

(٣) وهو جزء من الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم باب ما جاء في الحث

على طلب العلم رقم (٣٦٤١).

(٤) التفسير ٥٧٢/٣.

(٥) سورة السجدة، الآية [٢٤].

كثير: «كما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا، قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»^(١).

فالعالم له منزلة كبيرة ومكانة عظيمة، وفي نفس الأمر عليه مسؤولية جسمية، ولذلك اعتنى الإمام ابن كثير بحق العلماء وبيان منزلتهم وفضلهم، والتذكير بواجبهم ومسؤوليتهم المناطة بهم، كتعليم الناس، وتوجيههم، ودعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكواجب النصيحة للأمراء والحكام وإرشادهم لما فيه خير البلاد والعباد، وغير ذلك مما أورده ابن كثير في تفسيره مما سنذكره حسب النقاط التالية:

[١] إبراز مكانة العلماء ومنزلتهم وفضلهم، فهم من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، لأن طاعتهم طاعة الله ورسوله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، قال ابن كثير: «وأولي الأمر منكم، يعني العلماء، والظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء»^(٣)، ويفقد العلماء وموتهم يحصل خراب الأرض وفسادها، قال ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾^(٤) «قال ابن عباس في رواية خرابها بموت فقهاءها وعلمائها وأهل الخير فيها وكذا قال مجاهد

(١) التفسير ٥٧٢/٣.

(٢) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٣) التفسير ٦٣٣/١.

(٤) سورة الرعد، الآية [٤١].

أيضاً هو موت العلماء»^(١)، كما أن فساد العلماء هو فساد للناس، «فإن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال، فإذا فسد هؤلاء فسدت أحوال الناس»^(٢)، ولذلك يُحذّر ابن كثير من علماء السوء وعباد الضلالة، فقال عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣)، «والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال، كما قال سفيان بن عيينه «من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى»^(٤).

[٢] توجيه العلماء ونصحهم بعدم مخالفة الحق الذي يعلمونه وأهمية نشر العلم وبذله وعدم كتمانهم؛ لأن الله سبحانه حذّر من مخالفة الحق الذي علمه العالم إلى الهوى «فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره ولهذا قال مخاطباً للرسول ﷺ والمراد به الأمة: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾»^(٥). وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٦)، قال ابن كثير: «وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم يعني أهل الكتاب - فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما في أيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً، فقد

(١) التفسير ٦٤٢/٢.

(٢) المرجع نفسه ٤٣٤/٢، عند تفسير الآية ٣٥ من سورة التوبة: ﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

(٣) سورة التوبة، الآية [٣٤].

(٤) التفسير ٤٣٤/٢.

(٥) سورة البقرة آية [١٤٥]، التفسير ٢٤٢/١.

(٦) سورة آل عمران، الآية [١٨٧].

ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ^(١).

[٣] من الأمور التي أوصى بها ابن كثير العلماء خشية الله، فمن صفات العلماء أنهم يخشونه سبحانه كما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ^(٢)، قال ابن كثير: «إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، وعن ابن مسعود ر أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية... وعن مالك رحمه الله قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في القلب، قال أحمد بن صالح المصري ^(٣) معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين،

(١) التفسير ١/ ٥٣٣ والحديث أخرجه أبو داود، كتاب العلم باب كراهية منع العلم رقم (٣٦٥٨)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم رقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه باب من سئل عن علم فكتمه رقم (٢٦٦).

(٢) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٣) هو أحمد بن صالح أبو جعفر المصري المعروف بابن الطبري، حافظ زمانه بالديار المصرية، وكان رأساً في هذا الشأن، قل أن ترى العيون مثله مع الثقة والبراعة، ولد بمصر سنة سبعين ومائة، وسار إلى اليمن وأكثر من الحديث عن عبد الرزاق، توفي سنة ٢٤٨ هـ (سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦٠).

فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله (نور) يريد فهم العلم ومعرفة معانية^(١)، ومما أوصى به ابن كثير العلماء الصبر على أوامر الله وترك نواهيه وزواجه؛ لأن هذا يجعل العالم إماماً يهتدى به، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَاقِبَتِنَا يُوَفُّونَ﴾^(٢) أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجه، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوا به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر^(٣).

[٤] تحذير العلماء من اتباع سبيل الضلالة كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْنِ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٤)، يقول ابن كثير «وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعدما صاروا من سلوك السنة النبوية، والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام»^(٥).

[٥] إن ابن كثير وهو الإمام الحافظ العالم قام بتطبيق هذه الوصايا والتوجيهات وحوّلها إلى منهج عملي ملموس من خلال احترامه للعلماء وثنائه عليهم وإنصافه لهم ودفاعه عنهم ومشاركته لهم في التدريس والإفتاء، وما يقومون به من أنشطة علمية واجتماعية وسياسية ونحو ذلك مما هو مبسوط في تاريخه البداية والنهاية ومن ذلك على سبيل المثال:

(١) التفسير ٦٧٩/٣.

(٢) سورة السجدة، الآية [٢٤].

(٣) التفسير ٥٧١/٣-٥٧٢.

(٤) سورة الرعد، الآية [٣٧].

(٥) التفسير ٦٣٩/٢.

* دفاعه عن علماء عصره وثنائهم عليهم، كابن تيمية^(١) والمزي^(٢) وابن القيم^(٣) وغيرهم.

* إنصافه لهم والتماس العذر لهم كما فعل مع السبكي^(٤).

* مشاركته لهم في عقد المناظرات^(٥) والمناقشات العلمية وإجراء الامتحان للطلبة وإجازتهم^(٦).

* التعاون معهم في مناصحة الولاة والأمراء^(٧)، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٨)، والرد على الزنادقة وأهل البدع^(٩) والمنكرات، وغير ذلك من المواقف التي توضح منهج ابن كثير في التعامل مع العلماء ودعوتهم واحترامهم وإنصافهم وإبراز مكانتهم والأخذ عنهم، والاستفادة من علمهم، والدعاة إلى الله اليوم هم بأمس الحاجة إلى مثل هذا المنهج الدعوي في

(١) انظر: البداية والنهاية ٥٣/١٨، ٢٤٧/١٨، ٢٥٦/١٨، ٢٥٨/١٨، ٢٧٠/١٨،

٢٧١/١٨، ٢٩٣/١٨، ٢٩٨/١٨.

(٢) المرجع نفسه ١٨١/١٨.

(٣) المرجع نفسه ٥٢٣/١٨.

(٤) المرجع نفسه ٤٥٤/١٨، ٧٠٨/١٨.

(٥) المرجع نفسه ٦٨٨/١٨.

(٦) المرجع نفسه ٦٦١/١٨.

(٧) المرجع نفسه ٦٣١/١٨، ٥٨٧/١٨.

(٨) المرجع نفسه ٧٠٦/١٨.

(٩) المرجع نفسه ٤٢٣/١٨، ٥٦١/١٨.

التعامل مع العلماء الذي يشمل المناهج الدعوية المختلفة، فقد استخدم رحمه الله المنهج العاطفي في تذكير العلماء بالله وخشيته والإنابة إليه وعدم مخالفة أوامره والصبر على ذلك، والمنهج العقلي بتقرير وجوب طاعة العلماء بالمعروف؛ لأنهم من أولي الأمر، وأن فساد العلماء وضلالهم هو بالضرورة فساد الناس وضلالهم، وكذلك المنهج الحسي بمشاركتهم في عقد المناظرات والمناقشات والتعاون معهم في مناصحة ولالة الأمر والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ذكرناه.

المطلب الثالث

منهجه في دعوة الولاة

الولاة: جمع وال، وهو كل من ولي أمراً أو قام به، وولي العهد وراث الملك، وولي المرأة من يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه، وولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفالاته^(١).

والولاة: «هم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام»^(٢).

ويراد بالولاة عند ابن كثير الأمراء والعلماء، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) «وأولى الأمر منكم: يعني العلماء، والظاهر والله أعلم أنها عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء»^(٤).

(١) انظر: المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس وزملائه ص ١٠٥٨.

(٢) الفتاوى لابن تيمية ١٧٠/٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٤) التفسير ٦٣٣/١.

وكما أنه رحمه الله اعتنى بأمر العلماء لأنهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم بالمعروف لأنها من طاعة الله ورسوله فكذلك الولاية أيضاً هم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم بالمعروف لأنها من طاعة الله ورسوله، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، وقد كان منهجه رحمه الله مع الولاية قريباً من منهجه مع العلماء في الدعاء لهم وبذل النصيحة واحترامهم ونحو ذلك مما هو متوجه إلى المنهج العاطفي، وأهمية وجود الإمام وضرورة تعيينه وإن طاعتهم في غير معصية من طاعة الله وهو ما يتوجه إلى المنهج العقلي، والحديث عن شروط الإمامة وأهمية مناصحة الأمراء وزيارتهم وتوجيههم وإرشادهم إذا تيسر ذلك مما يتوجه إلى المنهج الحسي.

وستتناول في هذا المطلب بعض ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن حقوق ولاية الأمر ووجوب طاعتهم بالمعروف، وضرورة نصب الإمام وتعيينه ومبايعته على السمع والطاعة، وعدم جواز نكث هذه البيعة، وكذلك حقوق الراعي على رعيته، وحقوق الرعية على الراعي، وأهمية مناصحة السلطان، والأسلوب الأمثل في ذلك، وغيرها من المسائل المهمة التي تعرّض لها ابن كثير فمن ذلك:

[١] أكد ابن كثير على أهمية وجود الإمام وضرورة تعيينه، حيث أن تطبيق شرع الله وإقامة حدوده ونصرة دينه مرتبط بوجود سلطان وإمام حاكم، فقال عند تفسير الآية: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيرًا﴾^(٢)، «وقال قتادة... أن نبي

(١) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٢) سورة الإسراء، الآية [٨٠].

الله ﷻ عَلِمَ أَنْ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ، فَسَأَلَ سُلْطَانًا نَصِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ وَلِحُدُودِ اللَّهِ، وَلِفَرَاغِ اللَّهِ، وَلِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ جَعَلَهُ بَيْنَ أَظْهَرِ عِبَادِهِ، لَوْلَا ذَلِكَ لَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَكُلُّ شَدِيدُهُمْ ضَعِيفُهُمْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ حُجَّةٌ مَبِينَةٌ وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ... قَوْلَ قَتَادَةَ وَهُوَ الْأَرْجَحُ لِأَنَّهُ لَا يَدُ مَعَ الْحَقِّ مَنْ قَهَرَ لِمَنْ عَادَاهُ وَنَاوَاهُ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾^(١)، وَفِي الْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ يَزِعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزِعُ بِالْقُرْآنِ)^(٢) أَيْ يَمْنَعُ بِالسُّلْطَانِ عَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ مَا لَا يَمْتَنَعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَكِيدِ، وَالتَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ^(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤)، «وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَجُوبِ نَصَبِ الْخَلِيفَةِ لِفَصْلِ بَيْنِ النَّاسِ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَيَقْطَعُ تَنَازُعَهُمْ وَيَنْتَصِرُ مِنْ ظَالِمِهِمْ، وَيُقِيمُ الْحُدُودَ، وَيُزْجِرُ عَنِ تَعَاطِي الْفَوَاحِشِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْمَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ إِقَامَتُهَا إِلَّا بِالْإِمَامِ وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»^(٥).

(١) سورة الحديد، الآية [٢٥].

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بإسناده إلى عثمان بن عفان ؓ أنه قال: «ما يزع الإمام أكثر ما يزع القرآن» ١١٨/١، طبعة مكتبة السوادى جدة، بدون تاريخ.

(٣) التفسير ٧٧/٣.

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٠].

(٥) التفسير ٩٣/١.

[٢] وجوب طاعة ولاية الأمر إذا أمروا بطاعة الله ، لأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله واجبة ، فمن أطاع الأمير فقد أطاع الرسول ﷺ ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله لقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(١) ، يقول ابن كثير: «يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله... وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني)^(٢)» .

ويقول أيضاً عند تفسير الآية : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَخْرُجُوا يَتَّبِعُوهُمُ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾^(٣) ، «وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ذكر لنا أن عبادة بن الصامت ؓ وكان عقيماً - شهد بيعة العقبة - بديراً أحد نقباء الأنصار ، أنه لما حضره الموت قال لابن أخته جنادة^(٤) ابن أبي أمية : (ألا أنبئك بماذا عليك ولك؟ ، قال : بلى ، قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك ،

(١) سورة النساء ، الآية [٨٠] .

(٢) التفسير ٦٤٥/١ ، والحديث متفق عليه ، وأخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به رقم (٢٩٥٦) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم (١٨٣٥) .

(٣) سورة النور ، الآية [٥١] .

(٤) جنادة بن أبي أمية الأزدي الدوسي ، من كبراء التابعين ، ولي جنادة غزو البحر لمعاوية وشهد فتح مصر وأدرك الجاهلية والإسلام ، توفي سنة ثمانين (سير أعلام النبلاء ٦٢/٤) .

وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وألا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله، وقال قتادة: وذكر لنا أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله، وللخليفة وللمؤمنين عامة، قال: وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاء الله أمر المسلمين. والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله كثيرة جداً أكثر من أن تحصر في هذا المكان»^(١).

[٣] من حقوق ولاية الأمر على رعيته طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم ومعاونتهم وبذل النصيحة لهم والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه، ومن حقوق الرعية على ولاية الأمر، الرفق بهم والنظر في مصالحهم وعدم غشهم والعدل والإحسان بينهم وحماية عقائدهم وأخلاقهم والدفاع عن بلادهم وحوزة دينهم، ولما قرأ عمر بن عبد العزيز - وهو يخطب على المنبر - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) قال: (ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أثبتكم بما يتم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع،

(١) التفسير ٣/ ٣٧٢.

(٢) سورة الحج، الآية [٤١].

وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة^(١)، ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانياتها^(٢). ومن حقوق الرعية على الولاة أن يحكموا بينهم بالعدل لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «أمر منه بالحكم بالعدل بين الناس، ولهذا قال محمد^(٤) بن كعب وزيد بن أسلم وشهر^(٥) بن حوشب: إنما نزلت في الأمراء، يعني الحكام بين الناس، وفي الحديث: (إن الله مع الحاكم ما لم يجر، فإذا جار وكله الله إلى نفسه)»^(٦).

ومن حقوق الولاة على الرعية عدم نكث وخلع بيعتهم لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾^(٧)، يقول ابن كثير: «هذه البيعة التي يابيعهم على الإسلام... وقال الإمام أحمد... عن نافع قال لما خلع

(١) معنى المبزوزة: المغلوبة. انظر المعجم الوسيط ص ٥٤.

(٢) انظر التفسير ٢٨٥/٣.

(٣) سورة النساء، الآية [٥٨].

(٤) محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعا من أئمة التفسير ومن أوعية العلم وكان ذا عبادة وصلاح، توفي سنة ١٠٨ هـ (سير أعلام النبلاء ٦٥/٥-٦٨).

(٥) شهر بن حوشب الأشعري فقيه مقرئ شامي الأصل سكن العراق ولي بيت المال مدة، مات سنة ١٠٠ هـ (شذرات الذهب لابن العماد ١١٩/١).

(٦) التفسير ٦٣١/١، والحديث أخرجه البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب فضل من ابتلي بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق ٨٨/١٠، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤١٣ هـ، وأخرجه الحاكم في المستدرک كتاب الأحكام ٩٢/٤، طبعة دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

(٧) سورة النحل، الآية [٩٢].

الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال: أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال هذا غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحدكم منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون صيلم^(١) بيني وبينه»^(٢)).

ومن حقوق الولاية احترامهم وعدم إهانتهم، واستخدام الأسلوب الأمثل والأرفق في مخاطبتهم ونصحهم والإنكار عليهم، قال ابن كثير: «وفي الحديث... (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وذو السلطان)»^(٣)، وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾^(٤) «هذه الآية فيها عبرة وعظة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه آن ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين... ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»^(٥).

ومن حقوق الرعية على الولاية عدم تتبع عوراتهم حتى لا يفسدوهم يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

(١) الصليم: أي القطيعة، انظر: المعجم الوسيط ٥٢١.

(٢) التفسير ٧٢١/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٣٢/٤، عند تفسير الآية: ﴿تَبَرَّكَ أَتَمُّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ١٧٨،

والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم رقم (٤٨٤٣).

(٤) سورة طه آية ٤٤.

(٥) التفسير ١٩٥/٣.

الظَّنَّ إِنَّهُ وَلَا تَجَسَّوْا»^(١)، «و قال سفيان الثوري..... عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)^(٢)، فقال أبو الدرداء^(٣) كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها ، وعن أبي أمامه^(٤) عن النبي ﷺ قال : (إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)^(٥).

[٤] ذكر الإمام ابن كثير بعض الأحكام والتوجيهات المتعلقة بالولاية منها :
* كيفية اختيار الإمام وتعيينه ، فقد ذكر «أن الإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر أو بالإجماع إليه كما يقوله آخرون منهم ، أو باستخلاف خليفة آخر بعده ، كما فعل الصديق في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. أو تركه شورى في جماعة صالحين لذلك ، كما فعل عمر ، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته أو مبايعة واحد منهم له ، فيجب التزامها

(١) سورة الحجرات ، الآية [١٢].

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب في التجسس رقم (٤٨٨٨).

(٣) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء الإمام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول الله ﷺ وحكيم هذه الأمة ، توفي سنة ٣٢ هـ (سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٢ ، طبعة مؤسسة الرسالة ط ١١ ، ١٤٢٢ هـ).

(٤) أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، صحابي كان مع علي في صفين وسكن الشام فتوفي في أرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام سنة ٨١ هـ (الأعلام ٢٠٣/٣).

(٥) التفسير ٤/ ٢٥٠-٢٥١ ، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الأدب ، باب في التجسس رقم (٤٨٨٩).

عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع، أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لثلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف»^(١).

* من شروط الإمامة أن الإمام يجب أن يكون ذكرا حرا بالغاً عاقلاً مسلماً عدلاً مجتهداً بصيراً سليم الأعضاء خبيراً بالحروب والآراء قرشياً على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ خلافاً لغلاة الروافض، ولو فسق الإمام هل ينزل أم لا؟ فيه خلاف والصحيح لا ينزل لقوله عليه الصلاة والسلام: ((إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان))^(٢)..... وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق، أنه جوز نصب إمامين وأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم... قلت وهذا شبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطمين بمصر وغيرهم بالمغرب»^(٣).

* ومن الأحكام التي ذكرها ابن كثير أن إقامة الحدود ترجع إلى الإمام أو نائبه وليس إلى آحاد الرعية، فيقول عند تفسير الآية: ﴿وَمَا كَأَن لِّمُؤْمِنٍ أَن يَكْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾^(٤) «يقول تعالى: ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى

(١) المرجع نفسه ٩٣/١، عند تفسير الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة ٣٠].

(٢) أخرجه البخاري كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: (سترون بعد أموراً تذكرونها) رقم (٧٠٥٦).

(٣) التفسير ٩٤/١ عند تفسير الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة ٣٠].

(٤) سورة النساء، الآية (٩٢).

ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١). ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه^(٢).

* ومن الأحكام التي ذكرها ابن كثير أن الحدود إذا رفعت للسلطان فيجب أن تقام ولا تعطل فقال عند تفسير الآية: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣)، «قال مجاهد: إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فتقام ولا تعطل، وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح رضي الله عنه وقد جاء في الحديث: (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب)»^(٤).

* ومن التوجهات التي ذكرها ابن كثير للولاء عدم اتخاذ أهل الذمة بطانة من دون المؤمنين، فقال عند تفسير الآية: «يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ»^(٥)، «أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل خاصة أهله الذي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: «أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ» رقم (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب الفساق والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم رقم (٤٣٧٥).

(٢) التفسير ٦٥١/١

(٣) سورة النور، الآية [٢٢].

(٤) المرجع نفسه ٣٢٨/٣، والحديث أخرجه أبو داود كتاب الحدود، باب يُعفى عن الحدود ما لم تبلغ السلطان (٤٣٧٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية [١١٨].

يطلعون على داخله أمره، وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما... عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله)^(١)... (قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه): إن هاهنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كتابا؟ قال: اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين). ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب^(٢).

* ويرى ابن كثير أن الاستقامة على الدين هي سبب أمن الولاة واستقرارهم، وأن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن المسلمين كانوا «آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا، فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة^(٣) والشرطة وغيروا فغير بهم»^(٤).

وأخيراً فالذي يقرأ كتاب البداية والنهاية يجد الممارسة العملية للإمام ابن كثير من خلال اتصاله بالولاة والقيام بنصحهم وإرشادهم وتقديم العون لهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته رقم (٧١٩٨)، والنسائي كتاب البيعة، باب بطانة الإمام رقم (٤٢٠٨).

(٢) التفسير ١/ ٤٨٧، ٤٨٨.

(٣) الحجزة جمع حاجز وهم الذين يمنعون بعض الناس من بعض ويفصلون بينهم بالحق، القاموس المحيط (فصل الحاء باب الزاي) ص ٥٠٧، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ط ٦، ١٤١٩ هـ.

(٤) المرجع نفسه ٣/ ٣٧٥.

ومشاركتهم في الأحداث والمناسبات الاجتماعية والسياسية^(١) إلى غير ذلك من الآداب والأحكام والضوابط الشرعية في معاملة الحكام مما ذكره ابن كثير أو قام هو بممارسته عملياً مع الولاة، والتي يتعين على الدعاة إلى الله - لا سيما في هذا العصر - أن يدركوا هذا المنهج الصحيح في معاملة الحكام حتى تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة وعلى المنهج الذي سار عليه السلف الصالح، وحتى لا تضيع جهودهم سدى.

فمما لا شك فيه أن معرفة هذه الأحكام الشرعية في هذا الباب - مما لا مجال للحديث عنه هنا - يؤدي بإذن الله إلى أن يسير قطار الدعوة في طريق آمن من العوائق والمخاطر والانحرافات وإن كان طبيعة طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والرياحين، ولكن فرق بين أن يبحث الداعية عن طريق مليء بالأشواك والعقبات والمخاطر وبين أن تأتي هذه العقبات عرضاً في طريقه الصحيح ومنهجه السليم.

(١) انظر مثلاً:

- اجتماعه بالخليفة المعتضد بالله والسلام عليه وقراءة جزء مما رواه أحمد بن حنبل عن محمد ابن إدريس الشافعي في مسنده. (البداية والنهاية ٥٤٨/١٨، في أحداث سنة ٧٥٣هـ).
- اجتماعه بنائب السلطنة الأمير علاء الدين علي المارداني وتباحث معه في ما حصل بينه وبين بعض الأمراء من الخلاف (المرجع نفسه ٥٨٣/١٨ في أحداث سنة ٧٥٩هـ).
- جوابه على فتيا الأمير يلغا الذي ظهرت فيه فطنة ابن كثير وذكاؤه حيث أدرك مراد الأمير ومقصود من سؤاله (المرجع نفسه ٦٣١/١٨ في أحداث سنة ٧٦٢هـ).
- مناصحة ل نائب السلطة بالشام وإنكاره عليه أخذه من النصارى ريع أموالهم (البداية والنهاية ٧٠٦/١٨).
- استجابته لطلب الأمير منجك في تأليف رسالة عن الجهاد (الاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير ص ٦١).

المطلب الرابع

منهجه في دعوة أهل البدع والمنكرات

أولاً: معنى البدعة وأنواعها:

قال صاحب مقاييس اللغة: الباء والبدال والعين أصلان لشئين أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، والثاني الانقطاع والكلال كقولهم أبدعت الراحلة إذا كلت وعطلت^(١)، وعلى نحو هذا عرّف ابن كثير البدعة فقال عند تفسير الآية: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) «أي: خالقهما على غير مثال سبق، قال مجاهد والسدي: وهو مقتضى اللغة ومنه للشيء المحدث بدعه، وقال ابن جرير: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مبدعهما، وإنما هو فعل فصرف إلى فعيل، كما صرف المؤلم إلى الأليم والسمع إلى سميع.

ومعنى المبدع والمنشيء والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشائه مثله وإحداثه أحد، قال: ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره، وكذلك كل محدث فعلا أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعا، ومن ذلك قول أعشى ثعلبة في مدح هوزة^(٣) بن علي الحنفي:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لأحمد زكريا ١/٢٠٩، ٢١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية [١١٧].

(٣) هوزة بن علي بن عمرو الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل صاحب اليمامة بنجد وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ﷺ أسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك، فأجاب مشروطاً أن يكون له مع النبي ﷺ بعض الأمر فلم يجبه وقال باد وباد ما في يديه ولم يعيش بعد ذلك غير قليل، توفي سنة ٨ هـ. (الأعلام ١٠٢/٨).

يُرْعِي إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم، أو ما شاء ابتدعا أي يحدث ما شاء»^(١).

وعرفها الشاطبي بقوله: «طريقة في الدين مخترة تضاهي الشريعة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى»^(٢).

فالبدعة إحداث في الدين، وليس لها أصل ومستند شرعي، ولهذا يقول ابن كثير «سميت البدعة بدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف»^(٣).

«والبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله ﷺ: (فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(٤) وتارة تكون لغوية كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم، نعمت البدعة هذه»^(٥).

وأشار ابن كثير إلى «أن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا، حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة فقال قائلهم

(١) التفسير ٢٠١/١، ٢٠٢

(٢) الاعتصام ٣٧/١

(٣) التفسير ٢٠٤/٢ عند تفسير الآية: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الانعام ١٠١].

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه بلفظ: (وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (٨٦٧).

(٥) التفسير ٢٠١/١ عند تفسير الآية: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ [البقرة ١١٧].

وهو ذو الخويصرة^(١) - بقر الله خاصرته - اعدل فإنك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ: (لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيا مني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟) فلما قفى الرجل استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي رواية خالد ابن الوليد رسول الله في قتله فقال: (دعه فانه يخرج من ضضي هذا - أي جنسه - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم)^(٢) ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتلهم بالنهروان^(٣)، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم نبعت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله: «(وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)»، قالوا: من هم يارسول الله؟ قال: (من كان على ما أنا عليه وأصحابي)^(٤).

(١) حرقوص بن زهير السعدي الملقب بذو الخويصرة، من بني تميم، أمره عمر بن الخطاب بقتال الهرموزان، فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها، ثم شهد صفين مع علي، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان سنة ٣٧هـ (الأعلام ١٧٣/٢).

(٢) متفق عليه، وأخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه رقم (١٠٦٤).

(٣) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والدين (معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢٦٠/٤).

(٤) التفسير ٤٢٧/١ والحديث أخرجه أبو داود بلفظ « وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كتاب السنة، باب شرح السنة رقم (٤٥٩٦).

ثانياً: منهجه في دعوتهم:

إن العصر الذي عاش فيه ابن كثير، عصر مليء بالبدع والمنكرات والملل المنحرفة، فقد تعددت الفرق والمذاهب في كثير من المجتمعات الإسلامية، وقد قيض الله في تلك الفترة من يتصدى للدفاع عن الإسلام وبيان حقيقته ومنهجه الصافي الذي سار عليه الرسول ﷺ والسلف الصالح من بعده، فقاموا بالرد على هؤلاء المبتدعة، وبيان انحرافهم وضلالهم، وتحذير الأمة من خطرهم، وفي نفس الوقت قاموا بدعوتهم إلى الحق ومناظرتهم والرد عليهم، وقد كان رائد هذه المدرسة الإصلاحية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ومن أبرز تلاميذ هذه المدرسة المزي والذهبي وابن القيم وابن كثير وغيرهم، فكان داعيتنا الإمام ابن كثير من أنصار هذه المدرسة، وقد تبنى منهج شيخه ابن تيمية في الدعوة إلى منهج السلف والدفاع عنه والرد على أهل البدع والأهواء والضلال، ولذلك نجد أن تفسيره طافح بذلك، فقد انبرى رحمه الله لبيان منهج الإسلام الصحيح والرد على المناهج التي تخالفه وبيان انحرافها وضلالها، وقيامه بمناقشة مقولات أهل الفرق والملل وبيان شبههم مع دحضها والرد عليها إضافة إلى مواقفه العملية مع أهل البدع والضلال والتي أورد بعضها منها في كتابه البداية والنهاية، وستحدث عن منهج ابن كثير في دعوته لأهل البدع من خلال النقاط التالية:

[١] حرص ابن كثير على تبين حال أهل البدع وضلالهم وأن بدعهم التي ابتدعوها واخترعوها ليس لهم فيها مستند شرعي وإنما هي في كثير من الأحيان افتراء وكذب على الله ومخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام، ولذلك عاقبهم الله بالذل والصغار في الحياة الدنيا، وجعلهم في ضلال عن الحق

بسبب ما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء والأحكام، وخلص رحمه الله إلى أن كل الفرق على ضلالة إلا أهل النسبة والجماعة وهم الفرقة الناجية المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وأخيرا دعاهم رحمه الله إلى التوبة والرجوع إلى الحق فكل من تاب إلى الله وأناب إليه تاب الله عليه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١) قال ابن كثير: «وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه»^(٢). وقد ذكرنا ذلك مفصلا في المبحث السابق شمول دعوة ابن كثير للطوائف والفرق فليرجع إليه.

[٢] قام ابن كثير رحمه الله في تفسيره بذكر بعض الطوائف والفرق من أهل البدع وأورد مقولاتها وشبهها وتصدى للرد عليها وبيان خطئها وضلالها فمن ذلك مثلاً:

[١] الخوارج^(٣):

وهم يرون التكفير بالكبائر من الذنوب وقد رد عليهم ابن كثير في ذلك، فقال عند تفسير الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤)، «فسماهم مؤمنين

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٠].

(٢) التفسير ٢٤٩/١.

(٣) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجمعهم التبيري من عثمان وعلي رضي الله عنهما كما أجمعوا - عدا النجدات منهم - على تكفير مرتكب الكبيرة وتحليده في النار إذا مات مصراً عليها (مقالات الإسلاميين ١٦٧/١ - ١٦٨، الملل والنحل ١١٤/١ - ١١٥).

(٤) سورة الحجرات، الآية [٩].

مع الاقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم^(١).
[٢] المعتزلة^(٢):

وقد تعقبهم ابن كثير وأوضح خطأهم في مسائل عديدة خالفوا منهج السلف، كنفي رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأن الله سبحانه لم يكلم موسى عليه السلام، وعدم تفريقهم بين الإسلام والإيمان، وإنكارهم السحر ونحو ذلك من المسائل الأخرى. فعند تفسير الآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٣) قال ابن كثير: «هذا في الدنيا... وقال آخرون لا تدركه الأبصار جميعها وهذا مخصص لما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٤)، وقال

(١) التفسير ٤/٢٤٨.

(٢) سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من رؤسائهم مجلس الحسن البصري لقولهم بأن الفاسق - مرتكب الكبيرة - لا مؤمن ولا كافر، ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى والقول بأن القرآن محدث وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لأفعال العباد ويسمون أيضاً القدرية والعدلية وتصل فرقهم إلى عشرين فرقه (مقالات الإسلاميين ١/٢٣٥، الملل والنحل ١/٤٣-٤٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية [١٠٣].

(٤) سورة القيامة الآيتان [٢٢-٢٣].

عن الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُونَ﴾^(١)، قال الإمام الشافعي: فدل على أن المؤمنين لا يحبون عنه تبارك وتعالى. وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجريروصهيب^(٢) وبلال^(٣) وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين^(٤).

وعند تفسير الآية: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٥)، «وهذا تشريف لموسى ﷺ بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه...

(١) سورة المطففين، الآية [١٥].

(٢) هو صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر صحابي من أرمى العرب سهماً وله بأس وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكانت منازل قومه في الموصل فأغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيياً وهو صغير، فنشأ بينهم فكان ألكن، واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمي ثم أعتقه، فلما ظهر الإسلام أسلم فلما أزمع المسلمون الهجرة وكان صهيب قد ربح مالا وفيراً من تجارته فمنعه مشركو قريش، قال: أرايتم إن تركت مالي تخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع، فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال: (ربح صهيب ربح صهيب) توفي سنة ٣٨هـ، الأعلام ٢١٠/٣.

(٣) هو بلال بن رباح الحبشي أبو عبد الله مؤذن رسول الله ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال ولم يؤذن بعد ذلك، وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام فسار معهم وتوفي في دمشق سنة ٢٠هـ، الأعلام ٧٣/٢.

(٤) التفسير ٢٠٥/٢، ومن المواطن التي رد عليهم ابن كثير فيها عند تفسير الآية: ﴿قَالَ رَبِّ أَرَبِّ أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣]، ٣٠٨/٢.

(٥) سورة النساء، الآية [١٦٤].

جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش^(١) فقال: سمعت رجلاً يقرأ: ﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش^(٢) على أبي وثاب وقرأ يحيى^(٣) بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي^(٤) وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ وكلّم الله موسى تكليماً، وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك؛ لأنه حرّف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحداً من خلقه، كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ: ﴿وكلّم الله موسى

(١) هو أبو بكر بن سالم الأسدي مولا هم الكوفي الفقيه المحدث اسمه شعبة قرأ القرآن وجود على عاصم بن أبي النجود، قال يزيد بن هارون كان أبو بكر بن عياش خيراً فاضلاً لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، توفي سنة ١٩٣ هـ (سير أعلام النبلاء ٤٣٥/٨).

(٢) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء أبو محمد الملقب بالأعمش، تابعي مشهور أصله من بلاد الري، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح، توفي سنة ١٤٨ هـ (الأعلام ١٣٥/٣).

(٣) هو يحيى بن وثاب الإمام القدورة الفقيه شيخ القراء أحد الأئمة الأعلام، فأقبل على القرآن وتلا على أصحاب علي وابن مسعود حتى صار أقرأ أهل زمانه توفي سنة ثلاث ومائة، سير أعلام النبلاء ٣٨١/٤.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي الإمام العالم عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي من أولاد الصحابة مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجود ومهر فيه وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود وأخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود، توفي سنة ٧٤ هـ (سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٤).

تكليماً﴾ فقال يا ابن اللخناء^(١) فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾^(٢) يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل^(٣).

وعند تفسير الآية: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤)، قال: «وحكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر قال: ربما كفروا من اعتقد وجوده، قال وأما أهل السنة فقد جَوَّزُوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء.... ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ ومن الأخبار بأن رسول الله ﷺ سُحِرَ وأن السحر عَمِلَ فيه»^(٥).

وعند تفسير الآية: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، قال: «احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال»^(٧)، وعند تفسير الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ

(١) لخن السقا وغيره أنتن، والرجل قبح كلامه فهو لخن والمرأة لخناء جمع لخن، ويقال في

السب يا ابن اللخناء (المعجم الوسيط ص ٨٢١).

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٤٣].

(٣) التفسير ٧١٧/١-٧١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية [١٠٢].

(٥) التفسير ١٨١/١.

(٦) سورة الذاريات، الآية [٣٥].

(٧) التفسير ٢٧٨/٤.

مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنُهُ^(١)، قال: «أي: إنما ياتر بهواه فمهما رآه حسناً فعله ومهما رآه قبيحاً تركه، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقلين»^(٢).

[٣] القدريّة^(٣):

وهم القائلون بأن الله لا ينفرد بالهداية والإضلال بل إن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه فقال عند تفسير الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، «وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٦)، وقال: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٧) إلى غير ذلك

(١) سورة الجاثية، الآية [٢٣].

(٢) التفسير ١٧٨/٤.

(٣) هم القائلون بأن العبد يحدث فعل نفسه، وأن أفعال العباد مقدورة لهم على جهة الاستقلال، وكان متقدموهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وهم الذي كفرهم السلف ومن أوائلهم معبد الجهني، ومتأخروهم يثبتون العلم (مقالات الإسلاميين ٢٩٨/١، والملل والنحل ٤٣/١، الفتاوى ٤٣٠/٨-٤٥٠).

(٤) سورة الفاتحة، الآية [٢].

(٥) سورة المجادلة، آية [١٤].

(٦) سورة الكهف، آية [١٧].

(٧) سورة الأعراف، الآية [١٨٦].

من الآيات الدالة أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقوله الفرقة القدرية ومن هذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما فيه صريحاً في الرد عليهم، وهذا حال أهل الضلال والغبي^(١).

[٤] الجهمية^(٢):

القائلون بأن الله في كل مكان تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾^(٣)، «اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك، فأصح الأقوال: أنه: المدعو الله في السموات وفي الأرض أي يعبد ويوحده، ويُقَرُّ له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغباً ورهباً إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) أي هو إله من السماء وإله من الأرض»^(٥).

(١) التفسير ٤٤/١.

(٢) الجهمية هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال أن العبد مجبور على فعله، ولا قدر له ولا اختيار، ومن ضلالاته إنكار الصفات والقول بأن الجنة والنار تبيدان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط (مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١، الملل والنحل ٨٦/١-٨٨).

(٣) سورة الأنعام، الآية [٣].

(٤) سورة الزخرف، الآية [٨٤].

(٥) التفسير ١٦٠/٢.

[٥] الشيعة^(١):

وقد رد عليهم ابن كثير رحمه الله في عقيدة المهدي الغائب وفي جواز المتعة وإنكار المسح على الخفين، وأن ليلة القدر قد رفعت بعد الرسول ﷺ، وفي سبهم لعموم الصحابة وخاصة الشيخين ﷺ ونحو ذلك من الأمور التي خالفوا بها إجماع الأمة، فقال رحمه الله تعالى عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٢): «وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفين قولاً منه وفعلاً... وقد خالفت الروافض ذلك كله بلا مستند بل بجهل وضلال مع أنه ثابت في صحيح مسلم... كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة وهم يستيحيونها، وكذلك الآية دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل نفس الأمر والله الحمد»^(٣).

وقال عند تفسير الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٤)، «يعني عرفاء على قبائلهم بالمبايعة..... وعن جابر بن

(١) الشيعة هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو ببقية من عنده، وقالوا إن الإمامة ركن الدين، وإن الأئمة معصومون من الكبائر والصغائر (مقالات الإسلاميين ٦٥/١ وما بعدها، الملل والنحل ١٤٦/١).

(٢) سورة المائدة، الآية [٦].

(٣) التفسير ٣٨/٢ وحديث كلي من المسح على الخفين والمتعة سبق تخريجهما ص ١٥٦.

(٤) سورة المائدة، الآية [١٢].

سمرة رضي الله عنه ^(١) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً)... والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وليس هذا هو المنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذاك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الإثنا عشر الأئمة الذين يعتقد فيهم الشيعة الإثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم ^(٢).

وقال عند تفسير الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيَرٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ^(٣)، «وهذا هو البهت البين أن يُحكى أو ينقل على المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفر بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم

(١) هو جابر بن سمرة بن حفادة السوائي صحابي كان حليف بني زهرة له ولأبيه صحبة نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في ولاية بشر على العراق سنة ٧٤هـ، الأعلام ١٠٤/٢.

(٢) المرجع نفسه ٤٤/٢، وانظر المرجع نفسه ٣٧٤/٣، عند تفسير الآية: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [النور ٥٥].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٧٥].

يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين»^(١).

وقال رحمه الله عند تفسير الآية: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(٢)، بعد ذكره الأحاديث الواردة في ليلة القدر «وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي ﷺ، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث...: (رفعت وعسى أن يكون خيراً لكم)^(٣)؛ لأن المراد رفع علم وقتها عيناً»^(٤).

وأخيراً: رده على من زعم سقوط التكليف عن الإنسان في حالة وصوله إلى درجة المعرفة كما زعموا فقال رحمه الله عند تفسير الآية: «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»^(٥)، «يستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله: «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً فيصلح بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه»^(٦).

(١) التفسير ٦٣٦/٣.

(٢) سورة القدر، الآية [١].

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس رقم (٢٠٢٣).

(٤) التفسير ٦٣٦/٤.

(٥) سورة الحجر، الآية [٩٩].

(٦) هو عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيذ الخزاعي، من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة ٧هـ وكانت معه راية خزاعه يوم فتح مكة وبعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم، وولاه زياد قضاءها، وتوفي بها وهو ممن اعتزل حرب صفين، توفي سنة ٥٢هـ (الأعلام ٧٠/٥).

أن رسول الله ﷺ قال: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب)^(١)، ويستدل على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه والله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعلى الاستقامة والتوكل، وهو المسؤول أن يوفقنا على أكمل الأحوال وأحسنها^(٢).

[٣] ممارسة ابن كثير العملية لدعوة أهل البدع بالاتصال بهم ومناظرتهم والإنكار عليهم وتوجيههم ونحو ذلك مما ذكره في كتابه (البداية والنهاية)، من ذلك مثلاً: مناظرته للرافضي الذي كان يسب الصحابة ويلعن أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد قال ابن كثير: «وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر^(٣) أشياء من الكفر والزندقة...»^(٤).

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب رقم (١١٧).

(٢) التفسير ٦٩٢/٢.

(٣) ابن المطهر الحلبي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلبي العراقي الرافضي، رأس الشيعة وشيخهم في العراق، له تصانيف كثيرة في الفقه والحوار والأصول والفلسفة والرفض، منها منهاج الكرامه الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنه، توفي سنة ٧٢٦هـ (الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٨/٢، والبداية والنهاية ١٨ / ١).

(٤) البداية والنهاية ٥٦١/١٨ في أحداث سنة ٧٥٥هـ.

وغير ذلك من الجهود العلمية والعملية التي قام بها الإمام ابن كثير رحمه الله في محاربة البدع والضلالات وتصحيح الخلل العقدي الذي يعيشه المسلمون في تلك الفترة التي عاشها رحمه الله ، مستخدماً في ذلك شتى الطرق والمناهج العقلية والحسية وغيرها ، وأن ما يقوم به كثير من الدعاة إلى الله - في هذا العصر - من اهتمام بتشخيص وعلاج مظاهر الانحراف والفساد الأخلاقي لدى المسلمين هو جهد يشكرون عليه وخصلة تحمد لهم بل هو من الواجبات المتعينة على كل داعية ومصلح أن يقوم بها كل بحسبه.

ولكنهم لا يعذرون حين يذهلون ذهولاً أعمى عن الخلل الأعظم والخطر الأكبر، ذلكم الخلل الذي لا شك أنه هو السبب الأول للانحراف الخلقي والفساد الاجتماعي والفوضى والجهل والتخلف وسائر المفاسد، ذلك الخلل الحاصل في اعتقاد كثير من المسلمين في شتى بلاد الإسلام علماً وعملاً، والمتمثل في الوقوع في المعتقدات الضالة والأعمال الشركية والبدعية مما لا يتسع المجال لبسطه، فصلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف مرتبط قبل كل شيء بصلاحي عقيدتهم، واستقامتهم على دين الله، وعبادته وحده دون سواه، وتقواه سبحانه وطاعته، واتباع رسوله ﷺ، وهذا هو فهم الرسل ومنهج القرآن والسنة ومنهج المصلحين المهتدين^(١).

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٨٠-٨٢، طبعة دار الوطن للنشر الرياض ط ١ بدون تاريخ.

المطلب الخامس

منهجه في دعوة أهل النفاق

تعريف النفاق وأنواعه :

المنافق في اللغة : مأخوذ من النافقاء والنافقاء إحدى حِجَرَةِ اليربوع يكتمها ويظهر غيرها ، وهو موضع يُرَقِّقه فإذا أتى من قبل القاصعاء - وهو جحره - ضرب اليربوع النافقاء برأسه فانتفق أي خرج ، وقيل مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض ، ويراد أن يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه^(١).

أما في الاصطلاح : فهو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر والمنافق هو الذي يضمّر الكفر اعتقاداً ويظهر الإيمان قولاً^(٢). ويعرفه ابن كثير بأنه «إظهار الخير وإسرار الشر»^(٣). وينقسم إلى قسمين : اعتقادي ، وهو الذي يخلد صاحبه في النار ، وعملي : وهو من أكبر الذنوب ، لأن المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه^(٤).

وقد توسع ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره عن الكلام عن المنافقين فاستخدم المنهج العاطفي في سياق خطورتهم وتحذير المؤمنين منهم أو المنهج العقلي في مشابھتهم للمشركين في أن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح

(١) انظر لسان العرب مادة نفق ١٠/٣٥٨ ، ٣٥٩ ، والنهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين ابن محمد الجزري ابن الأثير ٥/٩٨ ، طبعة دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ.

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٩٨ ، ٣١١ ، حققه إبراهيم الأبياري طبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

(٣) التفسير ١/٦٤ عند تفسير الآية : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ﴾ [البقرة ٨].

(٤) انظر التفسير ١/٦٤.

والقصد إلى العمل الصالح أو المنهج الحسي بذكر صفاتهم وأحوالهم ومواقفهم المشينة من المؤمنين، فتارة يعيرونهم ويرمونهم بالسفه، وتارة بالسخرية والغدر وعدم الوفاء، وأخرى بالتربص بهم وموالات الكفار عليهم فهم مفسدون في الأرض، يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف ثم إن ابن كثير رحمه الله ذكر أن الله سبحانه وتعالى فضحهم وبين صفاتهم لِيَحْذَرَهُمَ الْمُؤْمِنُونَ، ولئلا يغتروا بظاهر حالهم وغير ذلك مما ذكره ابن كثير عن المنافقين، وهذا ما سنتحدث عنه في هذا المطلب حسب النقاط التالية:

[١] من صفات المنافقين التي ذكرها ابن كثير، إفسادهم في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١)، قال ابن كثير: «قال ابن جرير فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم بها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به، والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم يفعلهم ذلك مصلحون فيها»^(٢).

«فالمنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل... وقال مجاهد إذا سعى في الأرض فساداً منع الله القطر فهلك الحرث والنسل»^(٣)، ومن

(١) سورة البقرة، الآية [١١].

(٢) التفسير ٦٧/١.

(٣) المرجع نفسه ٣٠٧/١ عند تفسير الآية: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة ٢٠٥].

صفات المنافق أنه «في حال خصومته يكذب وَيَزُور»^(١) عن الحق ولا يستقيم معه بل يفترى ويفجر كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)^(٢)، ومن صفاتهم أنهم: «لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء الفريضة، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم»^(٣)، فالمنافق كما قال الحسن إن صلى رأى وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ صدقة ماله، وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فمنعوها»^(٤)، فهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ﴾^(٥).

يقول ابن كثير: «هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه عن ابن عباس قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فإنه يناجي الله، وإن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه

(١) معنى يَزُورُ أي يميل وينحرف، المعجم الوسيط ص ٤٠٦.

(٢) المرجع نفسه ٣٠٦/١، والحديث متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب علامات المنافق رقم (٣٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب خصال المنافق رقم (٢١١)، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق رقم (٢٦٣١).

(٣) المرجع نفسه ٣٥٨/٢ عند تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ [الأنفال ٢].

(٤) المرجع نفسه ٦٦٩/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون].

(٥) سورة النساء، الآية [٤٤].

ثم يتلو ابن عباس هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَّالًا﴾^(١) ومن خداعهم ومكرهم أنهم يتخذون الأيمان الفاجرة ليصدقهم الناس فيما يقولون كما قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «أي: اتقوا الناس بالإيمان الكاذبة والحلفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جليلة أمرهم فاعتقدوهم مسلمين فرما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا الغدر ضرر كبير على كثير من الناس»^(٣).

[٢] أن المنافقين يترصدون بالمؤمنين ويكيدونهم ويسعون للتفريق بينهم ويتمنون الهزيمة وزوال دولتهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ﴾^(٤)، يقول ابن كثير: «والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمن خبالاً أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة ويودون ما يُغَيِّت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم»^(٥). وكما قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾^(٦)، يقول ابن كثير: «وهذه

(١) التفسير ٦٩٣/١، سورة النساء، الآية [٤٢].

(٢) سورة المنافقون، الآية [٢].

(٣) التفسير ٤٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية [١١٨].

(٥) التفسير ٤٨٧/١.

(٦) سورة آل عمران، الآية [١٢٠].

الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأيد، وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة - أي جذب - أو أدبل عليهم الأعداء لما لله في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد فرح المنافقون بذلك^(١)، أما مع أعداء المسلمين مع اليهود والنصارى فهم كما قال ابن كثير: «يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾»^(٢) أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين فتكون لهم آياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك»^(٣).

فلذلك نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوهم بطانة كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾»^(٤)، يقول ابن كثير: «يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعون على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم»^(٥)، ومن رحمته سبحانه بالمؤمنين أنه نبه «على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير»^(٦)، ولذلك قال سبحانه:

(١) التفسير ١/ ٤٨٩.

(٢) سورة المائدة، الآية [٥٢].

(٣) التفسير ١/ ٨٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية [١١٨].

(٥) التفسير ١/ ٤٨٧.

(٦) المرجع نفسه ١/ ٦٥ عند تفسير الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ آلَٰخِرَ﴾ [البقرة ٨].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ﴾^(١) قال ابن كثير: «أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل في ذلك سورة براءة، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، ولذلك كانت تسمى الفاضحة»^(٢). فالمؤمنون الصادقون يعرفون المنافقين ويميزونهم، «فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غيبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية»^(٣).

[٣] أن الله سبحانه وتعالى جازى المنافقين بأن طبع على قلوبهم كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤) أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي»^(٥)، وكما قال سبحانه: ﴿إِنْ شَرَّالِدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٦)، قال ابن كثير: «وقال محمد بن إسحاق هم المنافقون، قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا، لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح»^(٧).

(١) سورة محمد، الآية [٢٩].

(٢) التفسير ٢١٣/٤.

(٣) المرجع نفسه ٦٧٤/٣، عند تفسير آية [١٠ من سورة فاطر].

(٤) سورة المنافقين، الآية [٣].

(٥) التفسير ٤٣٥/٤.

(٦) سورة الأنفال، الآية [٢٢].

(٧) المرجع نفسه ٣٧٢/٢.

وأخيراً أرشد ابن كثير رحمه الله إلى أسلوب التعامل مع المنافقين ودعوتهم ومجاهدتهم عند تفسير الآية: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(١) فقال: «وقال ابن عباس رضي الله عنهما، أمر الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم، وقال الضحاك: جاهد الكفار بالسيف وأغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم... وقال الحسن وقتادة: مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم، وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال»^(٢).

ولذلك أرشد الله رسوله ﷺ أن يعرض عنهم ويعظمهم ويقول لهم قولاً بليغاً فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزئهم على ذلك فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكثف يا محمد فيهم، فإن الله عالم بظواهرهم وبواطنهم ولهذا قال له: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي: وانهم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم»^(٤). إلى غير ذلك مما ذكره ابن كثير رحمه الله عن

(١) سورة التوبة، الآية [٧٣].

(٢) التفسير ٤٥٩/٢.

(٣) سورة النساء، الآية [٦٣].

(٤) التفسير ٦٣٤/١.

المنافقين من الوقفات المتعددة^(١)، التي تبين خطرهم وعداوتهم وأنهم الخطر الحقيقي على الأمة الإسلامية والمرض الفتاك في المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان، وهذا يحتم على الدعاة التنبيه لذلك وعدم الاغترار بظاهر أعمال المنافقين فهم العدو الذي يجب الحذر منه.

(١) للاستزادة انظر مثلاً: ٤٨٨/١، ٦٩٣/١، ٢٥٣/٢، ٢٥٤/٢، ٤٤٧/٢، ٤٤٨/٢، ٤٤٩/٢، ٤٥٠/٢، ٤٥٥/٢، ٤٥٩/٢، ٤٦١/٢، ٤٦٣/٢، ٤٦٥/٢، ٤٦٧/٢، ٤٦٨/٢، ٤٧٩/٢، ٥٢٠/٢، ٣٧١/٣، ٤٧٢/٣، ٣٨٧/٤.

المبحث الثاني

منهجه في دعوة غير المسلمين

وفيه مطالب :

المطلب الأول

منهجه في دعوة أهل الكتاب

أهل الكتاب هم اليهود^(١) والنصارى^(٢) لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾^(٣) ، قال ابن كثير: ^(٤) «عن ابن عباس هم اليهود

(١) اليهود هم أمة موسى عليه السلام وسموا يهودا نسبة إلى «يهودا» ابن يعقوب الذي ينتمي إليه بنوا اسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً ، وقيل نسبة إلى اليهود وهو التوبة والرجوع ، وذلك نسبة إلى قول موسى لربه: ﴿إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا ورجعنا إليك يا ربنا ، فسموا هودا ثم حولت إلى يهود والله أعلم ، انظر الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل وناصر القفاري ص ١٨ طبعة دار العصيمي للنشر بالرياض ط الأولى ١٤١٣هـ.

(٢) النصارى نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين وهي التي ولد فيها المسيح ، أو إشارة إلى صفة ، وهي نصرهم لعيسى عليه السلام وتناصرهم فيما بينهم ، وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، [الصف ١٤] انظر المرجع نفسه ص ٦٤.

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٦.

(٤) وقد تكرر اطلاق أهل الكتاب على اليهود والنصارى عند ابن كثير في أكثر من موضع في تفسيره انظر مثلاً ٤٥٦/١ عند تفسير الآية ٦٤ من سورة الأنعام. ٤٢/٢ عند تفسير الآية ١٤ من سورة المائدة ، ٤٧/٢ عند تفسير الآية ١٩ من سورة المائدة ، ٢٧/٢ عند تفسير الآية ٥ من سورة المائدة.

والنصارى»^(١) و «سموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة، وخصوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية باعتبار الأصل»^(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «فأما اليهود والنصارى فهم المراد بأهل الكتاب بالاتفاق»^(٣)، ولقد اعتنى ابن كثير رحمه الله بالحديث عن اليهود والنصارى، وكان رحمه الله على علم وثقافة واسعة بمعرفة ديانة أهل الكتاب - خاصة النصارى - فضلا عن التحريف والتبديل الذي طرأ على كتبهم المقدسة، إضافة إلى ذلك فقد كان العصر الذي عاش فيه ابن كثير هو امتداد للصراع بين المسلمين والنصارى ومن أبرز ملامح منهج ابن كثير في دعوة أهل الكتاب:

[١] دعوة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾^(٤)، يقول ابن كثير: «عن ابن عباس رضي الله عنه: يعني مؤمني أهل الكتاب فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم فقال: ﴿آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ يقول: ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم بالإيمان بالتوراة وما فيها»^(٥).

(١) التفسير ٢/٢٤٥.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٧٩، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٦/٢٥٩، الناشر دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٠٨].

(٥) التفسير ١/٣٠٨.

وكذلك دعوتهم إلى كلمة سواء كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَرَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْثَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما جرى مجراهم... والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَرَ﴾ «أي: عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرهما بقوله «أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا» ولا وثنا ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا بل تفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل... فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم»^(٢).

وكذلك دعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، فقد أخذ الله الميثاق إن جاءهم محمد ليؤمنن به ولينصرنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءِ اتَّيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «ينبغي تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمه، وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته»^(٤).

(١) سورة آل عمران، آية [٦٤].

(٢) التفسير ١/٤٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية [٨١].

(٤) التفسير ١/٤٦٣.

وحينما يدعى أهل الكتاب بالإيمان بمحمد ﷺ فلأن صفته موجودة في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بَشَرُوا أَمْهَم بَعَثَهُ، وَأَمْرُوهُمْ بِمَتَابَعَتِهِ، وَلَمْ تَزَلْ صِفَتُهُ مَوْجُودَةً فِي كُتُبِهِمْ يَعْرِفُهَا عُلَمَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ»^(٢).

وكذلك حينما يُدعى أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد ﷺ فلأن دينه موافق في الأصول إلى ما جاءت به الأنبياء السابقون كما قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِمِائِرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا عَلَى الدِّينِ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم»^(٤).

من أجل هذا أنكر الله عليهم عدم التحاكم إلى ما في التوراة والإنجيل من الدعوة إلى اتباع محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٥)،

(١) سورة الأعراف، الآية [١٥٧].

(٢) التفسير ٣١٧/٢.

وقد ذكر ابن كثير بعضاً من الأدلة على الإيمان بمحمد ﷺ، انظر مثلاً: ٤٢٤/٤ [الصف

آية ٦]، ١٦٠/١ البقرة آية ٩٥، ٤٥٢/١ آل عمران آية ٦١، ١٥٧/١ البقرة ٨٩.

(٣) سورة الشورى- الآية [١٣].

(٤) التفسير ١٢٨/٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية [٢٣].

يقول ابن كثير: «يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتايبهم للذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد»^(١).

[٢] أسلوب دعوة أهل الكتاب: من الأساليب التي ذكرها ابن كثير في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، مجادلتهم بالتي هي أحسن، وكذلك استخدام الترغيب والترهيب، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ونحو ذلك، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٢)، «وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجح فيه.... وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: حادوا عن طريق الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلال، ويقاثلون بما يردعهم ويمنعهم»^(٣).

وأما أسلوب الترغيب فكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»^(٥)، فيقول ابن كثير: «أي لو آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم: ﴿لَكَفَّرْنَا

(١) التفسير ٤٣٨/١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٤٦].

(٣) التفسير ٥١٣/٣.

(٤) سورة المائدة، الآيتان [٦٥-٦٦].

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أي: لأزلنا عنهم المحذور، وأنلناهم المقصود وقوله: ﴿لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني بكثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض^(١).

وأما أسلوب التهيب فكما قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٢) يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى آمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهدداً لهم إن لم يفعلوا بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾، قال بعضهم: معناه من قبل أن نطمس وجوهاً، فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر، ويردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار.....» ﴿أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوا قرده وخنازير^(٣)، وأما التذكير بنعم الله فكما قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾^(٤)، يقول ابن كثير:

(١) التفسير ٩٩/٢.

(٢) سورة النساء، الآية [٤٧].

(٣) المرجع نفسه ١/٦٢٠-٦٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية [٤٠].

«قال مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم... فجّر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى وأنجاهم من عبودية آل فرعون»^(١)، وقال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «يذكرهم تعالى سالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم»^(٣).

[٣] النهي عن التشبه بهم، فقد أكد رحمه الله: «أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»^(٤).... وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص - عليهم لعائن الله - فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعونة»^(٥).

وكذلك النهي عن اتباع طرائقهم كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٦)، يقول ابن كثير: «فيه تهديد ووعيد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة، عياداً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمة مراده»^(٧)، وابن

سورة البقرة

(١) التفسير ١٠٦/١.

(٢) سورة البقرة، الآية [٤٧].

(٣) التفسير ١١٤/١.

(٤) سورة البقرة، الآية [١٠٤].

(٥) التفسير ١٨٦/١.

(٦) سورة البقرة، الآية [١٢٠].

(٧) التفسير ٢٠٤/١.

كثير رحمه الله حينما يُحذّر المؤمنين بأن الله نهاهم عن اتباع طرائق اليهود والنصارى ، وما ذاك إلا لأنهم يحسدون المؤمنين ، فهم أعداء لهم في الظاهر والباطن كما قال سبحانه : ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١) ، يقول ابن كثير : « يُحذّر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعدواتهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم »^(٢) .

ويقول أيضاً عند تفسير الآية : ﴿ وَذَكَرَ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٣) ، « يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين ، وبغيتهم إياهم الإضلال ، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون »^(٤) .

المطلب الثاني

منهجه في دعوة المشركين

معنى الشرك : الشرك كالشريك والجمع أشراك وشركاء وطريق مشترك يستوي فيه الناس ، واسم مشترك يشترك فيه معان كثيرة ، وأشرك بالله جعل له شريكاً في ملكه والاسم الشرك ، والشرك الكفر ، وقد أشرك فلان بالله فهو

(١) سورة البقرة ، الآية [١٠٩] .

(٢) التفسير ١/ ١٩٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية [٦٩] .

(٤) التفسير ١/ ٤٥٨ .

مُشْرِك ومُشْرِكِي^(١).

وفي الاصطلاح: هو أن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى من أصنام أو أوثان أو أشجار أو أحجار أو إنس أو جن أو قبور أو أجرام سماوية أو قوى طبيعية أو غير ذلك^(٢).

والشرك كما قال ابن كثير: «فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق، إلا الثقلين فكادت أن تزول منه لعظمة الله»^(٣).

ولذلك نجده رحمه الله استخدم المنهج العاطفي فاهتم بموضوع الشرك والتحذير منه وبيان آثاره وأضراره في الدنيا والآخرة، وكذلك المنهج العقلي بالرد على المشركين وخرافاتهم وأوهامهم، ودعوتهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وإقامة الحجج والبراهين العقلية على توحيد الله وعلى صدق نبوة محمد ﷺ وكذلك الاحتجاج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية، وبالمنهج الحسي بتمثيله لمن يريد أن يصد عن الحق كمثّل الذي يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة وهذا لا سبيل له، ونحو ذلك مما ذكره ابن كثير رحمه الله وهذا ما سنذكره في هذا المطلب من خلال النقاط التالية:

(١) انظر: لسان اللسان (تهذيب لسان العرب) تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب،

إشراف الأستاذ عبد علي مهنا، ١/٦٦٨، طبعة دار الكتب العربية، ط ١٤١٣ هـ.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د حمود الرحيلي، ص ١٠٠، طبعة دار العلوم والحكم

بدمشق، ط ٢، ١٤٢٤ هـ.

(٣) التفسير ٣/١٧٦، عند تفسير الآية [٩٠ من سورة مريم].

[١١] يؤكد ابن كثير رحمه الله على أن الشرك أعظم الذنوب على الإطلاق، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده»^(٢).

كما أن الشرك محبط لجميع الأعمال يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، يقول ابن كثير في تفسير الآية: «تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه وتعظيم للملاسته»^(٤).

والشرك أعظم الذنوب لأن الله حرم دخول الجنة على المشرك فهو خالد مخلد في النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^(٥)، قال ابن كثير: «أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة»^(٦).

[٢٢] بين ابن كثير رحمه الله جهل المشركين وضلالهم وقلة عقولهم واتباعهم لأهوائهم وآرائهم الفاسدة، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا

(١) سورة النساء، الآية [٤٨].

(٢) التفسير ٦٢١/١.

(٣) سورة الأنعام، الآية [٨٨].

(٤) التفسير ١٩٨/٢.

(٥) سورة المائدة، الآية [٧٢].

(٦) التفسير ١٠٥/٢.

وَيَبَيِّنُكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ^(١)، «في هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره مما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً ولم يأمرهم بذلك ولا رَضِيَ به ولا أرادَه، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه وقد تركوا عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله وأنزل كُتبه أمراً بعبادته وحده لا شريك له ناهياً عن عبادة ما سواه»^(٢).

ويقول عند تفسير الآية: «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ»^(٣)، «يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول إنما أنت مفتر أي كذاب، وإنما هو الرب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد»^(٤).

ويشير رحمه الله إلى أمر مهم وهو أن الذي يقود الكفار والمشركين في أقوالهم وأفعالهم هو تقليد الآباء والأسلاف، واتباع ما يمليه عليه شياطينهم من الجن والإنس، فيقول رحمه الله عند تفسير الآية: «بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»^(٥)، «فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لأبائهم وأسلافهم الحيارى والجهال»^(٦)، وقال عند تفسير

(١) سورة يونس، الآية [٢٩].

(٢) التفسير ٥١٢/٢.

(٣) سورة النحل، الآية [١٠١].

(٤) المرجع نفسه ٧٢٤/٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآية [٩٠].

(٦) التفسير ٣١٨/٣.

الآية: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(١)، «أي: هم لا يتبعون ما شرع الله من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعادات الباطلة والأقوال الفاسدة»^(٢)، فالكفار والمشركون «يعملون أعمالاً سيئة وهم في ذلك يعتقدون أنهم يحسنون صنعا»^(٣) كما أنهم «لا يبالون بما يأتون من منكر القول والعمل لأنهم لا يخافون حساباً ولا عقاباً فهم شر الناس أعمالاً وأقوالاً»^(٤).

[٣] أشار ابن كثير إلى موقف المشركين والكفار من الخير وأهله وأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾^(٥) أي: ندامة حيث لم تجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه ومعلي كلمته ومظهر دينه على كل دين»^(٦)، فالمشركون والكفار «كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس

(١) سورة الشورى، الآية [٢١].

(٢) التفسير ١٣١/٤.

(٣) المرجع نفسه ٦٧٢/٣، عند تفسير الآية (٨ من سورة فاطر).

(٤) المرجع نفسه ٢٧٤/٢، عند تفسير [الآية ٤٥ من سورة الأعراف].

(٥) سورة الأنفال، الآية [٣٦].

(٦) التفسير ٣٨٤/٢، عند تفسير الآية (٣٦ من سورة الأنفال).

عن اتباعه والإقتداء به»^(١)، وما ذلك إلا لأنهم يودون «ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد عن الحق لا يرجى لهم - والحالة هذه - صلاح»^(٢)، فهم كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، «أي: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفأ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة - وهذا لا سبيل إليه - فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر»^(٤).

وقد عاقب الله سبحانه وتعالى دعاة الكفار والضلال «أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم وأوزار آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً»^(٥)، ولذلك فابن كثير رحمه الله يحذر المؤمنين من موالاته المشركين والكفار فقال عند تفسير الآية: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٦)، «نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين أو يتخذوهم أولياء يُسرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعدهم على ذلك فقال: ﴿وَمَن

(١) المرجع نفسه ٧١٩/١، عند تفسير [الآية ١٦٧ من سورة النساء].

(٢) المرجع نفسه ٦٤٤/٢، عند تفسير [الآية ٣ من سورة إبراهيم].

(٣) سورة التوبة، الآية [٣٢].

(٤) التفسير ٤٣٢/٢.

(٥) المرجع نفسه ٥٠١/٣، عند تفسير الآية [١٣ من سورة العنكبوت].

(٦) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ۖ أَي: ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ أَي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته^(١).

كما بيّن رحمه الله الأثر المترتب على عدم موالة المؤمنين ومجانبة المشركين فقال: «إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر فيقع بين الناس فساد وشر طويل عريض»^(٢). [٤] من الأساليب التي بيّنها ابن كثير لدعوة المشركين إلى الله وتوحيده وعبادته دون سواه، دعوتهم لتفهم القرآن كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: «يقول تعالى منكرا على المشركين عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم يُنزل الله على رسوله ﷺ أكمل منه ولا أشرف، لا سيما آبائهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم»^(٤).

(١) التفسير ٤٣٩/١.

(٢) المرجع نفسه ٤١٠/٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية [٦٨].

(٤) التفسير ٣١٤/٣.

وكذلك دعوتهم إلى الرجوع إلى سيرة حياة محمد ﷺ ومعرفة حياته وأخلاقه وصدقه وأمانته كما قال تعالى: ﴿أَمَلْنَا بِمَنْ رُسُومَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُتَكِرُونَ﴾^(١)، يقول ابن كثير «أي أفهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيانيته التي نشأ بها فيهم؟ أفقدرون على إنكار ذلك، والمباهة فيه؟»^(٢). وهو ﷺ «قد نشأ بين أظهرهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بُعث إلاّ الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه، نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها»^(٣).

ومن الأساليب في دعوة المشركين إلى توحيد الله وعدم الإشراك به الاحتجاج عليهم باعترافهم بتوحيد الربوبية وأن الله سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت، وإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤)، وقال عز وجل: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥)، قال ابن كثير: «أي: هم يعترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق»^(٦).

(١) سورة المؤمنون، الآية [١٩٦].

(٢) التفسير ٣/٣١٤.

(٣) المرجع نفسه ٣/٣٨٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية [١٧٨].

(٥) سورة العنكبوت، الآية [٦٣].

(٦) التفسير ٣/٤٥٧، ٤٥٨.

ومن الأساليب في دعوة المشركين، دعوتهم إلى الاعتبار بالسابقين وما حل بهم من النكال والعذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسولهم كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝﴾^(١)، يقول ابن كثير: «قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فخليت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء»^(٢).

فمنهج ابن كثير رحمه الله في دعوة الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وسواء كانوا علماء أو ولاية أو عامة الناس، اشتمل على مختلف المناهج الدعوية سواء كانت عاطفية أو عقلية أو حسية أو غيرها، مما يتعين على الدعاة أن يستفيدوا من منهجه في دعوة المشركين وذلك حسب طبيعة المدعوين منه وحسب الظروف والأحوال المصاحبة^(٣) لذلك.

(١) سورة فاطر، الآية [٤٤].

(٢) التفسير ٦٨٩/٣

(٣) سيكون الحديث عن استفادة الداعية في العصر الحاضر من منهج ابن كثير في الباب الثالث.

الفصل الثالث

منهج ابن كثير في توجيه الدعاة

ويحتوي تمهيداً ومبحثين:

المبحث الأول: التوجيه العلمي للدعاة.

المبحث الثاني: التوجيه العملي للدعاة.

1870

1871

1872

1873

1874

1875

1876

تهديد

إن الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله للناس جميعا، فسعادتهم متوقفة على الالتزام به، والمسلمون جميعا مدعوون إلى الأخذ به والدعوة إليه، ولا شك أن الدعاة إلى الله هم خير وسيلة في نشره وتبليغه، ولئن كانت الحاجة إلى دعاة أكفاء ملحة ودائمة، فإنها في هذا الزمن أشد وأكثر، فعن طريق الدعاة والعلماء يتعلم الناس ما جهلوا من أمر دينهم، ويتمكنون من مواجهة خطر التيارات المادية الجارفة، والتي اتسع نشاطها بواسطة دعائها ومروجيها، فأعداد الدعاة وتوجيههم واجب على الأمة الإسلامية أداء لواجب التبليغ ووفاء بالأمانة التي حملوا إياها^(١).

وفي هذا الفصل سنتحدث عن منهج ابن كثير رحمه الله في توجيه الدعاة العلمي والعملية، والذي يشمل توجيههم بمضمون الدعوة وأساليبها ووسائلها، والعلم بأحوال المدعوين، والتدريب على مهمات الدعوة، والاجتهاد في طلب العلم، والتوجيه بالتخلق بخلق التواضع والقصد والاعتدال، والترفع عن اللغو واجتناب الموبقات والمبادرة إلى التوبة، وأن يكون الداعية قدوة حسنة ونحو ذلك.

(١) انظر: شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق، مبارك الشريف ص ٩-١٠ بحث غير منشور.

المبحث الأول

التوجيه العلمي للداعية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

العلم بمضمون الداعية

الداعية إلى الله هو من يقوم بتبليغ هذا الدين ونشره والدعوة إليه، وحتى يكون الداعية على منهج صحيح ومسار سليم في دعوته، وحتى يكون من ورثة الأنبياء الذين يدعون الناس إلى عبادة الله وتوحيده واتباع شريعته، لابد أن يكون الداعية على بصيرة وعلم ونور من الكتاب والسنة، لأنه بذلك سيسلك الجادة الصحيحة والطريق المستقيم، وبدون علم بشريعة الله ودينه ستعظم جنايته على الدين والأمة؛ لأنه لا يمكن أن يكون دليلاً وهادياً وداعياً إلى الإسلام وشريعته وأحكامه من لا يعرف ذلك، فالجاهل لا يصلح لدعوة الناس وإرشادهم، فالعلم والبصيرة والبيئة لابد من وجودها لدى الداعية حتى تثمر دعوته ويتحقق مقصوده كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١)، فبيّن سبحانه أن الذي يدعو إلى الله على بصيرة

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٨].

يكون من أتباع الرسول ﷺ، أما من يدعو دون بصيرة ولا علم فلا يدخل في مفهوم هذه الآية الكريمة التي بينت صفة أتباع النبي ﷺ؛ لأن الداعية إلى الله سوف يواجه علماء ضلالة يُلقون عليه الشبهات ويجادلونه بالباطل ليدحضوا به الحق، فإذا لم يكن متسلحاً بسلاح العلم والمعرفة فلن يستطيع دحض شبهات المبطلين، وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، وسيلتبس عليه الأمر ويقف في أول الطريق ويهزم أمام أعداء الدين^(١)، فالدعوة إلى الله «عطاء وإنفاق ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة فكيف يعطي غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه ومن لم يملك النصاب كيف يزكي»^(٢).

وابن كثير يؤكد على هذا المعنى ويوجب على الداعية «أن يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي وشرعي»^(٣)، ومن الخطأ عند ابن كثير أن يدعو الإنسان فيما ليس له به علم فيقول عند تفسير الآية: ﴿هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ حَسْبَجَزْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤) «هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم... وأنكر الله عليهم ذلك»^(٥)، وكما قال الشيخ محمد

(١) انظر منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله للشيخ عبد الله المعتاز ص ٤١-٤٢

بتصرف واختصار، طبعة دار السلام بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٢) ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوي، ط. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

(٣) التفسير ٦١٠/٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٥) التفسير ٤٥٦/١.

الغزالي^(١) رحمه الله «وليعلم الداعية أن أسوأ شيء يواجهه في ميدان العمل أن يتحدث إلى قوم حديثا ينبئ عن قصور فكره وعدم فهمه، إن كل ما بينه وبينهم فوق رأسه وسيجد مستمعوه أنهم أعرف منه بالحياة، وأنهم بالتالي أبصر بما يصنعون للسير في دروبها بعيدا عن توجهات هذا الواعظ المسكين الذي لا يدري شيئا عن طبيعتها»^(٢).

وهذا لا يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك داعية إلا إذا استكمل جميع جوانب العلم والمعرفة لأن هذا من الصعوبة بمكان، ولكن لا بد أن يمتلك الداعية المسلم الحد الأدنى من أصول الثقافة الإسلامية وفروعها، ولا بد أن يكون عارفا بصيرا بالمسألة التي يدعو إليها والقضية التي يتحدث عنها^(٣).

المطلب الثاني

العلم بأساليب الدعوة ووسائلها

الداعية الحصيف هو الذي يعرف كيف يُوصَّل دعوته للناس بأيسر الطرق وأفضل الأساليب، وحيث تبرز أهمية معرفة الداعية لأساليب الدعوة

(١) هو الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا، وسماء والده محمد الغزالي تيمنا بالعالم الكبير أبو حامد الغزالي، التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي وحصل منه على الشهادة الثانوية ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة والتحق بكلية أصول الدين، من مؤلفاته: "قذائف الحق"، "هذا ديننا"، "الاستعمار أحقاد وأطماع"، "عقيدة المسلم"، "خلق المسلم"، وغيرها توفي سنة ١٩٩٦م.
المصدر: موقع الشيخ محمد الغزالي على الشبكة العنكبوتية www.alghazaly.org.

(٢) مع الله للشيخ محمد الغزالي، ص ٢٢٥، طبعة المكتبة الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ.

(٣) انظر شخصية الداعية بين التكوين والتطبيق، مبارك الشريف ص ١٧٢ بحث غير منشور.

ووسائلها، وكيفية استخدامه وتطبيقه لها، وابن كثير رحمه الله اعتنى بموضوع أساليب الدعوة ووسائلها وبيان أهميتها وأثره على تبليغ الدعوة ونجاح الداعية، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل القادم «استخدام ابن كثير لأساليب الدعوة ووسائلها».

وفي هذا المطلب سنتحدث عن توجيه ابن كثير للدعاة بالعلم بأساليب الدعوة ووسائلها من خلال النقاط التالية:

[١] العناية بالمقاصد والغايات وتقديمها على الوسائل؛ لأن بعض الدعاة في خضم العمل الدعوي يُعنى بالوسائل على حساب الغايات والأهداف والمقاصد، فيقدم المهم على ما هو أهم، فأحياناً نجد بعض الدعاة يحرصون على تنظيم المؤتمرات والملتقيات الدعوية مثلاً ويجتهدون في العناية بوسائل إخراجها وتنظيمها، وهذا مطلوب ولكن دون الاهتمام والعناية الكافية بدراسة واختيار أهداف هذا الملتقى وطبيعة الموضوعات المطروحة فيه ومناسبتها للمدعوين ومدى حاجتهم إليها، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على إياك نستعين؛ لأن العبادة هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم^(٢).

[٢] يرى ابن كثير رحمه الله أن أسلوب مدح المخاطب والثناء عليه ثم سؤاله المطلوب ودعوته إلى المقصود أنجح للحاجة وأنجح للإجابة، فيقول رحمه الله عند

(١) فاتحة الكتاب، الآية [٥].

(٢) التفسير ١/ ٣٨.

تفسير الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾ ناسب أن يعقب بالسؤال.. وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ثم يسأله حاجته، لأنه أنجح للحاجة وأنجح للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَتَرَكْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢) وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول كقول ذي النون ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) ﴿٤﴾.

[٣] توجيه ابن كثير رحمه الله الداعية في استخدام الأمثل في أسلوب الدعوة إلى الله وذلك بمعرفة طبيعة المدعويين، فإن كانوا حكاما فالأسلوب المناسب في حقهم دعوتهم بالرفق واللين، وإن كانوا من العلماء النابهين فتكون دعوتهم بالحوار المبني على الحجج العقلية والدلائل القطعية، وإن كانوا من أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام وبيان حاجة الناس إليه، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٢﴾﴾، «هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العزة والاستكبار وموسى

(١) فاتحة الكتاب، الآية [٦].

(٢) سورة القصص، الآية [٢٤].

(٣) سورة الأنبياء، الآية [٨٧].

(٤) التفسير ٣٩/١.

(٥) سورة طه، الآية [٤٣ - ٤٤].

صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين... ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»^(١).

وأما الأسلوب الأمثل في حوار العلماء ودعوتهم فابن كثير يوجهك إليها الداعية بأن «تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح فيها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم»^(٢).

وأما دعوة أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام وحاجة الناس إليه، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٣) «يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتبيهم، وأنه بعثه بالبينات، والفرق بين الحق والباطل... ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٤) أي طريق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥)، أي: ينجيهم من المهالك ويوضح لهم

(١) التفسير ١٩٥/٣.

(٢) المرجع نفسه ١٢/١.

(٣) سورة المائدة الآية [١٥].

(٤) سورة المائدة الآيتان [١٥-١٦].

(٥) سورة المائدة الآية [١٦].

أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور ويحصل لهم أحب الأمور وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة»^(١).

[٤] من الأساليب التي أشار ابن كثير إلى أهميتها وأثرها في الدعوة إلى الله أسلوب القصة، واستشهد بقصة موسى عليه السلام وذكر أنه «كثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابة العزيز؛ لأنها من أعجب القصص، فإن فرعون حَزِرَ من موسى كل الحذر، فَسَخَّرَ القدر أن رَئى هذا الذي يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم ترعرع وعقد الله له سببا أخرجه من بين أظهرهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه... ولم تزل الحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئا بعد شيء ومرة بعد مرة بما يبهز العقول ويدهش الألباب مما لا يقوم له شيء ولا يأتي به إلا مؤمن ومؤيد من الله»^(٢).

[٥] الجمع بين الترغيب والترهيب من الأساليب التي نبه عليها ابن كثير فقال «كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾»^(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾»^(٤) وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

(١) التفسير ٤٥/٢.

(٢) المرجع نفسه ٥٢٦/٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية [١٦٥].

(٤) سورة الرعد، الآية [٦].

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ»^(١) وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه»^(٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٣) يقول ابن كثير: «إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ» أي: لمن عصاه وخالف شرعه، وأنه لغفور رحيم أي لمن تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس، فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف»^(٤).

وغيرها من الأساليب والوسائل التي ذكرها ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره ووجه الدعاء إليها، ومارسها ودعا إليها، مما سنتحدث عنه في الفصل القادم «استخدام ابن كثير لأساليب الدعوة ووسائلها».

المطلب الثالث

العلم بأحوال المدعويين

إن معرفة أحوال المدعويين من أهم جوانب العلم التي يتعين على الداعية معرفته، ومتى ما كان الداعية على معرفة ودراية بأحوال المدعويين استطاع بإذن الله أن يحدد الوسائل والأساليب المناسبة لدعوتهم، وبالتالي يتمكن من التأثير

(١) سورة الحجر، الآية [٤٩-٥٠].

(٢) التفسير ٢/٢٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية [١٦٧].

(٤) التفسير ٢/٣٢٦.

عليهم، وتحقيق الهدف المنشود من دعوتهم، ولأهمية هذا الجانب من العلم للدعاة أرشد الرسول ﷺ معاذ بن جبل ؓ وبين له حال المدعوين عندما أرسله إلى اليمن بقوله «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب»^(١).

وابن كثير رحمه الله اعتنى بمعرفة حال المدعوين وتصنيفهم وتحديد طبيعتهم وصفاتهم وخصائصهم وذلك من خلال تفسيره، فقد تحدث عن أحوال الناس والاختلافات بينهم فذكر اليهود والنصارى وصفاتهم وخصائصهم وكذلك الدعاة إلى الضلالة والاتباع والملا والعامة، وغير ذلك مما ذكره مما سنتحدث عنه على سبيل الإيجاز حسب النقاط التالية:

[١] قَسَمَ ابن كثير الناس من حيث الإيمان والكفر إلى «مؤمنين خُلصَ وهم الموصوفون بالآيات الأربع من أول سورة البقرة، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها، ومنافقون وهم قسمان خُلص... ومنافقون مترددون تارة يظهر لهم لُمع من الإيمان وتارة يخبوا»^(٢)، ثم توسع في التقسيم فذكر: «أن المؤمنين صنفان: مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضاً صنفان: منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص ؓ عن النبي ﷺ: (ثلاث

(١) الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا رقم (١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم (٢٩).

(٢) التفسير ١/٧٤. عند تفسير الآية ١٩، ٢٠ من سورة البقرة.

من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب وإذا واعد أخلف وإذا أؤتمن خان»^(١). وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مُصَفَّح، فأما الأجرد فقلب المؤمن سراج فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المُصَفَّح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة، يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم، فأَيُّ المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه)^(٢).

[٢] وبناء على أقسام الناس من حيث الإيمان والكفر، فابن كثير رحمه الله يحدد الأسلوب والمنهج المناسب لدعوة كل قسم ومراعاة حاله، فدعوة أهل الكتاب تختلف عن دعوة المشركين ودعوة غير المسلمين تختلف عن دعوة المسلمين، بل إن حال اليهود من أهل الكتاب يختلف عن النصارى، والمشركون أنفسهم تختلف أحوالهم، فمنهم الجاهل ومنهم المكابر والمعاند ومنهم الداعية إلى كفره وضلاله، ومنهم الأتباع والمقلدون وهكذا.

وكذلك المسلمون منهم العصاة ومنهم المبتدعة والمنافقون ونحو ذلك مما سبق

(١) الحديث متفق عليه وأخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب علامات النفاق رقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان باب خصال المنافق رقم (٥٨) والترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق بلفظ: أربع من كن فيه كان منافقا رقم (٢٦٣٢).

(٢) التفسير ٧٥/١. عند تفسير الآيتين ١٩، ٢٠ من سورة البقرة، والحديث أخرجه أحمد بسند أبي سعيد الخدري، رقم (١١١٢٩) ٢٠٨/١٧، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

أن أشرنا إليه في المباحث السابقة^(١)، فمثلا يذكر رحمه الله عن طبيعة اليهود «أنهم يكثرون العصيان لأوامر الله، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله»^(٢)، ويقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣): «وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ورسوله، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يسترها الليل، هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه»^(٤).

أما النصارى فإن «جهلهم ليس له ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقد - عيسى عليه السلام - إلها ومنهم من يعتقد شريكا، ومنهم من يعتقد ولدا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأحوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لا فترقوا على أحد عشر قولا»^(٥).

وأما الكفار فمنهم «الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا، فإذا وافى الله يوم القامة وحاسبه عليها، ونوقش على

(١) انظر ص ٤٩٧-٥٦٢.

(٢) التفسير ٤٨٦/١ عند تفسير الآية (١١٢) من سورة آل عمران.

(٣) سورة المائدة، الآية [٢٦].

(٤) المرجع نفسه ٥٤/٢.

(٥) المرجع نفسه ٧٢١/١.

أفعاله لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل... وهذا مثال لذوي الجهل المركب، أما أصحاب الجهل البسيط.... المقلدون لائمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمْتُمْ فِي تَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾^(١) فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب ولا هو يعرف حال من يقوده بل كما يقال في المثال للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم، وقيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري^(٢).

كما يشير رحمه الله إلى أن الرعية دائماً هم على دين ملوكهم، فقال عندما ساق قصة موسى مع سحرة فرعون: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ﴾^(٣) ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملوكهم^(٤).

[٣] ومن الأمور ما لفت ابن كثير رحمه الله النظر إليه، فيما يتعلق بحال المدعو، وهو أن لا يتحدث الداعية بكلام يستغله السامع ويوظفه توظيفاً يتناسب مع مقاصد وأغراض يريد بها بحيث تكون عاقبتها مضرة وسيئة على الإسلام والمسلمين، فقد أورد رحمه الله قصة الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه مع الحجاج^(٥)

(١) سورة النور، الآية [٤٠].

(٢) التفسير ٣/٣٦٩.

(٣) سورة الشعراء، الآية [٤٠].

(٤) التفسير ٣/٤١٥.

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح ابن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبدالله بن الزبير وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. توفي سنة ٩٥ هـ. الأعلام ٢/١٦٨.

حيث ندم على روايته حديث العرينين للحجاج ؛ لأنه استغل ذلك في تبرير بطشه وطغيانه وإراقتة للدماء فقال رحمه الله : «عن أنس بن مالك قال ما ندمت على حديث ، ما ندمت على حديث سألتني عنه الحجاج قال : أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله ﷺ ، قال قلت : قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينه من البحرين فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما لقوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضخمت بطونهم فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ، حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت بطونهم غدوا على الراعي فقتلوه واستاقوا الإبل ، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر^(١) أعينهم ، ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا ، فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول : إن رسول الله ﷺ قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا لحال ذود ، كان يحتج بهذا الحديث على الناس»^(٢).

(١) سمر العين : سملها أي فققها ، القاموس المحيط مادة (سمر) ص ٤٠٩ ، طبعة مؤسسة الرسالة ط ٦ ، ١٤١٩ هـ.

(٢) التفسير ٦٤/٢ . والحديث أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة رقم (٦٨٠٢) .

ويمكن الرجوع إلى ما أورده الأستاذ جمال سلطان في كتابه أزمة الحوار الديني ١٧-٢٠ طبعة دار الصف بمصر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ، من استغلال البعض لأحاديث بعض الدعاة وتوظيفه توظيفاً سيئاً ضد الإسلام وشريعته وضد الدعوة إلى الله والمجاهدين في سبيله ، وقد أعجبتني كلمة لأحد الدعاة الأفاضل حيث يقول : « يجب عليك أن لا تقول الباطل ، ولكن لا يجب عليك أن تقول الحق في كل زمان ومكان ».

وكذلك من الأمور التي أشار إليها ابن كثير فيما يتعلق بحال المدعو هو أهمية مخاطبة المدعويين على قدر عقولهم، فيقول عند تفسير الآية: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الَّذِينَ كَرِهُوا﴾^(١) «أي: ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله)»^(٢).

المطلب الرابع

التوجيه للصفات الذاتية للداعية

الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء، فهم الهداة إلى الله وهم القوامون على دينه، والذائدون عن حرمانه والواقفون على مفترق الطريق، يرشدون الحيارى ويصبرونهم، وهم المبلغون عن الله ورسوله دين الحق وهداية الخلق^(٣)، لذا

(١) سورة الأعلى، الآية [٩].

(٢) المرجع نفسه ٥٩٢/٤. وخبر علي أخرجه البخاري كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا رقم الباب (٤٩) ص ٢٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض ط ٢، ١٤١٩هـ.

وهناك بعض اللفظات التي ذكرها ابن كثير فيما يتعلق بمعرفة حال المدعو، منها: أن طباع بعض الناس مجبولة على مخالفة ما يؤمرون به. انظر: التفسير ٦٣٧/١ عند تفسير الآية ٦٦ من سورة النساء. وأن الإنسان إذا حصلت له شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير في المستقبل وجحود للماضي كأنه لم ير خيراً، انظر التفسير ٥٤٠/٢ عند تفسير الآية ٩ من سورة هود. وكذلك كثرة مجادلة الإنسان ومعارضته للحق بالباطل إلا من رحم الله. انظر: التفسير ١١٦/٣ عند تفسير الآية ٥٤ من سورة الكهف.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله. حمد العمار ص ١٠٤، طبعة كنوز إشبيلية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

لابد لمن يتصدى لهذا الأمر أن يتصف بالصفات التي تؤهله للقيام بعمل الأنبياء والرسل من قبل، وهذه الصفات إما أن تكون ذاتية وفطرية أو مكتسبة، كما أن هناك صفات سلوكية وعملية.

وفي هذا المطلب سنتحدث بإيجاز عن بعض الصفات الذاتية كالإخلاص والصدق والصبر وقوة الصلة بالله عز وجل والالتجاء إليه والتوكل عليه، وفي مباحث أخرى ستعرض لبعض الصفات العملية: كالتواضع والقصد والاعتدال والترفع عن اللغو واجتناب الموبقات والمبادرة بالتوبة والتدريب على مهمات الدعوة وطلب العلم وغيرها من الصفات الأخرى.

أولاً: الإخلاص:

معنى الإخلاص في اللغة: هو الصفاء من الكدر والشوائب^(١).

وفي الاصطلاح: التبري عن كل ما دون الله تعالى^(٢).

وعرفه الجرجاني: «بأنه تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه»^(٣).

والإخلاص هو روح الدين ولب العبادة كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٤)

«أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له»^(٥).

(١) مختار الصحاح للرازي ص ١٨٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٥٤.

(٣) التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري ص ٢٨.

(٤) سورة الزمر، الآية [٣].

(٥) التفسير ٥٤/٤.

والإخلاص أحد ركني العمل المتقبل، وهو شرط في صحة العمل وقبوله عند الله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) قال ابن كثير: «فليعمل عملا صالحا وهو ما كان موافقا لشرع الله، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له. وهذان ركننا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله»^(٢). وكما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣) أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في مجالها وهي متابعة المرسلين - فيما أخبروا به عن الله وما جاءوا به من الشرائع، وبالإخلاص في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين، أن يكون صوابا موافقا للشريعة، وأن يكون خالصا من الشرك»^(٤)، وكما يجب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له فلا بد أيضا إخلاص التوكل عليه: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رِزْقًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥) قال ابن كثير: «فهذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل»^(٦).

فالحاصل أن الإخلاص له أثر كبير على الأعمال والطاعات فالعبد «إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل»^(٧).

(١) سورة الكهف، الآية [١١٠].

(٢) التفسير ١٣٨/٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية [٢٩].

(٤) التفسير ٢٦٥/٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية [١٦٤].

(٦) التفسير ٢٥٣/٢.

(٧) المرجع نفسه ٧١٥/٢.

ويتجلى الإخلاص عند الداعية في أنه لا يريد من دعوته إلا وجه الله فلا يبالي بالناس، ولا يسعى إلى مدحهم وثنائهم، لأنه لا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، ولا يهمله كثيراً أن يكون مرفوعاً أو يكون مغموراً بين الناس، وليس معنى هذا أن يكون حريصاً أن يذمه الناس أو يسيئون الظن به، كلا، وإنما ينبغي له أن يسير في الدعوة على الطريق السوي لا يريد إلا وجه الله^(١).

ثانياً: الصدق:

معنى الصدق لغة: هو مطابقة الحكم للواقع^(٢).

وفي الاصطلاح: هو ضد الكذب وهو الإبانة عما يخبر على ما كان^(٣).

والصدق كما قال ابن كثير: «خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة لم تجرب عليه كذبة لا في جاهلية ولا في الإسلام وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، ومن صدق نجاً»^(٤).

وقد أمر الله تعالى بالصدق وحث عليه فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) «أي: اصدقوا والزمووا تكونوا مع أهله وتنجو من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم، ومخرجاً، عن عبدالله - هو ابن

(١) انظر: صفات الداعية لمحمد الصباغ ص ٤٤-٤٥، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

(٢) التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري ص ١٧٤.

(٣) المرجع نفسه ص ١٧٤.

(٤) التفسير ٦٠٠/٣.

(٥) سورة التوبة، الآية [١١٩].

مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)^(١)، وكذلك صدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة... ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾^(٢)، وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به^(٣)، ولما كان عليه الصلاة والسلام صادقاً كان أمره سديداً ومنهجه مستقيماً، بخلاف لو كان كاذباً لظهر أمره واضطربت أقواله وأفعاله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٤) يقول ابن كثير «أي لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذباً كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، فتكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقيماً»^(٥).

فالصدق من الأخلاق المهمة للدعاة إلى الله، وذلك حتى تكون أمورهم سديدة ومناهجهم مستقيمة، وعلامة صدق الداعية أن يظهر أثر هذا الصدق

(١) التفسير ٤٩٢/٢، والحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ رقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وتقبله رقم (٢٦٠٧)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب رقم (٤٩٨٩)، والترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب رقم (١٩٧١).

(٢) سورة مريم، الآية [٥٤].

(٣) التفسير ١٥٩/٣.

(٤) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٥) التفسير ٩٣/٤.

على وجهه وصوته فيؤثر في المخاطب، وينفذ إلى أعماق قلبه ويحمله - بإذن الله - على قبول قوله والاستجابة له.

ثالثاً: الصبر:

معنى الصبر لغة: حبس النفس وكفها عن الجزع^(١).

وفي الاصطلاح: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، عما يقتضيان حبسهما عنه^(٢).

والصبر صفة أساسية للداعية؛ لأن طريق الدعوة ليس ممهداً معبداً، ولا مفروشاً بالورود والرياحين، بل هو في الغالب طريق صعب ووعر، تملؤه الأشواك والعقبات قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾^(٣) فلقد أعقب الأمر بالدعوة الأمر بالصبر، مما يدل على أن طريق الدعوة لا يمكن للمرء أن يقطعه إن لم يتذرع بالصبر^(٤).

يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر»^(٥).

(١) مختار الصحاح للرازي ص ٣٤٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني ص ٢٧٣.

(٣) سورة لقمان، الآية [١٧].

(٤) انظر: صفات الداعية لمحمد الصباغ، ص ٤٩، مرجع سابق.

(٥) التفسير ٥٥٠/٣.

ولذلك أمر الله سبحانه نبيه بالصبر على ما يناله في طريق دعوته فقال سبحانه: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(١) قال ابن كثير: «تأكيد للأمر بالصبر، وإخبار بأن ذلك إنما ينال بمشيئة الله وإعانتة وحوله وقوته»^(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمْ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^(٣) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٤) «أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر، فلا يهيدنك»^(٥) ذلك ولا يشيك عن إبلاغ رسالتك»^(٥).

فالداعية مأمور بالصبر على ما يلاقه في طريق دعوته؛ لأن «كل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى، فماله دواء إلا الصبر في الله والاستعانة بالله والرجوع إلى الله عز وجل»^(٦). والدعاة كذلك مأمورون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر كما قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ﴾^(٧) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٨) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٩) قال ابن كثير: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقذار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر»^(٨).

فالخلاصة أن صبر الداعية على أوامر الله وطاعته وعبادته يجعله من الأئمة الذين يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) سورة النحل، الآية [١٢٧].

(٢) التفسير ٧٣٢/٢.

(٣) سورة الحجر الآيات [٩٧ - ٩٨].

(٤) أي لا يعدلك عن طريق الهدى والرشاد، المعجم الوسيط ص ٩٧٩.

(٥) التفسير ٦٩١/٢.

(٦) المرجع نفسه ٥٣٣/١.

(٧) سورة العصر.

(٨) التفسير ٦٥٧/٤.

مِنْهُمْ أَيْمَةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِرَأْيِنَا يُوقِنُونَ»^(١) قال ابن كثير: «أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيهِ وزواجرهِ وتصديق رسلهِ، واتباعهِ فيما جاؤوا به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.... قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»^(٢).

رابعا: قوة الصلة بالله:

إن تقرب الداعية إلى ربه وحرصه على توثيق الصلة به والتوكل عليه من أهم أسباب نجاحه في دعوته، وابن كثير رحمه الله يوجه الدعاة ويحثهم على تقوى الله وطاعته ومحبة والتوكل عليه وهذا - بإذن الله - كفيل أن يوفق الداعية لمعرفة الحق ووضوحه وبيانه ودعوة الناس إليه. يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٣) «قال ابن عباس والسدي ومجاهد... فرقانا مخرجاً، وزاد مجاهد في الدنيا والآخرة، وفي رواية عن ابن عباس فرقانا نجاة... وقال محمد بن إسحاق «فرقانا» أي فصلاً بين الحق والباطل، وهذا التفسير من ابن اسحاق أعم مما تقدم، وقد يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجرهِ، وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة»^(٤).

(١) سورة السجدة، الآية [٢٤].

(٢) التفسير ٥٧١/٣ - ٥٧٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية [٢٩].

(٤) التفسير ٣٧٧/٢.

ويقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١) «أي: لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولذا قال سعيد بن المسيب: التوكل على الله جماع الإيمان»^(٢) فالتوكل على الله «هو العمدة في الهداية والعدة في مباحدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد»^(٣).

ومما يرشد إليه ابن كثير في تقوية صلة المؤمن والداعية بالله سبحانه دعاؤه والتضرع إليه كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٤)، يقول ابن كثير: «والمراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه تعالى»^(٥)، ومما يقوي صلة المؤمن والداعية بربه الاستمرار على الطاعة كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٦)، «أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه»^(٧).

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٢].

(٢) التفسير ٣٥٩/٢.

(٣) المرجع نفسه ٤٧٤/١.

(٤) سورة البقرة الآية [١٨٦].

(٥) التفسير ٢٧١/١.

(٦) سورة آل عمران، الآية [١٠٢].

(٧) التفسير ٤٧٥/١.

المبحث الثاني

التوجيه العملي للدعاة

توطئة:

إن الدروس العلمية والتوجيهات النظرية ليست وحدها كافية لإعداد جيل من الدعاة قادر على القيام بمهمة الدعوة وتبليغها، لذلك لابد من الإعداد السلوكي والتدريب العملي للدعاة وهو ما كان يفعله ﷺ مع صحابته الكرام. فقد كان ﷺ يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام وكان مع ذلك يطلب منهم الممارسة العملية لتطبيق هذا الدين والدعوة إليه وتبليغه والجهاد في سبيله، وهكذا سار الدعاة والمصلحون من بعد الرسول ﷺ، وابن كثير رحمه الله من الدعاة الذين تربوا في مدرسة ابن تيمية الإصلاحية والدعوية، لذلك نرى حرصه واضحا على الدعوة وتدريب الدعاة من خلال التوجيهات لبعض الأعمال والمهام التي تفيدهم في حياتهم العملية، وكذلك من خلال الممارسات العملية التي كان يقوم بها رحمه الله في مجال الدعوة إلى الله، وستحدث في هذا المبحث عن بعض هذه التوجيهات العملية لإعداد الدعاة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

التدريب على مهام الدعوة

من أساسيات الإعداد العملي للدعاة إلى الله التدريب والتوجيه لمزاولة مهام الدعوة بشتى أنواعها، تحت إشراف أساتذة الدعوة المخلصين العاملين فيها، وابن كثير رحمه الله من هؤلاء الدعاة المخلصين والأساتذة المجربين، فقد

مارس الدعوة والإصلاح مع المسلمين وغير المسلمين، ومع العلماء والأمراء وغيرهم من أصناف المدعويين ممن سبق أن تحدثنا عنهم في المباحث السابقة. وفي هذا المطلب سنشير إلى توجيه ابن كثير لبعض الأعمال والمهمات التي من شأنها إفادة الدعاة في حياتهم العملية سواء فيما يتعلق بالدعوة أو المدعويين أو أساليب الدعوة ووسائلها، إضافة إلى ذكره بعض الأمثلة التي تدل على بعض المواقف العملية التي مارس من خلالها التدريب على مهمات الدعوة، فمن هذه التوجيهات:

[١] حرص ابن كثير على الاهتمام بالتدريب والتمرين - منذ الصغر - على ممارسة العبادة وفعل الخير والدعوة إليه، حتى يألف الصبي الخير ويحبه ويتعود عليه يقول رحمه الله تعليقاً على حديث الرسول ﷺ: (مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)^(١). «وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق»^(٢)، فالتدريب والتمرين على الممارسة العملية للطاعة وفعل الخير والدعوة إليه في سن مبكرة يجعل الإنسان داعية وقدوة لغيره، وكذلك يسهل عليه تطبيق ما يدعو إليه ويجعله محبباً إليه.

[٢] من التوجيهات العملية للتدريب على مهمات الدعوة أنه لا بأس أن يعرف الداعية نفسه لغيره، ويمدحها ويذكر ما عنده من المواهب والقدرات والإمكانات إذا دعت الحاجة إلى ذلك، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿قَالَ

(١) الحديث أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة رقم (٤٩٤)، والترمذي كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة رقم (٤٠٧).

(٢) التفسير ٤/٤٦١.

أَجْعَلَنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا^(١) «مدح نفسه - أي يوسف - ويجوز ذلك إذا جهل أمره للحاجة»^(٢).

[٣] ومن التوجيهات العملية أن الداعية لو عمل عملاً لله، فاطلع عليه غيره فأعجبه ذلك فإن هذا لا يكون من الرياء، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْءَوْنَ﴾^(٣) «أن من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياءً والدليل على ذلك ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي، فدخل عليّ رجل فأعجبني ذلك فذكرته للرسول ﷺ فقال: (كتب لك أجران أجر السر وأجر العلانية)^(٤)».

[٤] ومن التوجيهات العملية: انتهاز الفرص واستغلال المناسبات يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَصْنَعِي السَّجْنَاءُ أَنْ تَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٥) «جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام، لما رأى في سجيتهما قبول الخير والإقبال عليه والإنصات إليه، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما»^(٦).

الهوامش:

(١) سورة يوسف، الآية [٥٥].

(٢) التفسير ٥٩٤/٢.

(٣) سورة الماعون، الآيتان [٦-٧].

(٤) التفسير ٦٦٨/٤.

(٥) سورة يوسف الآية ٣٩.

(٦) التفسير ٥٩٠/٢.

فالداعية الناجح هو الذي يحسن استغلال الفرص والمناسبات الكثيرة ويوظفها في سبيل دعوته ، خاصة إذا توسم في المدعو الخير وقبول الدعوة.

[٥] ومن التوجيهات العملية: ترتيب الأولويات في الدعوة والعناية بما هو أهم وما يحتاجه المدعو ، وهذا ما يفعله الرسول ﷺ كما يقول ابن كثير: «أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم»^(١) ، وكذلك لما وجه ﷺ الداعية معاذ بن جبل إلى اليمن رسم له منهجا دعويا يقوم على ترتيب الأولويات في الدعوة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: (إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)... الحديث»^(٢).

[٦] ومن التوجيهات العملية تنوع أوقات الدعوة وأساليبها كما فعل نوح عليه السلام مع قومه ، فدعاهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾^(٣) قال ابن كثير: «ثم إنني دعوتهم جهارا ، أي جهرة بين الناس رغم أنني أعلنت لهم ، أي كلاما ظاهرا بصوت عال... وأسرت لهم إسرارا ، أي فيما بيني وبينهم ، فنوع الدعوة عليهم لتكون

(١) المرجع نفسه ٣٤٢/٢ عند تفسير الآية ١٨٧ من سورة الاعراف.

(٢) سبق تخريجه ص ٥٧٤.

(٣) سورة نوح الآيتان [٨-١٩].

أنجع فيهم»^(١). وهكذا الداعية ينبغي أن ينوع أساليب دعوته وطرقها العملية حسب حال المدعوين وحسب الظروف الاجتماعية والبيئية التي يعيشها الداعية، فينوع دعوته من الجهرية والسرية والفردية والجماعية حسب ما تقتضيه المصلحة وحسب البيئة المحيطة والملائمة.

[٧] ومن التوجيهات العملية للداعية أن تعم دعوته جميع الناس، فالأصل في الداعية أن تشمل دعوته جميع فئات المجتمع، وهذا لا يتنافى أن يتخصص بعض الدعاة في دعوة فئة معينة من الناس، ولكن الأصل أن الداعية مطالب بإيصال دعوة الخير لجميع الناس دون استثناء ما استطاع إلى ذلك سبيلا، خاصة من كانت رغبته في الخير شديدة وتقبله للدعوة واضحا، ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم لما أعرض عن ابن أم مكتوم فقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۖ فَأَنْتَ عَنْتُ تَلْهَىٰ﴾^(٢) قال ابن كثير: «﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ» أي: يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له: ﴿فَأَنْتَ عَنْتُ تَلْهَىٰ﴾ أي: تتشاغل ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، له الحكمة والحجة»^(٣).

(١) التفسير ٥٠١/٤.

(٢) سورة عبس الآيات [٨-١١].

(٣) التفسير ٥٥٥/٤.

وأخيراً نختم هذا المطلب بذكر بعض المواقف والأمثلة التي مارس فيها ابن كثير التدريب على مهمات الدعوة فمن الأمثلة:

* مقابله للشاب الصغير الذي كان يحفظ القرآن وعمره ست سنوات وامتحان ابن كثير لحفظه، فوجده يجيد الحفظ والأداء وقد صلى بالناس في شهر رمضان في سنة ٧٤٧هـ^(١).

* والمثال الثاني: حضور الشاب الأعجمي من بلاده ومقابلة ابن كثير، وقراءته عليه وإجازة ابن كثير له كتابته له بالسماع على الإجازة وفرح الشاب الأعجمي بذلك وقوله لابن كثير: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك وأن تميزني، وذكرك عندنا في بلادنا مشهور^(٢).

المطلب الثاني

الحث على الاجتهاد في طلب العلم والعمل به

لكي يقوم الداعية إلى الله بمهام الدعوة خير قيام، فإن عليه أن يحصل من العلوم ما تتطلبه أعمال الدعوة إلى الله حتى يتمكن من تعليم الناس ودعوتهم على الوجه الصحيح فلا يزيغ في عقيدة ولا يخطئ في حكم ولا يعجز عن إقناع النفوس المتطلعة إلى معرفة أحكام الأسرار الشرعية، فيكون الإذعان له أتم، والقبول منه أكمل، فأما الجاهل فضال مضل وضرره أقرب من نفعه، وما

(١) البداية والنهاية ٤٨٩/١٨.

(٢) المرجع نفسه ٦٥٩/١٨ في حوادث سنة ٧٦٣هـ.

وللاستزادة يمكن الرجوع إلى كتاب علم النفس الدعوي للاستاذ الدكتور محمد زين الهادي ففيه مباحث مهمة حول موضوع التدريب على مهمات الدعوة من ص ١٤٥ - ١٥٩، طبعة مطابع السودان للعملة بدون تاريخ.

يفسده أكثر مما يصلحه بل لا يُصلح أصلاً إذ لا تميز لجاهل بين الحق والباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس^(١).

لذا يجب على كل داعٍ إلى الله العلم بشرع الله تعالى وبالحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز، وما يسوغ فيه الاجتهاد وما لا يسوغ فيه، وعليه أن يستزيد من هذا العلم الشرعي ليعرف موضوع دعوته حق المعرفة ويكون على بينة فلا يأمر إلا بالحق ولا ينهى إلا عن الباطل^(٢)، ولأهمية طلب العلم للداعية وضرورته، وأن الداعية الموفق هو الذي يدعو إلى الله على علم وهدى وبصيرة، نجد أن ابن كثير رحمه الله اعتنى بالعلم وبيان قيمته ومنزله والحث على تعلمه والعمل به، يقول ابن كثير عن تفسير الآية: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣)، «من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يسلمتزمها من غير عكس»^(٤).

كما نبه رحمه الله إلى منزلة العلماء وفضلهم فقال عند تفسير الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

(١) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشيخ علي بن صالح المرشد ص ٢١٢، طبعة مكتبة لينه للنشر والتوزيع بدمهور. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٣١٥.

(٣) سورة العلق، الآية [٥].

(٤) التفسير ٦٣٠/٤.

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ»^(١) «وإذا تقرر... أن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الإمام أحمد: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك إليَّ أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا؟ قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه به أخذ بحظ وافر)^(٢).

وقد حث ابن كثير على طلب العلم وتعلمه والعمل به كما ذكر رحمه الله آداب طالب العلم وتعليمه، فيقول رحمه الله: «قال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا»^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية [٣٢].

(٢) التفسير ٦٨٢/٣ والحديث أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب فضل العلم رقم (٣٦٤١)، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم (٢٢٣).

(٣) المرجع نفسه ٦٧٩/٣ عند تفسير الآية [٢٨] من سورة فاطر.

ويبحث ابن كثير على تعلم العلم منذ الصغر وفي فترة مبكرة من حياة الإنسان فيقول: «عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(١)»، كما أشار رحمه الله إلى ضرورة العمل بالعلم فقال عند تفسير الآية: ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢): «عن عكرمة عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئا وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله.... وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية)... فالعالم بالله ويأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض»^(٣)، وكذلك أشار رحمه الله إلى الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم كسؤال العالم بأدب ولطف وليس على وجه الإلزام والإجبار، يقول عند تفسير الآية: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾^(٤)، «سؤال بتلطف لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم»^(٥).

ومن الآداب التي ذكرها «النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته، فالأولى الإعراض عنها وتركها»^(٥)، وكذلك الشيء الذي ليس

(١) سورة الأنبياء، الآية [٦٠].

(٢) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٣) التفسير ٦٧٩/٣.

(٤) سورة الكهف الآية ٦٦.

(٥) التفسير ١٢٣/٣.

(٥) المرجع نفسه ١٣٨/٢.

في ذكره فائدة ولا مقصد شرعي فلا يتعين معرفته، يقول ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ ثَقُرُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾^(١) «وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا مقصد شرعي... ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه»^(٢).

وغيرها من الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية العالم وطالب العلم^(٣).

المطلب الثالث

توجيه الداعية للتواضع

التواضع هو التذلل والتخاشع^(٤). فهو إذن الخشوع لله وخفض الجناح تذلاً للمؤمنين ولين الجانب لعامة الناس، وقبول الحق ممن قاله أياً كان، ونقيض التواضع الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس، والتواضع من الأخلاق الفاضلة والصفات العالية، به يتحقق التألف والود، ولا يعرف التواضع إلا من عرف ربه ونفسه^(٥).

(١) سورة الكهف، الآية [١٧].

(٢) المرجع نفسه ٩٨/٣.

(٣) انظر مثلاً المرجع نفسه ٥٣/٤ عند تفسير الآية [٨٦] من سورة ص، وكذلك ٦٢٣/٤ عند تفسير الآية [١٠] من سورة الضحى.

(٤) المعجم الوسيط ١٠٣٩.

(٥) انظر دعوة الإسلام، سيد سابق، ص ١٩٨، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ. وانظر: الدعوة والداعية في ضوء سور الفرقان، محمد سعيد البارودي، طبعة دار الوفاء بجدة، ط ١،

فالتعالي من الداعية يبعد ما بينه وبين المدعويين ، فقد جُبلت النفوس على بغض المتكبر والنفور منه ، وما أصدق من شبه المتكبر برجل فوق قمة جبل عال يرى الناس من تحته صغاراً كالنمل ، وهم يرونه كذلك ، وأن مثل المتواضع كمثل السنبلة المملوءة بالحب تتواضع وتحنى رأسها لما فيها من الخير والنفع ، أما الفارغة الجوفاء فإنها تظل رافعة رأسها تتعالى على غيرها من السنابل المملوءة وهي لا تصلح إلا للعلف.

والتواضع يحجب الشخص للآخرين ويجعله قديراً وأليفاً وأنيساً عندهم ، والداعية أحوج ما يكون إلى هذا ، إنه بحاجة إلى معاشرة الناس ومخالطتهم ليدعوهم ومن ثم ليثمر كلامه معهم ، وقد كان عليه الصلاة والسلام حليماً متواضعاً بين أصحابه ، لا يعلو عليهم فيستكبر ، ولا يتعالى عليهم فيرتفع ، بل كان ﷺ يعمل في بيته ويشارك أصحابه في أعمال كثيرة ، ويجاهد معهم ويسلم على صغيرهم ، ويحنو على ضعيفهم ، ويذكر أنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(١) ، وكان ﷺ يقول : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)^(٢).

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره فضل التواضع وضم الكبير والمتكبرين ، كما ذكر أمثلة للمتواضعين ، وعقد فصلاً عن التواضع وذكر فيه

(١) القديد من اللحم ما قطع طولاً ومُلح وجُفف في الهواء والشمس. المعجم الوسيط ص ٧١٨.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها ، محمد خير رمضان يوسف ، ص ٧٨-٧٩ ، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧ ، والحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع ، رقم (٢٥٨٨).

بعض الآثار والمرويات عن السلف في التواضع وفضله^(١)، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَتِ﴾^(٢)، «الخشوع السكون والطمأنينة، والتؤدة الوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته»^(٣)، ويؤكد رحمه الله أن من صفات المؤمنين الكمال أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه ومعتزاً على خصمه وعدوه»^(٤)، وقال رحمه الله في ذم المتكبرين عن طاعة الله وعلى الناس بغير حق قوله عند تفسير الآية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيِنِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٥) «أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل»^(٦).

ومن القصص والشواهد التي ذكرها ابن كثير عن التواضع من السلف تواضع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «عن عقبة بن صُهبان الهنائي^(٧) قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٨)، فقالت يا بني هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى

(١) انظر التفسير ٥٥٢/٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٣٥].

(٣) التفسير ٦٠٠/٣.

(٤) المرجع نفسه ٩١/٢ عند تفسير الآية [٥٤ من سورة المائدة].

(٥) سورة الأعراف، الآية [١٤٦].

(٦) التفسير ٣١١/٢-٣١٢.

(٧) هو عقبة بن مسلم بن نافع بن هلال بن صهبان الهنائي الدوسي يكنى أبا الملد، انظر

الأسامي والكنى لأحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله يوسف الجديع ص ٧٦. الناشر: مكتبة

دار الأقصى، الكويت ط ١، ١٤٠٦هـ.

(٨) سورة فاطر، الآية [٣٢].

على عهد رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق ربه، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، قال فجعلت نفسها معنا، وهذا ﷺ من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(١).

وكذلك الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ «عن عرفة الثقفي^(٢) قال: استقرأت ابن مسعود ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٣) فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم^(٤)».

فالداعية إلى الله مطالب بأن يلتزم بالتواضع حتى يتمكن من تأدية دوره وحتى يتقرب من الناس؛ لأن دعوته في حاجة إلى صلة مستمرة بهم وعليه أن يكون قريباً إلى قلوبهم وأرواحهم والتواضع هو صانع ذلك كله، كما بينته

(١) التفسير ٦٨٢/٣.

(٢) هو عرفة بن عبد الله الثقفي ويقال السلمي، روى عن علي وابن مسعود وعائشة، انظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص ٣٨٩، تحقيق محمد عوامه، طبعة دار القلم بسوريا، ط ٣، ١٤١١ هـ.

(٣) سورة الأعلى، الآية [١].

(٤) التفسير ٥٩٤/٤.

الحياة التي عاشها النبي ﷺ تطبيقاً على نفسه وتوجيهاً لمن بعده من المؤمنين^(١).

المطلب الرابع

توجيه الداعية للترفع عن اللغو

معنى اللغو لغة: قال ابن منظور: «اللغو واللغاء السقط وما لا يُعتد به من الكلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع»^(٢).

وفي الاصطلاح: هو ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم^(٣).

وعرفه ابن كثير بأنه: «ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال»^(٤)، والترفع عن اللغو والإعراض عنه من صفات المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٥)، يقول ابن كثير: «أي: عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قال بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون»^(٦)، ومن صفات عباد الرحمن أنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٧)، «أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مروا

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش ص ٤٥٦، طبعة دار الكتاب المصري، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

(٢) لسان العرب ١٥/٤٥٠١.

(٣) التعريفات، للرجزاني، ص ٢٤٧، تحقيق إبراهيم الأبياري.

(٤) التفسير ٣/٣٠٠.

(٥) سورة المؤمنون الآية [٣].

(٦) التفسير ٣/٣٠٠.

(٧) سورة الفرقان الآية [٧٢].

ولم يتدنسوا منه بشيء ولهذا قال: ﴿مُرُوا كِرَامًا﴾^(١). وقد أثنى سبحانه على أهل الكتاب الذين آمنوا بالقرآن حيث إنهم أعرضوا عن اللغو، وترفعوا عنه وعن أهله فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) - قال ابن كثير: «أي: لا يخالطون أهله ولا يعاشرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾»^(٣)، ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾، أي: إذا سفه عليهم سفیه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب، ولهذا قال عنهم أنهم قالوا: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نريد طريق الجاهلين ولا نجبها»^(٤).

ومن نعمة الله وفضله على أهل الجنة أنهم منزهون عن سماع اللغو والكلام الساقط الذي لا فائدة منه كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾^(٥)، وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا﴾^(٧)، يقول ابن كثير: «هذه الجنات ليس

(١) التفسير ٤٠٩/٣.

(٢) سورة القصص، الآية [٥٥].

(٣) سورة الفرقان، الآية [٧٢].

(٤) التفسير ٤٨٧/٣.

(٥) سورة مريم، الآية [٦٢].

(٦) سورة الواقعة، الآيتان [٢٥-٢٦].

(٧) سورة النبأ، الآية [٣٥].

فيها كلام ساقط.... لا معنى له كما يوجد في الدنيا»^(١).

وكذلك «ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هي دار سلام، وكل كلام فيها سالم من النقص»^(٢).

فأهل الجنة «لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً أي غثاً خالياً عن المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف»^(٣).

وهكذا يقرر ابن كثير من خلال تفسيره أن اللغو هو الكلام الساقط وما لا فائدة منه في الأقوال والأفعال وأن من صفات المؤمنين والمتقين وعباد الرحمن الإعراض عن اللغو والإثم والكذب، فواجب الدعاء إلى الله أن يعرضوا عن اللغو ويرفعوا عنه وأن يتجنبوا مجالسة أهله، وإذا سفه عليهم السفهاء بما يكرهون لم يقابلوهم بمثله بل يعفون ويصفحون، ويكرمون أنفسهم من الوقوف على مجالس اللغو والخوض فيها، فالحلم من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان فضلاً عن الدعاء إلى الله، وهو دليل على قوة الشخصية ومظهر من مظاهر الرشد والكمال والفضل، وثمرة من ثمار التدين الصحيح^(٤).

«أما إذا كان الحلم أو العفو عن ضعف في النفس وخور في العزيمة فليس ذلك من الحلم في شيء، وليس هو الفضيلة التي نحن بصدددها، بل هو تهيب وجبن، وكثير من النفوس الضعيفة لا يزيدها الحلم إلا سفهاً وحمقاً، فمثل

(١) التفسير ١٦٤/٣.

(٢) المرجع نفسه ٥٤٩/٤.

(٣) المرجع نفسه ٣٤١/٤.

(٤) انظر سيد سابق، دعوة الإسلام، ص ١٤٩، مرجع سابق. وانظر: البارودي، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، ص ٢٤٧، مرجع سابق.

هذه النفوس لا تعالج إلا بالحزم والشدة، وضْعاً للأُمُور في نصابها، وسمواً بالحلم والعفو حتى لا يكون وسيلة من وسائل الغي وإلا غراء بالعدوان»^(١).
وأخيراً فابن كثير رحمه الله يوصي الداعية وكل مسلم أن يستعِذ بالله من الشيطان الرجيم في الصلاة وعند قراءة القرآن وغير ذلك؛ لأن «من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للهم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له وتهيئ لتلاوة كلام الله»^(٢).

المطلب الخامس

توجيه الداعية للقصد والاعتدال

معنى القصد: هو استقامة الطريق، وهو ضد الإفراط^(٣).
يقال هو على القصد، وعلى قصد السبيل إذا كان راشداً، ويقال طريق قصد سهل مستقيم، والرجل ليس بالجسيم ولا بالنعيف^(٤).
ومعنى الاعتدال: «التوسط بين حالين في كم أو كيف أو تناسب، يقال ماء معتدل بين الحرارة والبرودة، وجسم معتدل بين الطول والقصر أو بين البدانة والنحافة»^(٥).

(١) انظر: البارودي، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ص ٢٤٨.

(٢) التفسير ٢٤/١.

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ٣١٠، طبعة مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٤١٩ هـ.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، ص ٧٣٨، مرجع سابق.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٨٨.

والقصد والاعتدال من الصفات السلوكية الواجب توفرها في الدعاة إلى الله في كل أمر من الأمور وخاصة في مجال الإنفاق، وقد نوه الله عز وجل بهذه الخصلة وأعلى شأنها حيث قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١)، يقول ابن كثير: «أي: ليسوا مبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها»^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣)، قال ابن كثير: «يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً... ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي: لا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً..... أي فتقعد إن بخلت ملوماً، يلومك الناس ويذمونك وسيغنون عنك، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء فتكون كالحسير»^(٤).

والقصد والاعتدال والسداد هي سمة هذا الدين العظيم والشرع القويم والرسول الكريم، «فهو صلوات الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد»^(٥)، والله سبحانه وتعالى نهى

(١) سورة الفرقان، الآية [٦٧].

(٢) التفسير ٤٠٤/٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية [٢٩].

(٤) التفسير ٥٠/٣.

(٥) المرجع نفسه ٢٩١/٤.

أهل الكتاب عن الغلو في الدين والاعتداء بشيوخ الضلال في ذلك فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(١)، «أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية كما صنعتم في المسيح، هو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذين هم سلفكم من ضل قديماً» ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢) أي: خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال»^(٣).

ولذلك يشير ابن كثير إلى أن «أصل الإلحاد في كلام العرب العدل عن القصد والميل والجور والانحراف»^(٤).

وقد وصف الله سبحانه من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بأنه قد ضل ضلالاً بعيداً، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥)، «أي: قد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد»^(٦)، وابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره يؤكد

(١) سورة المائدة، الآية (٧٧).

(٢) التفسير ١٦/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٣٨/٢.

(٤) سورة النساء، الآية (٣٦).

(٥) التفسير ٦٩٠/١.

على أهمية القصد والاعتدال والسداد ونهى عن الغلو والإسراف والتبذير، ودعا إلى التوسط والقصد والعفاف، يقول رحمه عن تفسير الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، «إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل أو حرم، بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به»^(٢)، وكذلك النهي عن الإسراف في الأكل لما فيه من مضرة العقول والبدن^(٣).

والداعية إلى الله بحق هو الذي يأخذ نفسه بفضيلة القصد والاعتدال ويروضها على تجنب الإسراف والإقتار المذمومين شرعاً والرضا بالكفاف. والخلاصة: أن النبي ﷺ والدعاة بعده جعلوا سمة القصد والاعتدال نهجاً سلوكه في تصرفاتهم، والقناعة في الدنيا والرضا منها باليسير سمة من سماتهم^(٤).

المطلب السادس

توجيه الداعية لاجتناب الموبقات

المراد بالموبقات: الكبائر من المعاصي، لأنهن مهلكات واحدها موبقة^(٥). وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أقوالاً كثيرة لأهل العلم في حد الكبيرة فقال:

(١) سورة الأعراف، الآية [٣١].

(٢) التفسير ٢/٢٦٨.

(٣) انظر المرجع نفسه ٢/٢٣٢.

(٤) انظر الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، ص ٢٥٥، مرجع سابق.

(٥) انظر المعجم الوسيط ص ١٠٠٨.

«وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة فمن قائل هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال هي ما عليه وعيد من الكتاب والسنة. وقال إمام الحرمين: كل جريمة تنبئ بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلّة للعدالة... وذكرها بعضهم بأنها «كل فعل نص الكتاب على تحريمه، وكل معصية توجب في جنسها حداً من قتل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور»^(١). وقد ورد عن النبي ﷺ الأمر باجتنب السبع الموبقات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قيل: يا رسول الله وماهن؟ قال: (الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)^(٢).

وابن كثير رحمه الله يرى أن الموبقات ليست محصورة بعدد فيقول: «فالنص على هذه السبع بأنها كبائر لا ينفي ما عداهن»^(٣) واستشهد بقول ابن عباس رضي الله عنهما عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه: (أن رجلاً قال لابن عباس: كم الكبائر؟ سبع؟ قال: هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع

(١) التفسير ٥٩٦/١ عند تفسير الآية ٣١ من سورة النساء.

(٢) متفق عليه، وأخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ رقم (٢٧٦٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها رقم (٨٩).

(٣) التفسير ٥٨٨/١.

الاستغفار ولا صغيرة مع إصرار^(١)، ثم أورد رحمه الله أمثلة على الموبقات الكبائر مثل «أكل الربا والإفطار في رمضان بلا عذر واليمين الفاجرة وقطع الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والخيانة في الكيل والوزن، وتقديم الصلاة على وقتها، وتأخيرها عن وقتها بلا عذر، وضرب المسلم بلا حق، والكذب على النبي ﷺ عمداً، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة بلا عذر، وأخذ الرشوة، ومنع الزكاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب، والياس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وقد صنّف الناس في الكبائر مصنفات منها ما جمعه شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بلغ نحواً من سبعين كبيرة، وإذا قيل إن الكبيرة ما توعده الشارع عليها بالنار بخصوصها كما قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره، وتتبع ذلك، اجتمع فيه شيء كثير، وإذا قيل كل ما نهى الله عنه فكثير جداً والله أعلم^(٢).

واجتناب الموبقات والابتعاد عن الكبائر هي من الصفات السلوكية الواجب توفرها في الداعية المسلم حتى يكون من المحسنين الذين وصفهم الله سبحانه بأنهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، فقال سبحانه: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ^(٣)، يقول ابن كثير: «ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات

(١) التفسير ١/ ٥٩٥.

(٢) المرجع نفسه ١/ ٥٩٦-٥٩٧.

(٣) سورة النجم، الآية ٣١-٣٢.

والكبائر»^(١). فاجتناب الموبقات له أثر كبير على تربية الداعية تربية إسلامية صحيحة، فالذي يرتقي بفكره وسلوكه إلى السمو والكمال والطهر والعفاف، والاتصال بالملأ الأعلى ينفر بحسه وكيانه وذوقه عن الانحراف والوقوع في الكبائر والآثام وكل ما يشين سلوكه من نقائص سواء في ذلك صغيرها أو كبيرها^(٢).

المطلب السابع

توجيه الداعية للمبادرة بالتوبة

معنى التوبة لغة: التوبة بفتح التاء وسكون الواو مأخوذة من «توب» التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب وأناب إذا رجع عن ذنبه^(٣). وفي الاصطلاح: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب^(٤).

والتوبة شعور وجداني بالندم على ما وقع، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل، كما يحققها الكف بالترك، فهي فعل يتضمن إقبال التائب على ربه وإنابته إليه، والتزام طاعته والإقبال عليه وحل عقد الإصرار وإثبات معنى التوبة في الجنان قبل التلفظ باللسان^(٥).

(١) التفسير ٣٠٢/٤

(٢) انظر: الدعوة والداعية محمد سعيد البارودي ص ٢٦١ مرجع سابق.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٧/١ طبعة مكتبة الخاني بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٩٥ تحقيق إبراهيم الأبياري، مرجع سابق.

(٥) انظر: التوبة معناها وحقيقتها، د. صالح السدلان ص ٩، طبعة دار الوطن بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

والدعاة إلى الله بشر تعتورهم الأهواء، ويتعرضون للوقوع في الأخطاء، واجترأ بعض الآثام، وقد فتح الله سبحانه - تفضلاً منه وتكرماً - باب التوبة لهم ولغيرهم فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(١).

وتوبة الدعاء هي الاستقامة على التوبة إلى آخر لحظة في حياتهم بحيث لا تحدثهم أنفسهم بالعودة إلى الذنب أو مقارفة الإثم، فتوبتهم ينبغي أن تكون أعلى مراتب التوبة لأنهم أصحاب نفوس مطمئنة، وسلكوا الطريق المستقيم، فلزموا طاعة الله بالإتيان بما أمر به سبحانه واجتناب ما نهى عنه وزجر، وجاهدوا أنفسهم على ترك كل معصية وخلق لا يرضيه سبحانه وتعالى، ولقد أكد ابن كثير رحمه الله على أهمية التوبة وضرورتها لكل أحد، لا سيما الدعاء إلى الله، فأشار إلى فضلها والمبادرة إليها، والوسائل المعينة على ذلك، وأن التوبة متاحة للعبد مالم يغرغر، وغير ذلك مما ذكره ابن كثير عن التوبة من خلال تفسيره فمثلاً تحدث عن فضل التوبة والمبادرة إليها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^(٢)، فقال «هذا تهيج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويحصها ويمحقها، وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه»^(٣).

(١) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٠٤).

(٣) التفسير ٤٧٧/٢.

وقال عند تفسير الآية: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(١)، «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر»^(٢).

وذكر رحمه الله أن عاقبة الإستغفار والتوبة هي المتاع الحسن وتيسير الرزق وتسهيل الأمور كما قال سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(٣)، فقال رحمه الله: «أي: وأمركم بالاستغفار من الذنوب السابقة والتوبة منها إلى الله عز وجل - فيما تستقبلونه - وأن تستمروا على ذلك يمتعكم متاعاً حسناً أي في الدنيا، إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله، أي في الدار الآخرة»^(٤).

وقال أيضاً رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾^(٥)، «ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السابقة، وبالتوبة عما يستقبلونه، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه... وفي الحديث: (من

(١) سورة الزمر، الآية [٥٣].

(٢) التفسير ٧٠/٤.

(٣) سورة هود، آية [٢٣].

(٤) التفسير ٥٣٧/٢.

(٥) سورة هود، الآية [٥٢].

لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب^(١)، وإذا كان الداعية مطالباً بالمبادرة إلى التوبة وتجديدها في كل حين فإن من بلغ الأربعين تتأكد المبادرة بالتوبة في حقه أكثر من غيره كما قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ^(٢)﴾، يقول ابن كثير: «وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها»^(٣) فعلى الدعاة إلى الله أن يبادروا بالتوبة ويلوذوا بحجاب الله متذللين متضرعين أن يقبلهم الله في عباده الصالحين وينجيهم من عذابه الأليم وأن تكون توبتهم توبة صادقة نصوحا، كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا تُوبَتًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^(٤)، «والتوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ثم إن كان الحق لآدمي رده عليه»^(٥).

كما على الدعاة أن يبادروا بالتوبة قبل بلوغ الروح الحلقوم «فإذا غرغر وبلغت الروح الخنجرة وعاین الملک فلا توبة حينئذ»^(٦). فالعاقل من قمع نفسه

(١) التفسير ٥٥٣/٢، ٥٥٤ والحديث أخرجه أبو داود كتاب الوتر باب في الاستغفار رقم (١٥١٨)، وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل التسييح رقم (٣٨١٩).

(٢) سورة الأحقاف، الآية [١٥].

(٣) التفسير ١٨٧/٤.

(٤) سورة التحريم، الآية [٨].

(٥) التفسير ٤٦٢/٤.

(٦) المرجع نفسه ١٠٦/٤.

عن غيها وردھا إلى طاعة ربھا ورجع إلى الصراط السوي واهتدى بنور الكتاب المبين وھدي سيد المرسلين ﷺ.

المطلب الثامن

توجيه الداعية أن يكون قدوة حسنة

القدوة ھي الأسوة، يقال فلان قدوة يقتدى به ^(١)، والقدوة إما أن تكون حسنة كما ھو الحال في نبينا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ^(٢)، وإما أن تكون قدوة سيئة، وھو كل من يقتدي به غيره في السوء والشر، كقول المشركين حين دعتهم رسلهم للتأسي بهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ^(٣)، والدعاة إلى الله يجب أن يكونوا قدوة للخير ودعاة إليه وھداة مهتدين، فإنه إذا خالف فعل الداعية قوله ربما لم يقتصر الضرر على نفسه، بل تعدى ذلك الضرر إلى غيره، وكان قدوة سوء في المجتمع كما قال ابن القيم رحمہ الله: «جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أولياء وفي الحقيقة قطاع طرق» ^(٤).

(١) مختار الصحاح للرازي ص ٥٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٢١].

(٣) سورة الزخرف، الآية [٢٣].

(٤) انظر الدعوة، د. حمد العمار ص ١١٦، مرجع سابق.

(٥) الفوائد لابن القيم ص ٦١، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ، وانظر

المرجع نفسه ١١٧-١١٨.

فتأثير الداعية بأفعاله وتصرفاته وسلوكه يكون في غالب الأحيان أبلغ من تأثيره بكلامه وخطبه، وقصة الرسول ﷺ مع أصحابه بعد صلح الحديبية أكبر دليل على ذلك. يقول ابن كثير بعد أن ساق قصة الصلح مع قريش: «فقام رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس انمروا واحلقوا)... فما قام أحد... ثم عاد بمثلها فما قام رجل، ثم عاد بمثلها فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال: (يا أم سلمة ما شأن الناس؟)، قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانخره واحلق، فلو فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنخره ثم جلس فحلق... فقام الناس ينحرون ويحلقون»^(١).

فعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة حسنة بتصرفاتهم وأفعالهم ودعاة بأخلاقهم وسلوكهم، قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم وخطبهم، فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ... في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين»^(٣)، فالدعاة إلى الله من العلماء والمصلحين هم الذين يقتدي بهم الناس ويهتدون بهديهم، وفي مقدمة أولئك أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه

(١) التفسير ٢٣٢/٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٢١].

(٣) التفسير ٥٨٥/٣.

عليهم كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَفْتَدِ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «أولئك يعني الأنبياء.. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهِدْنُهُمْ أَفْتَدِ﴾ أي: اقتد واتبع وإذا كان هذا أمر للرسول ﷺ فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمر به»^(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّنَا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣)، «أي: خبرهم، كيف نُصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة»^(٤) ومنهم إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٥)، يقول ابن كثير: «يقول تعالى منبها على شرف إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام وأن الله تعالى جعله إماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي»^(٦).

(١) سورة الأنعام، الآية [٩٠].

(٢) التفسير ١٩٨/٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية [٣٤].

(٤) المرجع نفسه ١٦٨/٢.

(٥) سورة البقرة، الآية [١٢٤].

(٦) المرجع نفسه ٢٠٦/١.

الفصل الرابع

استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها

وفيه توطئة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما.

المبحث الثاني: الأساليب في منهج ابن كثير.

المبحث الثالث: الوسائل في منهج ابن كثير.

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt + \int_0^x g(t) dt$$

where $f(t)$ and $g(t)$ are functions defined on the interval $[0, 1]$.

2. The second part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt + \int_0^x g(t) dt$$

where $f(t)$ and $g(t)$ are functions defined on the interval $[0, 1]$.

3. The third part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

توطئة

تأتي أهمية دراسة الوسائل والأساليب لأنها أحد أركان الدعوة إلى الله ، فنجاح أي دعوة متوقف على كمال المنهج وسلامته وصحة الأساليب وقوة الوسائل ، كما أن الداعية لا بد له في تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته من استخدام الوسائل والأساليب التي تعينه على ذلك ، وابن كثير رحمه الله استخدم في دعوته للناس إلى الله وتعليمهم الخير ، ونصحهم وإرشادهم وتوجيههم ، أقول استخدم عدة طرق وأساليب مثل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والحوار والمناظرة والتدريس والإفتاء والقُدوة الحسنة والترغيب والترهيب وغيرها من الأساليب ، كما أنه استخدم عدة وسائل منها الكتب والرسائل والاتصالات الشخصية والصلات والخطب وإيراد القصص وغيرها من الوسائل الأخرى.

وستناول في هذا الفصل نماذج لبعض الوسائل والأساليب التي استخدمها ابن كثير في سبيل دعوته سواء من خلال تفسير القرآن العظيم أو من خلال جهوده العلمية والعملية في الدعوة إلى الله ، فمن الأساليب التي ستحدث عنها :

[١] الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

[٢] المجادلة بالتي هي أحسن ، والحوار والمناظرة.

[٣] التدريس والإفتاء.

[٤] الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء.

ومن الوسائل :

[١] الاتصال الشخصي.

[٢] الرسائل الشخصية.

[٣] الكتب والمؤلفات.

[٤] الرحلات.

المبحث الأول

تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

أولاً: تعريف الوسائل:

معنى الوسيلة لغة: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير^(١).

وقال الرازي: «الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، وتوصل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل»^(٢).

معنى الوسيلة في الاصطلاح: «هي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية»^(٣). وقيل: «هي كل ما يستخدمه الداعية لإيصال ما يريد إيصاله إلى المدعوين سواء ما كان منها قديماً أو حديثاً»^(٤).

وقيل: «هي ما يتوصل به الداعية إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح»^(٥). وقيل: «هي القناة الموصلة للغاية أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس»^(٦).

(١) لسان العرب لابن منظور مادة وسل ٧٢٤/١١ وما بعدها.

(٢) مختار الصحاح، الرازي ٧٢١.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة د. محمد أبو الفتح البيانوني ص ٤٩.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، الدكتور حمدان الهجاري ص ٤٧٨، مطابع ابن تيمية القاهرة، ط ١، ١٤١٥ هـ.

(٥) وسائل الدعوة د. عبد الرحيم المغزوي ص ١٦، طبعة دار اشبيليا بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

(٦) ركائز الدعوة في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. سيد ساداتي ص ٤٣، وانظر: الدعوة للدكتور حمد العمار ص ١٤٩.

وقيل هي «كل شيء مادي - في الغالب - يستخدمه الداعي لتحقيق أهدافه وغاياته الدعوية للوصول إلى أفضل النتائج المرجوة»^(١). ولو أضيف: بطريق شرعي صحيح، لأصبح هذا التعريف شاملاً لما ورد في التعاريف السابقة، والتي ركز بعضها على وصف الوسيلة، والآخر على نوع الوسائل وثالث على تطبيق مناهج الدعوة..

أمّا ابن كثير فقد عرف الوسيلة بأنها «هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً علّم على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة»^(٢)، ومن المعاني التي ذكرها ابن كثير للوسيلة القربة فقال: «الوسيلة هي القربة»^(٣).

ثانياً: تعريف الأساليب:

معنى الأسلوب لغة: الطريق والوجه والمذهب ويجمع أساليب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه»^(٤).

أما في الاصطلاح: «فهي الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة»^(٥).

(١) الدعوة الإسلامية، الاستيعاب والشمول للاستاذ الدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥٠ مرجع سابق.

(٢) التفسير ٦٩/٢.

(٣) المرجع السابق ٦٢/٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤٧٣/١ مادة سلب.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوي ص ٤٥، مرجع سابق.

وقيل إن الأساليب هي «الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية»^(١).
وقيل «هي الكيفية أو الطريقة المرنة غير المادية التي يؤدي بها الداعي عملا ما عبر الوسيلة سواء كان فكريا أو ماديا للوصول إلى أفضل النتائج»^(٢).
وهذا التعريف هو المختار لشموله الطريقة والأداة والمحتوى والنتائج.

ثالثا: الفرق بين الوسائل والأساليب:

هناك علاقة وثيقة، وصلة قوية بين الوسيلة والأسلوب في الدعوة إلى الله، فالوسيلة هي الشيء الحسي الذي يتمكن الداعية بواسطته استخدام الأسلوب المعين لتبليغ الدعوة، فالأسلوب داخل في الوسيلة، أو هو طريقة تفعيلها والاستفادة منها في الدعوة والبيان والبلاغ. كما أن هناك تلازم في العمل الدعوي بين الوسائل والأساليب والمناهج من حيث قيام العملية التربوية والدعوية التي يشترك فيها الجميع، ولكن من حيث الصفات والخصائص فلا بد أن يفرق بين الوسائل والأساليب فالوسائل غالبا ما تكون من أشياء مادية محسوسة فهي أوعية للأساليب التي تمثل الأفكار والخطط والتصورات، فالأشياء التي تباشر وتنفذ في الواقع المشاهد هي الوسائل وما يراد عرضه وإيصاله من معان وأفكار ورؤى وتصورات وخطط ونحو ذلك هي الأساليب، فهناك فرق بين الوسائل والأساليب من ناحية الصفات والسمات، أما من حيث

(١) منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله د. عبد الله الحوشاني ٥٤٣/٢ مرجع سابق.

(٢) الدعوة الإسلامية، للدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥١، مرجع سابق.

العملية الدعوية فهناك كما قلت تلازم في العمل الدعوي بين الأساليب والوسائل والمناهج، فالعمل الدعوي لا يتم إلا بالوسيلة والأسلوب وهما مندجان ومنسكبان، لذلك قد يكون الشيء الواحد وسيلة من وجه، ومن وجه آخر أسلوبا، وهذا عائد إلى أن الوسائل أوعية للأساليب وحاملة لها، فمثلا المسجد أو المدرسة، فإن المكان والأبنية إذا استخدمتا في الدعوة فهي وسيلة من وسائلها، وأما ما يلقي فيها من الدروس والمحاضرات والندوات ونحو ذلك فهو أسلوب من أساليب الدعوة والتربية^(١).

رابعاً: ضوابط استخدام الوسائل والأساليب الدعوية:

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى توحيد الله سبحانه وعبادته، واقتداء بسنة نبيه ﷺ في دعوته إلى الله، كان لزاماً على الدعاة أن تكون أساليبهم ووسائلهم منطلقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما سار عليه سلف الأمة الصالح، ومنضبطة بأحكام الإسلام وتعاليمه، فالإسلام لا يفصل بين الغايات والمناهج وبين الوسائل والأساليب المحققة لها فالغاية لا تبرر الوسيلة، كما في المبادئ والنظم البشرية الأخرى، فالوسائل لها أحكام المقاصد، وحيث إن بعض الدعاة قد غفل عن هذا الجانب، وحصل تساهل من بعضهم الآخر، كما أن آخرين ظنوا استثناء الوسائل والأساليب من هذه الأحكام، وتصوروا أن لهم الحق في التصرف في هذه الوسائل والأساليب واستخدامها دون قيود، بينما اعتقد آخرون بأن هذه الوسائل والأساليب توقيفية لا اجتهاد

(١) انظر الدعوة الإسلامية، الاستيعاب والشمول، للدكتور محمد زين الهادي

ص ٢٥٢ - ٢٥٣، مرجع سابق.

وانظر: منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله للدكتور عبد الله الحوشاني ٥٤٤/٢ مرجع سابق.

فيها^(١). لذلك لابد من معرفة الضوابط والقواعد التي تحكم هذه الوسائل والأساليب حتى تكون - بإذن الله - موافقة للحق وبعيدة عن الإفراط والتفريط^(٢)، فمن هذه الضوابط:

[١] أن تكون الوسائل والأساليب مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يجوز للداعية استخدام الوسائل والأساليب الممنوعة والمحرمة كالكذب والخداع واستعمال الأغاني والمعازف وآلات الطرب المحرمة^(٣).

[٢] أن لا يؤدي استخدام الوسائل والأساليب من أجل تحقيق مصلحة إلى الوقوع في مفسدة أعظم من المصلحة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤)، يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية

(١) جميع وسائل الدعوة وأساليبها لا تخرج عن ثلاث حالات:

الأولى: النص على مشروعية الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسنة، فحكم الوسيلة والأسلوب فيها توقيفي لا يجوز لأحد منعها أو النهي عن استخدامها.

الثانية: النص على منع الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسنة فالحكم فيها توقيفي بمنع استخدامها.

والثالثة: عدم النص على الوسيلة أو الأسلوب بمشروعية أو منع في الكتاب والسنة فهذا النوع من الوسائل والأساليب يدخل في دائرة المباح بناء على أن الأصل في الأشياء الإباحة. انظر: المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور أبو الفتح البيانوني ص ٢٨٦ وما بعدها بتصرف.

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٥.

(٣) انظر: وسائل الدعوة. د. عبد الرحيم المغذوي، ص ٢٠، طبعة دار إشبيلية بالرياض، الطبعة

الأولى ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة الأنعام، الآية [١٠٨].

«ففي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها»^(١).

[٣] أن يراعي الداعية في استخدام الوسائل والأساليب الأولويات فيقدم الأهم فالأهم من أمور الدعوة ومسائل الدين، ومراتب الوسائل والأساليب تابعة لمراتب مصالحها «فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتيب المصالح والمفاسد فمن وفقه الله للوقوف على ترتيب المصالح عرف فاضلها من مفضلها ومقدمها ومؤخرها»^(٢).

[٤] مناسبة الوسائل والأساليب للمدعوين، فأهل البادية والقرى لهم أساليب ووسائل تناسب حالهم ووضعهم وظروفهم، وفهمهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، كما أن لأهل المدن الكبيرة وحواضرها أساليب ووسائل تناسب حياتهم الاجتماعية وظروفهم المعيشية وتقديمهم العلمي والمعرفي، فإذا استخدمت معهم غيرها لا تأتي بثمرات يرجى نفعها، أو تكون بطيئة التأثير، وكذلك هناك وسائل وأساليب تناسب ذوي الاختصاص من المهن المختلفة حيث إنها تنبثق من مهنهم وتخصصاتهم فتكون جاذبة لهم، وهم ميالون لها،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشیخ عبد الرحمن السعدي تحقيق عبد الرحمن اللويحق ص ٢٦٩، وانظر: وسائل الدعوة وأساليبها للدكتور حسين محمد عبد المطلب ص ٦١-٦٢، طبعة دار الوطن للنشر بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام للعز بن عبد السلام ص ٤٣، طبعة مؤسسة الريان بيروت ١٤١٠هـ. وانظر: المرجع السابق ص ٦٢.

فتأتي بنتائج سريعة وطيبة، وهكذا فكل عمل دعوي له نوع يناسبه من الوسائل والأساليب قد لا يتلاءم مع النوع الآخر^(١).

[٥] أن يلتزم الداعية في وسائل دعوته وأساليبها وطرقها بالصدق والحق، وأن لا يخالف قوله فعله ولا ظاهره باطنه حتى يوثق في شخصه، وحتى تثمر دعوته، وأن يكون قدوته في ذلك كله نبيه ورسوله محمد ﷺ^(٢).

(١) انظر الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، للدكتور محمد زين الهادي ص ٢٥٤، مرجع سابق.

(٢) انظر وسائل الدعوة للدكتور عبد الرحيم المغذوي ص ٢١ مرجع سابق.

المبحث الثاني

الأساليب في منهج ابن كثير

وفيه مطالب:

المطلب الأول

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

أولاً: الدعوة بالحكمة:

معنى الحكمة في اللغة: قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم... ويقال حكمتُ السفينة إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل^(١).

وقال الجوهري: الحكمة من العلم وصاحب الحكمة المتقن للأمور، وأحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً^(٢).

وفي الاصطلاح: قال الأصفهاني: «الحكمة إصابة الحق بالعلم والنقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات»^(٣).

وقد نقل الإمام ابن كثير رحمه الله بعض أقوال العلماء في معنى الحكمة فقال عند تفسير الآية: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، فقال: «..... عن ابن عباس

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون ٩١/٢ مادة حكم.

(٢) الصحاح للجوهري ١٩٠١/٥ - ١٩٠٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٢٦، مرجع سابق.

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٦٩].

يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله... عن مجاهد يعني بالحكمة الإصابة في القول... وقال أبو العالية: «الحكمة خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة...»، وقال إبراهيم النخعي^(١): «الحكمة الفهم...»، قال زيد بن أسلم: الحكمة العقل، قال مالك: «وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يُبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله، وقال السدي: الحكمة النبوة... والصحيح أن الحكمة كما قال الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع»^(٢).

فيستخلص من التعريفات السابقة للحكمة بأنه يمكن إرجاع معناها إلى معنيين: العلم وفعل الصواب.

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود، أبو عمران النخعي، من مذبح، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة، مات مختفياً من الحجاج، قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق كان إماماً مجتهداً له مذهب، ولما بلغ الشعبي موته قال: «والله ما ترك بعده مثله»، توفي سنة ٩٦ هـ (الأعلام ٨٠/١).

(٢) التفسير ٣٩٨/١.

أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله:

الأسلوب الناجح في الدعوة هو الأسلوب الحكيم الذي يكون الداعية من خلاله بصيراً بما يدعو إليه، ولا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالمقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع؛ لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول على الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر من نفعها وإنما الواجب والمشروع هو الأخذ بما يبين الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ هَيِّ أَحْسَنُ﴾^(١)، إلا إذا أظهر للدعوة العناد والظلم فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جُنُودُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاطِلِ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٣).

كما يتعين على الداعية أن يلتزم بالحكمة مع المدعويين في المواقف الدعوية المختلفة، فقد يصلح في بعض الأحيان الأسلوب العاطفي، وفي موقف آخر لا يصلح فيه إلا المنهج والأسلوب العقلي وهكذا، ومن الحكمة أيضاً مراعاة مراتب الاحتساب فالتعريف أولاً ثم الوعظ ثم التعنيف ثم استعمال اليد مع القدرة، ومن الحكمة معرفة الدوافع والأسباب التي دفعت المدعو إلى التقصير

(١) سورة النحل، الآية [١٢٥].

(٢) سورة التوبة، الآية [٧٣].

(٣) سورة العنكبوت، الآية [٤٦].

(٤) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة للشيخ عبد العزيز بن باز ص ٢٨٠٢٩، من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ.

والمخالفة والوقوع في الخطأ حتى يختار الأسلوب المناسب للعلاج والتوجيه والدعوة والإرشاد، فأسلوب دعوة الجاهل يختلف عن أسلوب دعوة العالم، والمقصر المعترف بتقصيره وضعفه يختلف عن المعاند والمكابر وهكذا....

ومن مظاهر الحكمة أيضاً مراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية، فما يقال في الأفراح مثلاً لا يقال في أيام الشدة وغير ذلك من مظاهر الحكمة في أسلوب الدعوة التي يتأكد على الداعية مراعاتها، كما قال سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١)، يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى أمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة»^(٢)، وقد ذكر رحمه الله أن الله سبحانه امتن على لقمان حيث آتاه الله الحكمة فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(٣)، يقول ابن كثير «ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفهم والعلم والتعبير»^(٤)، «وعن قتادة في قوله آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه»^(٥).

فأسلوب الحكمة من الأساليب الدعوية التي اعتنى بها ابن كثير من خلال توجيهاته الدعوية كما مر معنا، وكذلك من خلال ممارسته العملية كموقفه من الامتناع عن الكتابة على الفتوى الصادرة بتغريم السبكي بما وقفه من مال

(١) سورة النحل، الآية [١٢٥].

(٢) التفسير ٧٣١/٢.

(٣) سورة لقمان، الآية [١٢].

(٤) التفسير ٥٤٨/٣.

(٥) المرجع نفسه ٥٤٨/٣.

الأيتام إلى بعض الأمراء، فقال ابن كثير: «وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت لما فيها من التشويش على الحكام»^(١). وكذلك توجيهه لنائب السلطة في حق أهل قبرص بأنه «مما ينبغي اعتماده في حق أهل قبرص، من الإرهاب ووعيد العقاب وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل ما يتوعدهم به»^(٢).

وغيرها من المواقف الكثيرة التي راعى ابن كثير أسلوب الحكمة في بيان الحق والدعوة إليه.

ثانياً: الموعظة الحسنة:

معنى الموعظة الحسنة لغة: قال ابن فارس: الواو والعين والظاء كلمة واحدة، فالوعظ التخويف، والعظة الإسم منه، قال الخليل: هو التذكير بالخير مما يرق له القلب^(٣).

وجاء في لسان العرب: «الوعظ والعظة والموعظة الفصح والتذكير بالعواقب»^(٤).

وأما في الاصطلاح: فقال الأصفهاني: الوعظ زجر مقترن بتخويف^(٥). وقال الجرجاني: الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة^(٦).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤٥٤/١٨.

(٢) المرجع نفسه ٧٠٦/١٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦/٦ مادة وعظ.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤٦٦/٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٢٧.

(٦) التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الأبياري ص ٣٠٥.

ويعرف ابن كثير الموعظة الحسنة بأنها بما في القرآن من الزواجر والوقائع بالناس، يذكرهم بها ليحذروا بأس الله^(١).

وقال عند تفسير الآية: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، «أراد بالموعظة ههنا الزاجر أي جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من الناس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله، وما تحيلوا به من الحيل، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم»^(٣). إذن فالموعظة تعني التذكير والنصح والتخويف والزجر، فهي ترادف التذكير والنصح والإرشاد، ولها أشكال عديدة منها القول اللطيف الحسن كما قال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٤)، «أي كلموهم طيباً وألينو لهم جانباً»^(٥)، ومنها النصح المباشر ومنها النصح بالتعريض والتورية، والكتابة، ومنها القصة المؤثرة، والخطبة البليغة، والفكاهة المضحكة، ومنها التذكير بنعم الله المستوجبة لشكره ومنها المدح والذم والترغيب والترهيب، والبشارة والوعد، ونحو ذلك^(٦).

(١) انظر التفسير ٧٣١/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية [٦٦].

(٣) التفسير ١٣٧/١.

(٤) سورة البقرة، الآية [٨٣].

(٥) التفسير ١٥٢/١.

(٦) انظر: بصائر دعوية للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص ٧٢ طبعة دار السلام بالقاهرة،

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

ويجب على الداعية أن تكون موعظته على علم وبصيرة، ومبنية على الكتاب والسنة، ويجتهد أن تكون موعظته بليغة ومؤثرة، وأن يراعي الوقت وحال السامع ومدى استعدادة وتهيئته، حتى لا تكون مملة ومنفرة، وأن يعتني كذلك بمضمون الموعظة فتارة لبيان حكم شرعي، وأخرى لإشباع احتياج المدعوين في باب الترغيب والترهيب، وثالثة في إيراد قصص وعرض أمثلة تشويقية لتقريب الصورة المثلى في الأذهان، فإن ذلك أدعى للاستجابة والقبول^(١).

وهذا ما نجده واضحا عند ابن كثير رحمه الله، فتفسيره طافح بأساليب النصح والتذكير والتوجيه والإرشاد والموعظة وإيراد أخبار وقصص الماضين، وأخذ العبرة منها والترغيب في الجنة والترهيب من النار، وفي كتابه البداية والنهاية لم يقتصر على سرد الأحداث والوقائع بل كان يدرسها ويحللها ويعلق عليها، مع استخدامه لأسلوب الموعظة والتذكير والاعتبار بالأحداث والوقائع، والتزهد في الدنيا والتزود للآخرة، فمثلا لما أورد ترجمة قاضي القضاة نجم الدين بن صصري^(٢)، وذكر المناصب التي تولاها قال: «وكلها مناصب دنوية انسلخ منها، وانسلخت منه ومضى عنها وتركها لغيره وأكبر

(١) انظر الدعوة للدكتور حمد العمار ص ١٦٤ مرجع سابق.

(٢) هو قاضي القضاة نجم الدين بن صصري، كان له يد في الإنشاء وحسن العبارة ودرس بالعادلية الصغيرة وبالأمنية والغزالية، تولى قضاء العساكر في دولة العادل كتبغا، ثم تولى قضاء الشام سنة ٧٠٢هـ، ثم أضيفت له مشيخة الشيوخ، توفي فجأة ببستانه بالسهم سنة ٧٢٣هـ (البداية والنهاية ١٨/ ٢٢٨).

أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاهاً^(١).

المطلب الثاني

المجادلة والحوار والمناظرة

معنى المجادلة في اللغة: الجدل شدة القتال، وجدلت الحبل أجده جديلاً إذا شددت فتله، وفتلته فتلاً محكماً، والجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدل ومجدل ومجدال شديد الجدل، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة والمناظرة والمخاصمة^(٢).

وفي الاصطلاح: قال الراغب الأصفهاني: الجدل هي المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة^(٣).

وقال أبو البقاء الكفوي^(٤): «الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره»^(٥).

(١) المرجع نفسه ٢٢٨/١٨، وانظر مثلاً ٦٥٥/١٥ عند ترجمته للشاعر أحمد بن كليب في أحداث سنة ٤٢٥ هـ وكذلك عند تعليقه على الآية: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩] البداية والنهاية ٥٧٧/٢.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ١٠٣/١١ وما بعدها مادة جدل.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٨٩.

(٤) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في كفة بتركيا وبالقُدس وببغداد وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤ هـ (الأعلام ٣٨/٢).

(٥) الكليات للكفوي ١٧٢/٢.

ومعنى الحوار في اللغة: «جاء في لسان العرب: المحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون يتراجعون في الكلام»^(١).

وفي المعجم الوسيط: تحاوروا تراجعوا في الكلام بينهم^(٢).

وأما في الاصطلاح: فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا.. دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة^(٣).

معنى المناظرة في اللغة: هي من النظر وهو تأمل الشيء بالعين، وقد نظرت إلى الشيء، والنظر الانتظار^(٤).

والتناظر التراود في الأمور والنظير والمناظر المثل^(٥).

أما في الاصطلاح: فهي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئين إظهاراً للصواب^(٦).

والمناظرة بهذا المعنى قريبة من الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله^(٧). وكذلك هناك علاقة بين

(١) لسان العرب ٢١٧/٤.

(٢) المعجم الوسيط ٢٠٥/١.

(٣) انظر: أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي وحدة الدراسات والبحوث ص ٩ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

(٤) الصحاح للجوهري ٨٣٠/٢.

(٥) القاموس المحيط، باب الرء، فصل النون/ ص ٦٢٣ مادة «نظر».

(٦) التعريفات للجرجاني ص ٢٩٨.

(٧) انظر: الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، ص ٢٨، طبعة دار التربية والتراث بمكة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

المناظرة والجدال، والحاجة بالحوار، إذ كلها تشترك مع الحوار في أنها مراجعة في الكلام ومداولة بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكير، والجدال والحاجة في دلالتها على المخاصمة والمنازعة^(١).

وقد فسر ابن كثير رحمه الله المحاورة بمعنى المجادلة والمخاصمة كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾^(٢)، «أي: يجادله ويخاصمه»^(٣)، وفسر الحاجة بالمناظرة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾^(٤)، «أي: أتناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد»^(٥).

وفسر الحاجة بالمجادلة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾^(٦)، «أي جادلوك في التوحيد»^(٧) وكذلك فسر المجادلة بالحاجة كما قال تعالى: ﴿أَتَجِدُلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَتَشْرُونَ آبَاءَكُمْ﴾^(٨)، «أي: أتحاجوني في هذه الأصنام»^(٩).

(١) انظر: الحوار آدابه وضوابطه، مرجع سابق ص ٣١.

(٢) سورة الكهف، الآية [٣٤].

(٣) التفسير ١٠٧/٣.

(٤) سورة البقرة، الآية [١٣٩].

(٥) التفسير ٢٣٥/١.

(٦) سورة آل عمران، الآية [٢٠].

(٧) التفسير ٤٣٦/١.

(٨) سورة الأعراف، الآية [٧١].

(٩) التفسير ٢٨٥/٢.

والجدل منه ما هو مدوح ومنه ما هو مذموم، فالممدوح هو كل جدال أيد الحق، أو أفضى إليه بنية خالصة وطريق صحيح كجدال الأنبياء وأتباعهم لنصرة الحق وإزهاق الباطل بالحجة والبرهان، وأما المذموم فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه كجدال الكفار وأهل الأهواء والبدع والمراء^(١).

وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى أنه يجب على من يقوم بالمجادلة والمحااجة أن يكون على علم ومعرفة، فلا يصح الجدل بغير علم ولذلك أنكر الله على الذين يجادلون بغير علم فقال سبحانه: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوهُمْ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم، إلى حين بعث النبي محمد ﷺ، لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجليلاتها»^(٣).

كما ذكر رحمه الله أن تكون مجادلة الداعية ومناظرته وحواره بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا احتقار ولا تعال ولا غلظة ولا فظاظة بل يكون الجدل بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤)، «أي: من

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن للدكتور زاهر الالمعي ص ١٠٤، والدعوة للدكتور حمد

العمار ص ١٦٥، مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية [٦٦].

(٣) التفسير ٤٥٧/١.

(٤) سورة النحل، الآية [١٢٥].

احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب^(١)، وكذلك لو كانت المحاور والمناظرة والمجادلة مع غير المسلمين، فيتعين على الداعية أن تكون مجادلتهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٢)، يقول ابن كثير: «إلا الذين ظلموا منهم»، «أي: حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا فَيَنْتَقِلَ من الجدال إلى الجلاد»^(٣).

فأسلوب الجدال فيمن يجادل، ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان، والجدل بالحجة، فإذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير، فالاعتداء عمل مادي يُدفع بمثله، إعزازاً للحق ودفعاً لغلبة الباطل في حدود ما أرشد إليه الشرع^(٤).

وقد أورد ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره بعض الأمثلة على المجادلة والمناظرة والمحاور، منها مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان ملك بابل وقد أقام إبراهيم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) التفسير ٧٣١/٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٤٦].

(٣) المرجع نفسه ٥١٣/٣.

(٤) انظر: منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله، إبراهيم الرشد ص ٤٠٩ مرجع سابق.

الظالمين ﴿^(١)﴾ ، يقول ابن كثير: «فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهِتَ، أي أخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة» ^(٢).

وكذلك مناظرته عليه السلام لقومه، كما قال تعالى: ﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ^(٣) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٤) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ^(٥) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٦) ، قال ابن كثير: «يقول تعالى وحاجه قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبهه من القول، ﴿قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ أي: تجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه؟ فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة» ^(٧).

وقد أقام إبراهيم الحجج على قومه كما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ^(٨) ، وكذلك مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٨].

(٢) التفسير ٣٨٨/١.

(٣) سورة الأنعام، الآيات [٨٠-٨٣].

(٤) التفسير ١٩٤/٢.

(٥) سورة الأنعام، آية [٨٣].

(٦) التفسير ١٩٦/٢.

وإلجأه إياه الحجة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٠﴾ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِفَآئِدَةٍ فَأَتِ بِهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ أَلَمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٥﴾ قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجأه إياه الحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر»^(١)، وغيرها من الأمثلة التي وردت من خلال تفسير ابن كثير من أساليب المجادلة والحوار والمناظرة التي كان يقوم بها الأنبياء وغيرهم في رد شبهات المبطلين ونصرة الحق وإعزازه.

وكان ابن كثير رحمه الله يمارس هذا الأسلوب الدعوي، وقد شهد له معاصروه بذلك، يقول الحسيني^(٢) في تذكرة الحفاظ: «وأفتى ودرّس وناظر»^(٣). ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتابه البداية والنهاية من مناظراته لأحد الرافضة وذلك بدار القاضي المالكي يقول رحمه الله في أحداث سنة ٧٥٥هـ

(١) سورة الأعراف الآيات [١٠٤-١١٠].

(٢) التفسير ٢/٢٩٨.

(٣) هو محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي، أبو المحاسن حافظ للحديث مؤرخ مولده ووفاته في دمشق، كان شاهد الموارث فيها، وولي مشيخة دار الحديث البهائية من كتبه: "ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي"، و"ذيل العبر للذهبي"، و"الإمام بأداب دخول الحمام"، و"اختصار تهذيب الكمال" وغيرها، توفي سنة ٧٦٥هـ (الأعلام ٦/٢٨٦).

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨، وكذا عمدة التفسير لأحمد شاكر ١/٢٦.

«وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي، وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة... من الكفر والزندقة قبحهم الله»^(١).

المطلب الثالث

التدريس والإفتاء

أولا التدريس:

من الأساليب المهمة والنافعة للناس تعليمهم أمور دينهم، ونشر العلم بينهم، عن طريق التوجيه والإرشاد وتدريس العلوم النافعة، وابن كثير رحمه الله تولى التدريس، فكان من الأعمال الأساسية في حياته وحازت على جل وقته، فنفخ الله بعلمه، وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ والطلاب، يقول تلميذه ابن حجي: «وما أعرف أنني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا أخذت منه واستفدت منه، وقد لازمته ست سنين»^(٢)، وقد أمضى رحمه الله في التدريس وقتا ليس بالقصير من عمره سواء في المدارس أو المساجد وكان له في اليوم الواحد ستة مواعيد يُقرأ عليه فيها «أولها بمسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ثم تحت النسر ثم بالمدرسة النورية، وبعد الظهر بجامع تنكز، ثم بالمدرسة العزية ثم بالكوشك..... إلى أذان العصر، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء، إلى قريب الغروب»^(٣).

(١) البداية والنهاية ٥٦١/١٨.

(٢) إنباء الغمر ٣٩/١، طبقات المفسرين ١١١/١، وانظر: ابن كثير الدمشقي للدكتور الزحيلي

ص ١٤٦، مرجع سابق.

(٣) البداية والنهاية ٦٩٩/١٨، عند حوادث سنة ٧٦٦هـ.

كما يدرس في الجامع الأموي تفسير القرآن العظيم فقد جاء في البداية والنهاية «وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمائة حضر الشيخ العلامة عماد الدين ابن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكبي بغا... واجتمع القضاة والأعيان وأخذ في تفسير سورة الفاتحة، وكان يوما مشهورا والله الحمد والمئة وبه التوفيق والعصمة»^(١) ومن المدارس التي درّس ابن كثير وتولى مشيختها:

[١] المدرسة النجيبية^(٢): وبدأ التدريس بها يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣٩ هـ^(٣).

[٢] دار الحديث الأشرفية: بناها الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي، وبنى بجانبها مسكنا للشيخ الذي يدرس فيها، وأنشأ لها خزانة كتب أوقفها عليها، وقد درّس فيها ابن كثير لكنه لم يستمر فيها طويلا، فبقي فيها مدة يسيرة ثم أخذت منه^(٤).

[٣] المدرسة الصالحية: وقد وليها ابن كثير بعد وفاة شيخه الذهبي سنة ٧٤٨ هـ، وفي ذلك يقول: «وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة

(١) البداية والنهاية ١٨/٧١٩.

(٢) النجيبية: مجاورة للمدرسة النورية، وضريح نور الدين الشهير من جهة الشمال في سوق الدقاقين المتفرع من شارع مدحت باشا بدمشق، وأقام ابن كثير منذ قدومه لدمشق سنة ٧٠٧ هـ، وتحولت إلى دار سكن بعد ذلك، انظر: الدارس في تاريخ المدارس ١/٤٦٨، وابن كثير الدمشقي للدكتور محمد الزحيلي ص ١٠١ مرجع سابق.

(٣) البداية والنهاية ١٨/٣٨٣.

(٤) الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٦.

أم صالح رحم الله واقفها، عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درسا مشهودا والله الحمد والمنة^(١).
 [٤] المدرسة التنكزية: بنى هذه الدار نائب الشام سيف الدين تنكز وجعلها دار قرآن وحديث^(٢). وقد صرح الحسيني بتولي ابن كثير مشيخة الحديث بالتنكزية بعد الذهبي^(٣).

[٥] المدرسة الفاضلية: وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أن ابن كثير قد تولى تدريس الفاضلية فقال في ترجمة شمس الدين محمد الموصلي^(٤) المتوفى سنة ٧٧٤هـ «وولي تدريس الفاضلية بعد ابن كثير»^(٥).

[٦] دار الحديث الأشرفية الجوانية: وقد صرح تقي الدين ابن قاضي شهبه أن ابن كثير ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية فقال: «وبعد موت السبكي ولي ابن كثير مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أخذت منه»^(٦).

(١) البداية والنهاية ١٨/ ٥٠٠.

(٢) المرجع نفسه ١٨/ ٢٩٠.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨.

(٤) هو محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي شمس الدين نزيل دمشق، قال فيه ابن حبيب: عالم علت رتبته الشهيرة، وبارع ظهرت في أفق المعارف شمس المنيرة، وبلغ يشني على قلمه ألسنة الأدب، وخطيب تهتز لفصاحته أعواد المنابر من الطرب، كان ذا فضيلة مخطوطة، وكتابة منسوبة وخبرة بالفنون الأدبية، ومعرفة بالفقه واللغة العربية، له نظم المناهج ونظم المطالع وعدة من القصائد النبوية، توفي سنة ٧٧٤هـ (إنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٦٨).

(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٦٨.

(٦) طبقات ابن قاضي شهبه ص ٣٧٣.

[٧] المدرسة النورية الكبرى: وأنشأها الملك نور الدين محمود زنكي رحمه الله سنة ٥٦٣هـ^(١). وقد درس ابن كثير في هذه المدرسة وكان موعدهم قبل صلاة الظهر من كل يوم^(٢)، وغيرها من المدارس الكثيرة إضافة إلى مشاركته في عضوية لجان الامتحانات التي كانت تعقد في عصره لامتحان الصبيان والشباب النابهين، فمثلاً ذكر في حوادث سنة ٧٦٣هـ أنه في يوم ٢٠ شعبان من هذه السنة دعي مع مجموعة من العلماء والمحدثين واللغويين والأدباء وغيرهم لامتحان بدر الدين بن الشيخ كمال الدين الشريشي، وكان يحفظ كثيراً من شواهد اللغة، فأحضرُوا نيفاً وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي واجتمعنا كلنا، وأخذ كل منا بيده مجلداً من تلك المجلدات، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها، فَيَنْشُرُ كلاً مِنَّا ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه فيها إلا القليل الشاذ، وهذا من أعجب العجائب وأبلغ الإغراب^(٣).

وابن كثير رحمه الله سلك في تعليمه وتدريسه في المدارس وغيرها طرق التعليم المختلفة والمتنوعة، وبالأساليب الواضحة السهلة، متسماً بالجودة والإحاطة بالمسألة، ميّناً للمستمع محبوب الشارع ومكروهه وما الطريق إلى تحصيل المحبوب وإلى دفع المكروه أو تخفيفه وتطبيق الأمور الواقعية على القواعد

(١) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٤٦٦/١.

(٢) البداية والنهاية ٦٩٩/١٨.

(٣) انظر البداية والنهاية ٦٦١/١٨، ٦٦٢، في حوادث سنة ٧٦٣هـ.

الشرعية ليتم فهمها لأن أكثر الشرائع الظاهرة والباطنة، لا يمكن قياسها ولا العمل بها، إلا بتعلم أهل العلم وتذكيرهم بكل وسيلة وبكل طريقة ومناسبة؛ لأن المقصود من استخدام الوسائل والطرق المفيدة من قبل أهل العلم هو إيصال العلم للناس ورفع الجهل عنهم قدر الإمكان^(١).

فواجب الدعاة إلى الله اليوم أن يحرصوا على تعليم الناس وبتبصيرهم بأمور دينهم، بالوسائل والأساليب المختلفة سواء كان ذلك في المدارس أو المساجد أو وسائل الإعلام المختلفة كالإذاعة والتلفاز، أو من خلال الدورات العلمية، أو تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وغير ذلك من الأساليب المتنوعة والمفيدة.

ثانياً: الإفتاء:

المفتي هو من يتصدى للفتوى بين الناس، وفقهه تُعَيَّنُه الدولة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية، والجمع مفتون^(٢)، وأفتى الفقيه في المسألة إذا بَيَّنَّ حكمها، واستفتيت إذا سألت عن الحكم قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^(٣). ويقال منه فتوى وفتياً^(٤).

والمستفتي: هو السائل عن حكم الشرع في مسألة من المسائل^(٥).

(١) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٠٠-١٠١، طبعة مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

(٢) المعجم الوسيط ٦٧٤/٢.

(٣) سورة النساء، الآية [١٧٦].

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٧٤/٤.

(٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ص ١٤٠، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

والإفتاء واجب من واجبات العلماء والفقهاء وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام، ولذلك لا بد لمن يتصدر للفتوى أن تتوفر فيه شروط الإفتاء، فلا «يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة بصيراً بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي»^(١).

وابن كثير رحمه الله ممن توفرت فيهم شروط الفتوى بشهادة علماء عصره وشيوخه وتلاميذه قال عنه ابن حبيب^(٢): «وأطرب الأسماع بالفتوى وشئف»^(٣)، وقال أيضاً «وطارت أوراق فتاواه إلى البلاد»^(٤)، وأطلق عليه شيخه الذهبي لقب «الفقيه المفتي»^(٥)، وقال أيضاً «الإمام المفتي

(١) أعلام الموقعين لابن القيم ٤٦/١ طبعة دار الجليل سنة ١٩٧٣م.

(٢) هو طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب، أبو الغربن بدر الدين الحلبي المعروف بابن حبيب فاضل، ولد ونشأ بحلب، وكتب بها ديوان الإنشاء، من كتبه ذيل على تاريخ أبيه ومختصر النار في أصول الفقه، توفي سنة ٨٠٨ هـ (الأعلام ٢٢١/٣).

(٣) شذرات الذهب ٢٣١/٦، وشنف الأذان بكلامه أمتها، وشئف كلامه زينه، المعجم الوسيط ٤٩٦/١.

(٤) إنباء الغمر ٣٩/١.

(٥) طبقات الحفاظ ١٥٠٨/٤.

البارع»^(١)، وقال ابن تغري بردي والشوكاني «وأفتى ودرس»^(٢) وقال الحسيني «وأفتى ودرس وناظر»^(٣) وهذا يدل كما يقول الدكتور الزحيلي «على تمكن ابن كثير رحمه الله تعالى بالفقه ومعرفة الأحكام الشرعية وإخلاصه في علمه وعمله وثقة الناس به وأخذ الطلاب عنه في الفقه والإذن بالفتوى، وتوجيه القضاة والحكام الفتوى له في القضايا المهمة والخطيرة»^(٤).

ومما يدل على علو منزلته في هذا المجال أن الأمراء والحكام كانوا يطلبون منه الرأي والمشورة والفتوى في المسائل التي تهم الناس، وكثيرا ما يدعونه للمشاركة مع غيره من المفتين في بحث القضايا والنوازل الاجتماعية والسياسية أو لحضور المجالس التي تعقد للفصل بين نزاعات العلماء وخلافاتهم^(٥).

ومما يؤسف له أنه لم يكن هناك فتاوى مدونه لابن كثير ولعلها قد فقدت فيما فقد من مؤلفاته كالأحكام الكبير والصغير وشرح التبيين في فروع الشافعية، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه وغيرها.

ولعل ما أورده من خلال كتابه التفسير لبعض الأحكام الفقهية والأصولية ومناقشته لأقوال المجتهدين الفقهاء وبيان الصحيح منها والراجع من

(١) إنباء الغمر ١/٣٩.

(٢) المنهل الصافي ٢/٢٤١٥، البدر الطالع ١/١٥٣.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٥٨.

(٤) ابن كثير الدمشقي ص ١٠٩ مرجع سابق.

(٥) الإمام ابن كثير للندوي ص ١٤٩، مرجع سابق.

غيره^(١) أو ما ذكر من بعض الوقائع يجعلنا نتعرف على بعض فتاواه وآرائه الفقهية ومواقفه الاجتماعية والسياسية.

(١) انظر مثلاً التفسير ٣٣/٢، ١، ٥٥٢.

والبداية والنهاية ٥٦١/١٨ في أحداث ٧٥٥ هـ - ٥٧١/١٨ في أحداث سنة ٤٥٤ هـ،
٧٠٦/١٨ في أحداث ٧٦٦ هـ.

وهناك فتوى ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية حول الدجال والسؤال عن الحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعواه الربوبية وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء، وقد حذر منه جميع الأنبياء كيف لم يذكر في القرآن ويحذر منه، ويصرح باسمه ويفوه بكذبه وغناؤه؟ فقال ابن كثير رحمه الله: « والجواب من وجوه أحدها أنه أشير إلى ذكره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْنَسَاتِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَتِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام ١٥٨].

والثاني: أن عيسى بن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال. فعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى بن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال مسيح الضلالة وهو ضد مسيح الهدى، ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر.

والثالث: أنه لم يذكر بصريح اسمه احتقاراً له حيث يدعي الإلهية وهو بشر... فإن قلت فقد ذكر فرعون في القرآن وقد ادعى ما ادعاه من الإلهية والكذب والبهات حيث قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات ٢٤] وقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصاص ٣٨]، فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل، وأمر الدجال سيأتي وهو كائن فيما يستقبل فتنة واختباراً للعباد. فترك ذكره في القرآن احتقاراً له وامتحاناً به، إذ أمره وكذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه، وقد يترك الشيء لوضوحه... الخ الفتوى، البداية والنهاية ١٩٥/١٩ - ١٩٧.

فوجب الدعاة اليوم السير على خطى العلماء والمصلحين أمثال ابن كثير، وأن يتخصص فريق منهم لطلب العلم الشرعي وتحصيله حتى يصلوا إلى مستوى علمي، يستطيعون من خلاله تعليم الناس أحكام دينهم والإجابة على تساؤلاتهم لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الحوادث والنوازل والمستجدات في شتى أنواع الحياة.

المطلب الرابع

الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء

جاء في المعجم الوسيط: «استدرك عليه القول أصلح خطأه وأكمل نقصه، أو أزال عنه لبساً»^(١).

وجاء في القاموس المحيط: «تعقبه: أخذ بذنب كان منه، وعن الخبر شك فيه وعاد للسؤال عنه»^(٢).

فالاستدراك والتعقيب هو إصلاح خطأ، أو إكمال نقص أو إزالة لبس، أو سؤال عن خبر مشكوك فيه.

والاستدراكات والردود والتعقيبات من الأساليب التي تستخدم لبيان الحق وتوضيحه، وإصلاح الخطأ وإزالة اللبس، وكشف الباطل والتحذير منه، وهذه الأساليب فيها تعليم للجاهل وتنبيه للغافل، وإقامة الحجة على المعاند والمكابر، وهي جهاد بالكلمة وطريق من طرق الدعوة إلى الله وبيان الحق ونصرتة والدفاع عنه، وهذا مما يتعين على الدعاة اليوم القيام بهذا الواجب لا سيما في هذا العصر

(١) المعجم الوسيط ٢٨١/١.

(٢) القاموس المحيط ص ١١٦.

الذي كثرت فيه الشبه التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة في قوالب وأساليب مضللة، وابن كثير رحمه الله له باع طويل في هذا المجال، فقد كان رحمه الله عالماً ناقداً كما قال الحسيني عنه أنه «فقيه متفنن محدث مفسر نقاد»^(١).

ونجد ذلك واضحاً في تفسيره رحمه الله وذلك من خلال استدراكاته وتعقيباته على غيره من العلماء أو رده على أخطاء أهل البدع والضلال، وقد سبق أن ذكرنا شيئاً من ذلك، وجهود ابن كثير رحمه الله في مجال الردود والتعقيبات والاستدراكات على غيره من العلماء كثيرة ومتنوعة، فمنها ما يتعلق بعلم الحديث ونقد السند والمتن والجرح والتعديل، ومنها ما هو في الفقه وأصوله، ومنها ما هو في النحو والعربية، ومنها أخطاء تتعارض مع العقل والنقل، إضافة إلى نقده ورده لما ورد في بعض الإسرائيليات الموضوعة والمكذوبة، إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره.

وابن كثير رحمه الله حينما يقوم بالرد والاستدراك على غيره من العلماء فرائده في ذلك الإخلاص في الوصول إلى الحق، وشعاره محبة الآخرين والحرص على نفعهم، ومنهجه حسن الظن بهم بالبحث عن مخرج وعذر لهم، وإذا كانوا خصوماً أو أعداء فلا يرضى بغير العدل والإنصاف معهم، مع تجنبه الجدل المذموم ونبذه الجمود الفكري والتعصب المذهبي كما مر معنا سابقاً عند الحديث عن الموضوعية عند ابن كثير.

(١) انظر: ابن كثير ومنهجه في التفسير د. إسماعيل عبد العال ص ١٤٧.

ومن الأمثلة على ذلك :

[١١] في العقيدة :

- * رده على القدرية في أن العباد هم الذين يختارون الهداية والضلال ^(١).
- * رده على بعض المتكلمين في أن الكرسي هو الفلك الثامن ^(٢).
- * رده على الرافضة في المهدي الغائب المنتظر ^(٣).
- * رده على المعتزلة في أن الله لا يراه المؤمنون في الآخرة ^(٤).
- * رده على ملاحدة الصوفية في أن المراد باليقين المعرفة ^(٥).

[٢] في الفقه وأصوله :

- * رده على ابن عبد البر في أن الصلاة الوسطى هي جميع الصلوات ^(٦).
- * رده على من أجاز نكاح المتعة ^(٧).
- * رده على من قال بأن الإمساك من طلوع الشمس ^(٨).

(١) التفسير ٤٤/١ ، عند تفسير سورة الفاتحة الآية [٧].

(٢) انظر المرجع نفسه ٣٨٤/١ عند تفسير البقرة الآية [٢٥٥].

(٣) انظر المرجع نفسه ٤٤/٢ عند تفسير المائدة الآية [١٢].

(٤) انظر المرجع نفسه ٢٠٥/٢ عند تفسير الأنعام الآية [١٠٣].

(٥) انظر المرجع نفسه ٦٩٢/٢ عند تفسير الحجر الآية [٩٩].

(٦) انظر المرجع نفسه ٣٦٤/١ عند تفسير البقرة الآية [٢٣٨].

(٧) انظر المرجع نفسه ٥٨١/١ عند تفسير النساء الآية [٢٤].

(٨) انظر المرجع نفسه ٢٧٦/١ عند تفسير البقرة الآية [١٨٧].

* رده على الشيعة ومن وافقهم في عدم جواز المسح على الخفين^(١).

* رده على المعتزلة في مسألة التحسين والتقييح العقليين^(٢).

* رده على اليهود في النسخ وأنه يجوز شرعا وعقلا^(٣).

[٣] في الحديث وعلومه :

* تعقبه لابن الأثير في أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز ليس بأبي سعيد بن المعلّى كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول^(٤).

* تعقبه لابن جرير الطبري في روايته حديثا موضوعا لم ينبه عليه ، قال «وهذا أمر عجيب غريب منه»^(٥).

* رده على من قال بأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل واستدلّاه بأن الحديث المروي في ذلك لم يصحّ سنده^(٦).

* رده على ابن خزيمة في حديث عائشة أنها لما سألت رسول الله ﷺ عن رؤيته لربه فخاطبها على قدر عقلها^(٧).

(١) انظر: التفسير ٣٨/٢ عند تفسير سورة المائدة الآية [٦].

(٢) انظر: المرجع نفسه ١٧٨/٤ عند تفسير سورة الجاثية الآية [٢٣].

(٣) انظر: المرجع نفسه ١٨٩/١ عند تفسير سورة البقرة الآية [١٠٦].

(٤) المرجع نفسه ١٩/١ فضل سورة الفاتحة.

(٥) المرجع نفسه ٦٦٧/٣ في تفسير سورة سبأ الآية [٥١].

(٦) انظر: المرجع نفسه ٢٣/٤ الصافات الآية [١٠٢].

(٧) انظر: المرجع نفسه ٢٩٧/٤ في تفسير سورة النجم الآية [٢].

[٤] في النحو والعربية:

* تعقبه ابن جرير بأن الحمد ليس بمعنى الشكر^(١).

* تعقبه الزجاجي في معنى قوله تعالى: ﴿يَنْجِبَالُ أَوِي مَعَهُ﴾^(٢)، أي سيري

معه بالنهار كله، قال ابن كثير: وهو غريب جدا لم أجده لغيره، والصواب رجعي مسبحة معه^(٣).

* استدراكه على زيد بن أسلم، وسفيان بن عيينة، وغيرهم بأن معنى تعولوا تكثر عيالكم، قال: والصحيح قول الجمهور: ﴿ذلك أدنى أن لا تعولوا﴾ أي تجوروا^(٤).

* تعقبه ابن جرير في قوله أن «ما» في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٥)، موصوله وترجيحه أنها نافية^(٦).

* رده على الظاهرية في إعادتهم الضمير في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنْ مَّا مَسْفُوحًا أَوْ لَخْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾^(٧) على الخنزير، حتى يعم جميع أجزائه قال ابن كثير «وهذا بعيد من

(١) انظر المرجع نفسه ٦٤٧/٣.

(٢) سورة سبأ، الآية [١٠].

(٣) التفسير ٦٤٧/٣.

(٤) التفسير ٥٥٢/١ في تفسير سورة النساء الآية [٣].

(٥) سورة القصص، الآية [٦٨].

(٦) التفسير ٤٩١/٣ في تفسير سورة القصص الآية [٦٨].

(٧) سورة الأنعام، الآية [١٤٥].

حيث اللغة، فإنه لا يعود الضمير إلا على المضاف دون المضاف إليه، والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو مفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد»^(١).

[٥] ردود واستدراكات وتعقيبات أخرى :

* رده على ابن حبان في قوله بأن بين سليمان عليه السلام وإبراهيم عليه السلام أربعين سنة قال ابن كثير: «وهذا مما أنكر على ابن حبان، فإن المدة بينهما تزيد على ألوف السنين والله أعلم»^(٢).

* تعقبه على من زعم أن ذا القرنين سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه، فشيء لا حقيقة له^(٣).

* رده على من زعم أن يأجوج ومأجوج خُلِقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذ يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء، قال ابن كثير «وهذا القول غريب جدا ولا دليل عليه من عقل ولا نقل»^(٤).

(١) التفسير ١٢/٢ عند تفسير سورة المائدة آية [٣].

(٢) المرجع نفسه ٢٣١/١ عند تفسير سورة البقرة [١٣٠].

(٣) انظر التفسير ١٣٠/٣ عند تفسير سورة الكهف آية [٨٦].

(٤) المرجع نفسه ١٣٢/٣ عند تفسير سورة الكهف آية [٩٤].

* استدراكه على من قال بأن مدة حكم بني أمية ألف شهر بالتاريخ والحساب، حيث إن مدة حكمهم اثنين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر^(١).

(١) انظر المرجع نفسه ٦٣٣/٤ عند تفسير سورة القدر آية ٣.

وللاستزاده انظر مثلاً:

٣٥/١ الفاتحة ٣، ٣٩/١ الفاتحة ٥، ٥٢/١ البقرة ١، ٥٤/١ البقرة ٢، ٦٣/١ البقرة ٧،
 ٧١/١ البقرة ١٨، ٨٢/١ البقرة ٢٤، ٩٠/١ البقرة ٢٩، ١٨٢/١ البقرة ١٠٢، ١٨٩/١
 البقرة ١٠٦، ١٩٠/١ البقرة ١٠٦، ١٩٥/١ البقرة ١، ١٩٨/١١٤ البقرة ١١٥، ٥٣٧/١
 آل عمران ١٩٤، ٥٨١/١ النساء ٢٤، ٧١٧/١٢ النساء ١٦٤، ٦/٢ المائدة ٢، ٣٨/٢
 المائدة ٦، ٤٤/٢ المادة ١٢، ٥٠/٢ المائدة ٢٢، ١٦٠/٢ الأنعام ٣، ٢٠٥/٢ الأنعام
 ١٠٣، ٣٠٨/٢ الاعراف ١٤٣، ٣٤٦/٢ الاعراف ١٩٠، ٥٢٧/٢ يونس ٨٣، ٥٥٧/٢
 هود ٧١، ٥٧٩/٢ يوسف ٢٢٧، ٥٨٥/٢ يوسف ٢٤، ٥٩٣/٢ يوسف ٥٣، ٦٩٢/٢
 الحجر ٩٩، ٣١/٣ الاسراء ١، ٤٢/٣ الاسراء ١٥، ١٢٥/٣ الكهف ٨٣، ١٣٠/٣
 الكهف ٨٦، ١٣٢/٣ الكهف ٨٤، ٣٧٤/٣ النور ٥٥، ٤٤٤/٣ النمل ١٦، ٤٩٣/٣
 القصص ٧٨، ٥١٥/٣ العنكبوت ٤٨، ٥٧٣/٣ السجدة ٢٩، ١٩/٤ الصافات
 ١٢، ١٩/٤ الصافات ١٠٢، ١٦٩/٤ الدخان ٢٩، ١٧٨/٤ الجاثية ٤، ٢٠٢/٢٤
 الاحقاف ٢٩، ٢٢٧/٤ الفتح ٢٤، ٢٥٧/٤ الحجرات ١٤، ٢٦٠/٤ ق ١، ٢٧٨/٤
 الذاريات ٣٦، ٢٩٥/٤ النجم ١٣، ٢٩٧/٤ النجم ١٣، ٣٧٣/٤ الحديد ٢٧، ٥٢٥/٤
 المدثر ٣١، ٥٣١/٤ القيامة ٢٤، ٦٠٢/٤ الفجر ٨، ٦٠٣/٤ الفجر ٨، ٦٣٦/٤ القدر
 ٣، ٦٧٢/٤ الكوثر ١.

المبحث الثالث الوسائل في منهج ابن كثير

وفيه مطالب:

المطلب الأول الاتصال الشخصي

الاتصال الشخصي وسيلة من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله لجميع فئات الناس وأجناسهم وأديانهم ومراكزهم، فهي وسيلة ناجحة للدعوة إلى الإسلام إذا كان المدعو غير مسلم، فيتم اللقاء به ودعوته إلى الإسلام وحواره ومناقشته، والحديث معه بنوع من الخطاب والجدال والحجج وإزالة الشبهات بما لا يتناسب إثارته في المجامع العامة من المسلمين أو غيرهم، وهي وسيلة ناجحة للاتصال بشخص من ذوي الهيئات والمكانة، يرغب الداعية أن يلتقي به، فتكون دعوته لزيادة الإيمان والهدى في قلبه، ولأجل تحسين صورة الدعوة والخير وأهله لديه، وكذلك تشجيعه على دعم الخير ماديا ومعنويا، وهي وسيلة ناجحة كذلك للاتصال بالحكام والأمراء للبحث معهم والحديث معهم حول مصالح البلاد والعباد ولمعالجة المنكرات والسعي في إزالتها، ولدعم الدعوة والتعريف بها وإزالة التصورات الخاطئة حول الدعاة إلى الله، وكذلك هي وسيلة ناجحة ومهمة مع العلماء الكبار وشيوخ الجماعات الدعوية للباحث معهم في أمور الدعوة وقضايا الأمة ومصالحها، وكذلك اللقاء برؤساء وزعامات الفرق الإسلامية للنقاش معهم والتباحث حول ما يحصل من أخطاء في العقائد والعبادات والسعي إلى تصحيحها ومعالجتها^(١).

(١) انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله للدكتور عبد الله الحوشاني ٦٦٩/٢-٦٧٠، مرجع سابق.

وأخيراً فالإتصال الشخصي أو الدعوة الفردية وسيلة ناجحة للإتصال بآحاد الناس لدعوته إلى الهدى والخير وإنكار ما عنده من منكر، أو معرفة حاجته ومشكلته، فيساهم الداعية في حلها وعلاجها ونحو ذلك من الأمور التي لا يمكن معالجتها وإصلاحها إلا بالإتصال الفردي من قبل الداعية.

والناظر في سيرة ابن كثير رحمه الله يجد أنه على قدر كبير من ممارسة أسلوب الإتصال الشخصي بجميع فئات المجتمع، ومختلف طبقاته، سواء كان أمراء^(١) أو

(١) فمن الأمثلة على ذلك:

١. لقاءه بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله وهو نازل بالمدرسة الدماغية داخل باب الفرج، وقراءة ابن كثير عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد ابن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده، يقول ابن كثير: «والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام، متواضع، جيد الفهم، حلوا العبارة، رحم الله سلفه» (البداية والنهاية ٥٤٨/١٨، ٥٤٩ في حوادث سنة ٧٥٣هـ).

٢. لقاءه بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير علي المارداني، حيث أخبر ابن كثير بملخص خبر تمرد نائب حلب سيف الدين طاز ثم رجوعه عن ذلك وطلبه للصلح، يقول ابن كثير: «فأخبرني بملخص ما وقع... ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً إذ لم يقع بينهم قتال» (المرجع السابق ٥٨٣/١٨ في حوادث سنة ٧٥٩هـ).

٣. اتصاله المتكرر بنائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا فقد اتصل به يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ٧٦٧هـ في الميدان الأخضر بناء على طلبه وقد تحدث معه في المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ريع أموالهم لعمارة ما خرب من الإسكندرية ولعمارة مراكب لغزو الفرنج، وكذلك اجتمع به مرة أخرى في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الأول حيث بشره نائب السلطنة أنه قد رسم لعمل الشواني والمراكب لغزو الفرنج (المرجع نفسه ٧٠٧/١٨). وكذلك اجتمع آخر في يوم الأربعاء خامس ربيع الأول بدار السعادة أيضاً حيث ذكر له نائب السلطنة أنه جاء المرسوم الشريف السلطاني بعمل الشواني والمراكب لغزو قبرص وقتال الإفرنج (المرجع نفسه ٧٠٧/١٨).

علماء^(١) أو من عامة الناس بل حتى من غير المسلمين^(٢)، والتي تدل على أن ابن كثير رحمه الله حريصاً على الإتصال بالناس ودعوتهم ونصحهم

=ونلاحظ أن جميع اتصالات ابن كثير بنائب السلطنة في مصلحة المسلمين والدفاع عنهم ومحاربة أعدائهم من الفرنج وغيرهم، وغيرها من الاجتماعات والاتصالات الشخصية الأخرى التي يحرص ابن كثير من خلالها على التوجيه والتعليم والنصح والإرشاد، وبحث القضايا والأمور التي تهم الأمة، وتشجع الأمراء وتحثهم على جهاد الأعداء وحماية الثغور في البلاد الإسلامية وحل المشاكل والنزاعات والخصومات التي تحصل بين الأمراء والحكام (للاستزادة انظر مثلاً: البداية والنهاية ٨٩/١٨ في حوادث سنة ٧٥٩هـ، ٧٠٩/١٨، وفي حوادث سنة ٧١٣هـ، ٥٨٧/١٨، وفي حوادث سنة ٧٥٩هـ، ٧٠٩/١٨، وفي حوادث سنة ٧٦٧هـ).

(١) ومن أمثلة اتصاله بالعلماء وطلاب العلم:

١. اجتماعه بالعلماء والقضاة في دار العدل لمحاكمة الدوكالي، وحكمهم عليه بالقتل، يقول ابن كثير: «وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره» (البداية والنهاية ٤٢٣/١٨ في حوادث سنة ٧٤١هـ).

٢. اجتماعه بالقضاة والمفتين في دار السعادة للنظر في المدرسة التدمرية وقرابة الوقف، ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث (المرجع نفسه ٦٨٨/١٨ في حوادث سنة ٧٦٥هـ).

٣. اتصاله ببعض الطلبة اتصالاً فردياً وامتحانهم وإجازتهم كما فعل مع الصبي الصغير الذي صلى بالناس رمضان وعمره ست سنوات فوجده ابن كثير جيد الحفظ والأداء (البداية والنهاية ٤٩٩/١٨ في حوادث سنة ٧٤٧هـ)، وكذلك الشاب الأعجمي الذي كان يحفظ البخاري ومسلم وجامع المسانيد والكشاف وغيرها، وقد أجازته ابن كثير وكتب له بالسماع (المرجع نفسه ٦٥٨/١٨، ٦٥٩، في حوادث سنة ٧٦٣هـ).

(٢) ومن الأمثلة على اتصال ابن كثير بغير المسلمين اتصاله بالترك بشاره، ومناقشة ابن كثير في دينه ونصوص ما يعتقده (البداية والنهاية ٧١٦/١٨).

وإرشادهم وتعليمهم ما ينفعهم، سواء كانوا أمراء أو علماء أو عامة الناس أو من غير المسلمين، فحري بالدعاة إلى الله اليوم أن يستفيدوا من أسلوب الاتصال الشخصي، وأن يحرصوا على الاحتكاك بالناس ومخالطتهم، ومعاشرتهم والتواضع لهم وعدم الترفع عليهم، وأمر آخر وهو أن الاتصال الشخصي له أثر كبير في التعارف بين الدعاة إلى الله والتقارب فيما بينهم وإزالة الحواجز والعوائق وسبيل للمحبة والتآلف والتعاون وإزالة ما في النفوس من الوحشة وما في القلوب من النفرة، وما يحصل من البغضاء والحسد، فعلاج ذلك هو الاتصال الشخصي بينهم والحديث الأخوي المباشر مما يزيد في المحبة والتقارب وتحقيق التعاون على البر والتقوى.

المطلب الثاني

الرسائل الشخصية

الرسائل الشخصية وسيلة من وسائل الدعوة النافعة، وقد استخدمها الرسول ﷺ لدعوة الملوك والرؤساء إلى الإسلام، يقول ابن سعد في طبقاته «لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب لهم كتاباً فليل يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتماً من فضة، فصّ منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله وختم به الكتب»^(١).

فكتب إلى كل من النجاشي وهرقل، والمقوقس، وكسرى، وكان كل من النجاشي عظيم الأحباش وهرقل إمبراطور الروم والمقوقس عظيم القبط يدينون

(١) طبقات ابن سعد ٢٥٨/١ دار صادر للطباعة، بيروت، بدون تاريخ.

بالنصرانية، أما كسرى عظيم الفرس، فكان مجوسياً، لذا نجد أن ملوك النصارى كان ردهم على كتب النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إيجابياً وذلك بناء على ما لديهم من علم بهذا النبي الكريم ﷺ، أما عظيم الفرس فكان على العكس من ذلك حيث مزق كتاب رسول الله ﷺ فمزق الله ملكه^(١).

ومن بعد الرسول ﷺ استخدم الرسائل الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم الخلفاء والعلماء والدعاة، والمصلحون، ومنهم ابن كثير رحمه الله الذي تأثر بشيخه ابن تيمية الذي استخدم الرسائل كوسيلة من وسائل الدعوة، وبيان الحق والدفاع عنه، والرد على أهل البدع والضلال، ولا شك أن كتابات ورسائل ابن كثير انتفع بها كثير من الناس سواء ممن كانوا حوله أو ممن كانوا بعيدين عنه، فقد كان ذكره مشهوراً بينهم، كما ذكر الشاب الأعجمي الذي خرج من بلاده خراسان بقصد الاستفادة من ابن كثير وأن يكتب له إجازة بالسمع^(٢)، ورسائل ابن كثير متنوعة فمنها ما هي رسائل شفهية، ومنها ما هي مكتوبة، ومنها ما هي عامة للناس، ومنها ما هي لبيان مسألة عقدية أو حكم شرعي فمن هذه الرسائل:

* رسالته لأحد الأمراء رداً على طلبه فتوى بعث بها إليه يقول ابن كثير: «فقلت للذي جاءني بها من جهته للأمير، إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه

(١) انظر الأسلوب النبوي في الدعوة، حمدان الهجاري ص ٣٥٨ طبعة دار الهدى للطباعة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) البداية والنهاية ١٨/ ٦٥٩ في حوادث سنة ٧٦٣هـ.

وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده، ولا يسعى في تحصيل حق معين، أو ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك... وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جميع الدولة والأمراء عليه، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايع أولاً، ثم بعد ذلك يكتب بقية المفتين بطرفه، والله الموفق للصواب»^(١).

* ومن الرسائل المطولة رسالة الاجتهاد في طلب الجهاد وقد كتبها بناء على طلب نائب السلطنة بالشام الأمير منجك»^(٢).

* ومن الرسائل التي كتبها ابن كثير هي ما كتبه في تبرئة تاج الدين السبكي وتزكيته حيث يقول: «وفيه بخطي بأني ما رأيت فيه إلا خيراً»^(٣)، وأخيراً من الرسائل القيمة التي كتبها ابن كثير لعموم الأمة، رسالة في السماع وحكمه ذكرها الحاجي^(٤) خليفة في كتابه كشف الظنون^(٥) وغيرها من الرسائل.

فواجب الدعاة إلى الله أن يستفيدوا من هذا الأسلوب الدعوي الناجح، لأن ميزة الرسالة الشخصية، أن المرسل إليه يقرؤها في خلوة مع نفسه، مما يتيح له فرصة التأمل والتركيز ولهذا كلما كانت الرسالة محكمة كلما كان أثرها جيداً ومردودها مفيداً، والرسائل في وقتنا الحاضر، أوعيتها كثيرة ومتنوعة، فمنها ما

(١) البداية والنهاية ١٨/ ٦٣١ في حوادث سنة ٧٦٢هـ.

(٢) انظر: ص ٣٢٣.

(٣) البداية والنهاية ١٨/ ٧٠٨ في حوادث سنة ٧٦٧هـ.

(٤) هو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المعروف بحاجي خليفة مؤرخ بحاث تركي الأصل، من كتبه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو من أنفع وأجمع ما كتب في موضوعه بالعربية، وتحفة الكبار في أسفار البحار وغيرها، توفي سنة ١٠٦٧هـ (الأعلام ٧/ ٢٣١).

(٥) كشف الظنون ١/ ١٠٠١.

يرسل باليد ومنها ما يرسل بالبريد السريع أو الإلكتروني، ومنها الرسائل المختصرة التي ترسل عبر الهاتف المحمول^(١)، وغيرها من أنواع الرسائل الكثيرة، فحري بالداعية أن يستفيد من التقدم التقني، حيث لم تعد الرسائل في هذا الزمن محصورة فيما يكتب في الأوراق، ثم يبعث بها المرسل إلى من يريد إرسالها إليه.

المطلب الثالث

الكتب والمؤلفات

إن كتابة العلم وتدوينه، وتأليف الكتب والرسائل من أهم وسائل حفظ العلم، وتعلمه ونشره وتبليغه وكم من عالم ضاع علمه وانقطع أثره، بسبب عدم رواية علمه وكتابة ذلك وتدوينه، ولو أن سيرة النبي ﷺ وحياته لم تكن مدونة ومكتوبة لما عرفها الناس، وكذلك الشأن في أحكام الدين وشرائعه وتاريخ الإسلام وحوادثه، وكذلك كان المسلمون فيما مضى حريصون على الكتابة والتأليف والتدوين فحفظوا كتاب الله، وحديث رسول الله وأحكام الشريعة وبيّنوا الكفر والضلال والانحراف ودافعوا عن دين الله وردوا شبهات الملحدين، وانتحال المبطلين وزيف المبتدعين، مع ضعف إمكانات الكتابة والتدوين في وقتهم مقارنة بما نحن فيه الآن من تقدم أدوات الكتابة والطباعة والنسخ والتصوير والحفظ وجودة الورق وتنوعه، إلى غير ذلك من الوسائل المختلفة والمتقدمة، والدعاة إلى الله اليوم مطالبون بالسير على نهج سلفهم في الكتابة والتأليف، فعليهم أن يقتحموا هذا الميدان ويتعلموا فن الكتابة

(١) انظر: الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب ص ٢٦٠ مرجع سابق.

وأساليبها، وأن يتخصص فريق منهم في تعلم اللغات الحية وخاصة الإنجليزية لكتابة الرسائل والمقالات والكتب التي تشرح الإسلام وتبين محاسنه وتدعو الناس إلى الدخول فيه وترد على الشبه التي تثار حوله.

وابن كثير رحمه الله ممن كان له جهود كبيرة في هذا المجال، فألف تصانيف نافعة ومفيدة، فقدّم للمسلمين إنتاجاً نافعاً وعلماً غزيراً، وكتباً نافعة، وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات علمية قيمة، ولقد قال عنه شيخه الذهبي «له تصانيف عدة مفيدة»^(١)، وقال الزركلي: «تناقل الناس تصانيفه في حياته»^(٢) وكذلك بعد وفاته إلى اليوم، قال ابن حجر: «وسارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته»^(٣). وقد اشتغل رحمه الله بالتأليف حتى آخر حياته، يقول رحمه الله لتلميذه ابن الجزري مبيناً له أنه مشغول بالتأليف حين ذكر له كتابه الكبير جامع المسانيد: «لا زلت أكتب في الليل والسراج ينوص»^(٤)، حتى ذهب بصري معه، ولعل الله أن يقيض من يكمله مع أنه سهل»^(٥).

بل إنه رحمه الله بعد أن كف بصره كان أيضاً يُكتب له، فقد ذكر ابنه زين الدين عبد الرحمن قوله: «لما أضر الوالد كان يُؤرخ له»^(٦)، وغالب مؤلفات

(١) طبقات ابن قاضي شهبه ١١٥/٣.

(٢) الاعلام ٣١٨/١.

(٣) الدرر الكامنة ٤٠٠/١.

(٤) جاء في القاموس المحيط النوص التأخر ص ٦٣٣ باب الصاد فصل النون.

(٥) المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزري ص ٢٣.

(٦) تاريخ ابن قاضي شهبه ٣٥٧/١.

ابن كثير رحمه الله في علوم الشريعة والحديث والفقه والتراجم يقول الإمام ابن حجر: «وقد صنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام»^(١)، وامتازت مؤلفات ابن كثير بوضوح العبارة وسهولة الأسلوب والبعد عن التعصب المذهبي، كما اتسم منهجه بالتجديد والتحرر الفكري وقد استفاد من منهج شيخه ابن تيمية^(٢).

ولا تزال مؤلفاته مصادر رئيسة، ومراجع موثوقة لا يستغني عنها الباحثون وطلبة العلم، خاصة كتابه في التفسير وكتابه في التاريخ^(٣).

وكتب ومؤلفات ابن كثير كما قال الدكتور مسعود الندوي: «طبع بعضها وما زال بعضها الآخر مخطوطاً في مكتبات العالم، وقد بلغ عدد مجموع مؤلفاته عندنا في هذا الكتاب أربعة وثلاثين كتاباً ورسالة، وهذه الثروة العلمية الضخمة لتدل على جلد ابن كثير وصبره في التصنيف والتأليف»^(٤).

مؤلفاته:

[١] تفسير القرآن العظيم^(٥).

[٢] فضائل القرآن.

(١) إنباء الغمر ١/٤٦.

(٢) انظر: منهج ابن كثير وجهوده في الدعوة إلى الله د. إبراهيم المرشد ص ٦٦٦ مرجع سابق.

(٣) انظر: حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم د. محمد الفالح ص ٣٧، مرجع سابق.

(٤) الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته د. مسعود الندوي ص ٨٨٠٨٩ دار ابن كثير بدمشق، الأولى

١٤٢٩ هـ.

(٥) وقد اختصره أحمد شاكر ونسيب الرفاعي والصابوني... وغيرهم.

- [٣] اختصار علوم الحديث^(١).
- [٤] الفصول في اختصار سيرة الرسول^(٢).
- [٥] الاجتهاد في طلب الجهاد^(٣).
- [٦] مولد الرسول ﷺ^(٤).
- [٧] تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب^(٥).
- [٨] المسائل الفقهية التي انفرد بها الإمام الشافعي من دون إخوانه من الأئمة^(٦).
- [٩] النهاية في الفتن والملاحم^(٧).
- وهناك كتب لابن كثير لا تزال مخطوطة مثل :
- * جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم السنن^(٨).
- * الأحكام الكبير^(٩).

- (١) وقد شرحه وعلق عليه عبد الرزاق حمزة وسماه الباعث الخيث في شرح اختصار علوم الحديث وأيضاً علق عليه أحمد شاكر.
- (٢) وقد طبع بتحقيق الخطراوي ومحبي الدين مستو ونشرته دار التراث بالمدينة المنورة عام ١٩٩١م.
- (٣) وقد طبع بتحقيق د. عبد الله عبد الرحمن العسيلان ونشرته دار اللواء بالرياض ١٤٠٠هـ.
- (٤) وقد طبع بتحقيق محمد الأرناؤوط وياسين محمد السواس وطبعته دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٨٧م.
- (٥) قد طبع بتحقيق عبد الغني بن حميد الكيسي وطبع بدار حراء بمكة ١٤٠٦هـ.
- (٦) وقد طبع بتحقيق د. إبراهيم علي صندقجي.
- (٧) وقد طبع مع البداية والنهاية بتحقيق د. عبد الله التركي وطبعته دار هجر بالرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٨) وقد حققه د. عبد الملك بن دهيش ونشرته مكتبة النهضة بمكة.
- (٩) وقد وصل فيه إلى الحج كما ذكر القاضي شهبه في تاريخه ٤١٦/٣ : « وشرع في أحكام كثيرة وحافلة منها مجلدات وصل الحج » وقال السيوطي : « وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يتم » طبقات الحفاظ ص ٥٣٤.

* والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل^(١).

كما أن هناك مؤلفات لابن كثير ما زالت مفقودة وأكثرها رسائل صغيرة حول موضوعات معينة وقد أشار إليها ابن كثير في تاريخه مثل زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ، وولاية الابن لأمه في عقد النكاح، قال ابن كثير: «وقد جمعت في ذلك مفرداً بيّنت فيه الصواب»^(٢).
وبطلان وضع الجزية عن يهود خيبر وصرح ابن كثير أنه كتب في ذلك مصنفاً مفرداً^(٣).

بيع أمهات الأولاد، قال ابن كثير: «وقد أفردنا لهذه المسألة وهي بيع أمهات الأولاد مصنفاً مفرداً على حدته»^(٤)، وجزءاً في الأحاديث الواردة في المهدي^(٥)، وجزءاً في حديث كفارة المجلس^(٦)، وغير ذلك من الموضوعات والرسائل التي ذكرها ابن كثير وأحال عليها في بعض كتبه كالتفسير والتاريخ.

(١) ذكره المصنف في اختصار علوم الحديث ٦٦٥/٢، وانظر حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم، د. محمد الفالح ص ٥، طبعة مكتبة دار البيان ١٤٢٥هـ.

(٢) البداية والنهاية ٩٠/٤-٩١.

(٣) انظر المرجع نفسه ٢١٩/٤، ٣٥٢/٥، ١٠٢/١٢، ١٩/١٤.

(٤) المرجع نفسه ٣٠٤/٥.

(٥) انظر المرجع نفسه ٢٤٧/٦-٢٤٨.

(٦) انظر المرجع نفسه ٣٤/١١.

وانظر ابن كثير سيرته ومؤلفاته د. مسعود الندوي طبعة دار ابن كثير بدمشق ١٤٢٠هـ، ص ١٤٠-١٤٧.

المطلب الرابع

الرحلات

كان علماء المسلمين يحرصون على الرحلة والتنقل بين البلدان طلباً للعلم، أو من أجل سماع حديث رسول الله ﷺ، أو من أجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام والجهاد في سبيله، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لم تبلغه الإبل لأتيته)^(١).

وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: (إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام)^(٢)، ولأهمية الرحلة في حياة العالم وتحصيله للعلم فإنك قل أن تجد ترجمة لأحد علماء الإسلام ورجاله إلا وتذكر رحلاته والبلدان التي رحل إليها في طلب العلم، ومع أن ابن كثير رحمه الله له عناية بسماع الحديث وروايته من كبار أئمة الحديث الحفاظ، وإكثاره من ذلك إلا أن الذين ترجموا لابن كثير لم يذكروا من أخبار رحلاته الشيء الكثير، وقد ذكر البعض «أن ظهور المدارس ودور القرآن الكريم في البلاد الإسلامية بكثرة منذ القرن السادس الهجري وتعيين أشهر العلماء الحفاظ البارزين في مختلف العلوم الإسلامية في تلك المدارس أضعف وقلل من أهمية الرحلة في طلب العلم وضرورتها القصوى التي كانت موجودة قديماً، وقد كانت القاهرة ودمشق في عصر المماليك مركزين رئيسيين في العالم الإسلامي للعلم والمعرفة والثقافة وكانتا عامرتين بمئات من العلماء البارزين الذين

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٤٠٢، وانظر: منهج ابن كثير وجهوده في

الدعوة إلى الله، إبراهيم المرشد ص ٧٤١ مرجع سابق.

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للحافظ العراقي ٨٦/٧. وانظر المرجع السابق ص ٧٤١.

وقفوا حياتهم لنشر العلم وتثقيف الأجيال الناشئة وكان العلماء والطلاب يقصدونهما من جميع أنحاء العالم الإسلامي^(١).

ويمكن أن نضيف أن دمشق على وجه الخصوص يوجد فيها علماء متميزون وحفاظ بلغوا مرتبة عالية ومنزلة رفيعة في العلم كالذهبي والمزي والبرزالي وابن الزملكاني وابن القيم... ونحوهم بل إن بعضهم قد بلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه أدواته كشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢)، وهذا مما جعل ابن كثير يلزم بعضهم ملازمة طويلة وتكون بينه وبينهم صحبة وخصوصية كالزري وابن تيمية، إضافة إلى ذلك هو محبة ابن كثير لبلده الشام ومدحه لها وثناؤه عليها وكتابه البداية والنهاية مليء بذلك^(٣) بينما تختلف هذه النظرة لغيرها من البلدان الأخرى

(١) الامام ابن كثير سيرته ومؤلفاته د، مسعود الندوي ص ٥٩-٦٠.

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٩٨/١٨.

(٣) فمثلاً حينما أورد حديث النبي ﷺ: (ورأت أسي حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام) الحديث.

قال ابن كثير: «وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة والله الحمد والمنة، ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر ؓ. وقد قدمها رسول الله ﷺ مرتين مرة في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثني عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرا الراهب. والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها وبها مبرك الناقة التي يقال لها ناقة رسول الله ﷺ.... وهي المدينة التي أضاءت أعناق الإبل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة ٦٥٤ هـ وفق ما أخبر به النبي ﷺ في قوله: (تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)، فما أجمل هذا الحب للوطن لدى ابن كثير كما قاله الدكتور صديق جلالى. انظر منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة لشمس الدين صديق جلالى ص ١٠١٤. رسالة غير منشورة.

فيصف ابن كثير العراق بأنه أرض الشقاق والنفاق^(١) وأرض مصر بأنها أرض
الفراغ والظلم^(٢).

كل ذلك جعل ابن كثير يفضل البقاء في الشام ويقتصر رحلاته على مدنها
كالقدس فقد زارها أكثر من مرة^(٣)، وزار نابلس^(٤) بطرابلس الشام وزار
بعلبك^(٥).

ومن رحلات ابن كثير رحلته لأداء فريضة الحج، وقد ذكر أنه كان في هذه
الرحلة جمع كبير من علماء ومشايخ دمشق يقول: «اجتمع في ركبنا هذا
أربعمائة فقيه وأربع مدارس ودار حديث، وكان معنا من المفتين ثلاثة عشر
نفساً»^(٦).

(١) ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧٦١هـ في وفاة فياض بن مهنا فيقول: «أورد الخبر بذلك يوم
السبت الثامن عشر منه، فاستبشر بذلك كثير من الناس... لأنه كان قد خرج عن الطاعة
ومفارقة الجماعة فمات ميتة جاهلية بأرض العراق أرض الشقاق والنفاق». ٦٠٦/١٨.

(٢) يقول تعليقا على تصرف بعض الأمراء والحكام حينما يريدون معاقبة أحد الدماشقة،
فحينئذ يستدعونهم إلى مصر ويقومون بمصادرة أمواله ومعاقبته فيقول ابن كثير: «وذلك أنه
بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح ومن ظلم بمصر أفلح وطالت مدته، فكانوا يطلبونهم إلى
مصر أرض الفراغ والظلم فيفعلون معهم ما أرادوا» ٦٠٨/١٧ في حوادث سنة ٦٨٦هـ.

(٣) البداية والنهاية ٢٣٤/١٨ في حوادث سنة ٧٢٣هـ، ٣٥٤/١٨ في حوادث سنة ٧٣٣هـ.

(٤) المرجع نفسه ٣٩٧/١٨ في حوادث سنة ٧٣٧هـ.

(٥) المرجع نفسه ٥٥٥/١٨ في حوادث سنة ٧٥٤هـ.

(٦) المرجع نفسه ٣٣٦/١٨ في حوادث سنة ٧٣١هـ، وانظر الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته

د. مسعود الندوي ص ٦٠-٦٢ مرجع سابق.

الباب الثالث

الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الاستفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير.

الفصل الثاني: الاستفادة الداعية المعاصر من منهج
ابن كثير.

1871

1872

1873

1874

توطئة

بعد هذه الجولة السريعة والممتعة مع عالمنا الكبير ومصلحنا القدير وداعيتنا العظيم الإمام ابن كثير، وبعد تعرفنا على منهجه الإصلاحى والدعوى فيحسن بنا أن نقف لنرصد ونستخلص أهم الجوانب التى يمكن أن نستفيدها من هذا المنهج سواء فيما يتعلق بالمدعو المعاصر، أو ما يتعلق بالداعية المعاصر وما يمكن أن يستفيدة كل منهم من هذا المنهج الدعوى سواء كان فى موضوع الدعوة أو فى فقه المدعو أو فى كيفية الدعوة ومؤهلات الداعية، مع إلقاء نظرة سريعة على الواقع المعاصر لكل من المدعو والداعية، وهو ما سنتناوله فى هذا الباب إن شاء الله.

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

It is shown that the function $f(x)$ is increasing and concave down on the interval $(-\infty, \infty)$.

2. In the second part of the paper, we consider the function $g(x)$ defined by the equation

الفصل الأول

استفادة المدعو المعاصر

من منهج ابن كثير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : واقع المدعو في العصر الحاضر.

المبحث الثاني : الطريقة التي يستفيد منها المدعو المعاصر من المنهج.



10. 11. 1919

11. 11. 1919

12. 11. 1919

13. 11. 1919

14. 11. 1919

المبحث الأول

واقع المدعو في العصر الحاضر

إن الحديث عن واقع المدعو في العصر الحاضر يجرنا إلى الحديث عن الواقع المعاصر بشكل عام، وواقع المسلمين بشكل خاص، وحيث إنه متشعب وطويل ويحتاج إلى تفصيل لا يسعه هذا المبحث المختصر، لذا سأقصر الحديث على رصد لأهم الملامح العامة لواقع المدعو في العصر الحاضر على شكل نقاط موجزة:

[١] لا يختلف المدعو في العصر الحاضر عن المدعو في السابق من حيث طبيعته وجنسه، ولكنه يختلف عنه من حيث البيئة التي يعيش فيها، وظروف الحياة ووسائل المعيشة، فالمدعو في العصر الحاضر هو ذلك الإنسان الذي يعيش في زمن طغت فيه المادة على حياة البشر، فأصبحت الأمم والشعوب والدول تقاس بما لديها وما يمكن أن تنتجه من هذه الماديات، فأصبحت تتبارى في سباق محموم في الاختراعات والصناعات حتى تنال السيادة والصدارة بما تصل إليه من تفوق مادي^(١).

[٢] المدعو يعيش اليوم في زمن يعاني فيه المسلمون أزمة هي أقسى من أي أزمة مرت عليهم في ما مضى من تاريخهم، فمثلا أزمة الحروب الصليبية

(١) انظر منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله . د. سليمان العيد ص ٤٦٨ ، طبعة دار الوطن بالرياض، الأولى ١٤٢٢ هـ .

وحروب التتار وسقوط الأندلس وبغداد ونحو ذلك، كانت بسبب الانشغال عن الالتزام بمنهج الإسلام الصحيح بالبدع والخرافات والمعاصي، ولكن الإسلام ذاته لم يكن في نفوسهم موضع شك ولا نقاش، لا بوصفه عقيدة وشرعية ولا بوصفه نظاماً للحكم والحياة، فالمسلمون حينما هُزِمُوا أمام الصليبيين وأمام التتار «لم يكن صدى الهزيمة في نفوسهم هو الشك في الإسلام ذاته عقيدة أو نظام حياة، ولم يكن التطلع إلى ما عند أعدائهم من عقائد أو أفكار أو مشاعر أو نظم أو أنماط سلوك أو الظن - للحظة واحدة - أن أعداءهم يملكون شيئاً من الحق تقوم حياتهم عليه، أو أن هناك شيئاً - غير الإسلام - يمكن أن يكون هو الحق في العقيدة وفي نظام الحياة سواء، ولم تكن قضية الحكم بما أنزل الله موضع شك منهم ولا موضع نقاش، لأنها كانت جزءاً لا يتجزأ من إسلامهم، لذلك لم يهنوا - حتى وهم مهزومون أمام أعدائهم فترة غير قصيرة - ولم يشعروا أنهم أدنى من أعدائهم، بل كانوا يشعرون - حتى وهم مهزومون - بازدراء شديد لأعدائهم، لأن عقيدتهم وتصوراتهم لا تتفق مع العقيدة الصحيحة والتصور الصحيح؛ ولأن أخلاقهم وأنماط سلوكهم لا تتفق مع أخلاقيات الإسلام وأنماط سلوكه»^(١).

[٣] أما اليوم فمن أبرز مظاهر أزمة المسلمين الإفتتان بالحضارة الغربية في تصوراتها الإعتقادية وأحكامها التشريعية وقيمها الخلقية ومظاهرها الذوقية،

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ٨٠٧ طبعة مؤسسة المدينة للطباعة والنشر الطبعة الأولى

حيث لم ينتج عن ذلك مواقف سياسية موالية للغرب فقط ، وإنما نتج عنه «محاولة لإعادة صياغة المجتمعات الإسلامية كلها في قوالب غربية في تركيبها الاجتماعي ونظمها القانونية وأوضاعها الاقتصادية، وبرامجها التعليمية ووسائلها الإعلامية، على اعتقاد بأن هذه الصياغة شرط ضروري لنهضة الأمم الإسلامية وتحويلها من مرحلة التخلف والرجعية إلى مرحلة التقدم والمعاصرة»^(١).

يقول الدكتور زكي نجيب محمود: «إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بتراً وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم، بل إنني تمنيت عندئذ أن نأكل كما يأكلون، ونجد كما يجدون ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون على ظن مني آنئذ أن الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإما أن نقبلها من أصحابها - وأصحابها اليوم هم أبناء أوروبا وأمريكا بلا نزاع - وإما أن نرفضها وليس في الأمر خيار بحيث نتقي جانباً ونترك جانباً. كما دعا إلى ذلك الداعون إلى الاعتدال»^(٢).

وعلى ضوء ذلك فالمدعو يعيش في مجتمع إسلامي تنكر كثير من أبنائه للالتزام بدينهم وتطبيقه في الحكم والتشريع والقضاء والاقتصاد ونحو ذلك، فأصبح تطبيق الإسلام في أحسن أحواله محصوراً في الأحوال الشخصية والشعائر التعبدية،

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس، الدعوة الإسلامية والغزو الفكري، ص ٤، رابطة الشباب

المسلم العربي ١٩٨٧م.

(٢) تجديد الفكر العربي ص ١٣، طبعة دار الشروق، الطبعة السادسة ١٩٨٠م. وانظر المرجع

السابق ص ٤.

وأصبحت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والعودة إلى تعاليم الإسلام والسير على نهجه تخلف ورجعية والمناداة بذلك تطرف وإرهاب.

[٤] والمدعو في هذا العصر يعيش في زمن حصلت فيه ثورة تقنية وتقدم هائل في وسائل الاتصال والإعلام، فأصبحت الرسالة الدعوية تصل للمدعوة مباشرة في اللحظة ذاتها، بخلاف المدعو في الزمن الماضي الذي لا تصله الرسالة الدعوية بهذه السرعة والكيفية فهي لا تصل إلا إلى عدد محدود من الناس، ولكن مع الأسف الشديد نجد أن المتحكم في الوسائل والمسيطر عليها في غالب الأحوال هم أصحاب الكفر والضلال والفجور الذين ليس لهم هم إلا إفساد عقائد الناس وأديانهم وأخلاقهم ونشر الباطل والرذيلة بينهم، لذلك فالمدعو يتعرض لهذه الدعوات الهدامة والأفكار المضللة في بيته، وفي سوقه ومقر عمله وتغزوه بأشكال متعددة ووسائل متنوعة مسموعة ومقروءة ومرئية، في الإذاعة والتلفاز والفضائيات والإنترنت والمطبوعات والدعايات ونحوها، مما يمرض القلب بالشهوات والشبهات^(١).

[٥] تنوع التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم مع أعدائهم، فقد أخذت أشكالاً متعددة وصوراً مختلفة، فلم تعد مقصورة على القتال والمواجهة العسكرية مع أعدائهم، فأصبح هناك تخلف علمي وتقني يتمثل في الجمود ورفض الاجتهاد وتعطيل الأخذ بالأسباب وهجرة العقول المسلمة إلى بلاد

(١) انظر: سليمان بن قاسم العيد، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٤٩٦، مرجع سابق.

الغرب، وهناك تخلف اقتصادي وصحي يتمثل في كثرة الديون المتراكمة والاعتماد على الغرب في الموارد الغذائية والفقر والمجاعة وسوء الأحوال الصحية، وهناك تحديات ثقافية من إثارة الشبه حول الشريعة الإسلامية وصلاحيّة تطبيقها وحول القضاء والتشريع الإسلامي وتشويه سيرة الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول اللغة العربية والدعوة إلى العامية، وغير ذلك من ألوان الغزو الفكري، كما أن هناك تحديات اجتماعية من الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة والخروج بها عن طبيعتها وإلغاء حجابها والدعوة إلى اختلاطها بالأجانب ومساواتها بالرجل في كل جوانب حياتها^(١).

[٦] أن العصر الذي يعيش فيه المدعو اليوم ابتلي كثير من أهله بفساد النظرة والمخطاط الأخلاق إلى درجة سحيقة، حتى أصبحت لجماعات الشذوذ الجنسي واللواط منظمات وجماعات واتحادات تدافع عنها ومؤتمرات دولية تتبنى حقوقها وتحوله إلى أنظمة وديساتير تلزم دول العالم بها^(٢).

[٧] ومما ساد في هذا العصر تزيين الباطل للناس وتلييسه عليهم وتسميته بغير اسمه، فالربا فائدة، والخمور مشروبات روحية، «والاحتيال ذكاء، والانحلال حرية، والرذيلة فن، والاستغلال معونة»^(٣).

(١) انظر: عبد القادر هنادي قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، فقد قام بدراسة تحليلية موسعة للتحديات التي تواجه المسلمين، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: سليمان العيد منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص ٤٧٠، مرجع سابق.

(٣) هكذا علمتني الحياة مصطفى السباعي ص ١٥، طبعة دار الوراق بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

[٨] أنه بسبب تقدم العلم وتطوره في هذا العصر وبسبب اكتشاف الأدوات الحديثة والمساعدة كالمناظير الفلكية والمجاهر الطبية ، تبين لكثير من العلماء شيء من عظمة الله سبحانه في مخلوقاته ما لم يكن معروفا فيما سبق ، مما جعل بعضهم يتساءل عن هذه القدرة الإلهية ويكون مؤهلا لقبول دعوة الحق وترك ما هو عليه من الباطل ، كما أن هناك صنف ملأوا هذه الحضارة وزيفها وعرفوا سخافة ما يدين به كثير من الناس فأحدث عندهم فراغاً روحياً جعلهم يبحثون عن الدين الحق الذي يوافق نظرهم وما تطمئن إليه نفوسهم^(١).

وأخيراً فسمة هذا العصر هو أنه كما ذكرنا عصر طغت فيه المادة على حياة الناس ، فإذا كان يخشى على المدعو في السابق الاغترار بالدنيا وزينتها فكيف هو الحال بالمدعو في العصر الحاضر ، عصر ابتعد فيه كثير من الناس عن دينهم وتعلقوا بزخارف الدنيا وزينتها من مراكب فارهة وقصور فاخرة فصاروا أكثر تعلقاً بدنياهم مما كان له الأثر البالغ في ضعف الدين والرغبة عن الله والدار الآخرة^(٢).

(١) انظر: سليمان العيد منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص ٤٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٧٠.

المبحث الثاني

الطريقة التي يستفيد منها المدعو المعاصر من المنهج

هناك مجالات وجوانب كثيرة ومتعددة يمكن للمدعو المعاصر أن يستفيد منها من خلال منهج ابن كثير الدعوي سواء كان المدعو مسلماً أو غير مسلم وسواء كان من عامة الناس أو من كبرائهم فمن هذه الطرق والمجالات :

[١] مما يستفيده المدعو (من المسلمين) في العصر الحاضر عدم موالة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ونحوهم من الكفار، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١)، «نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعدهم على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ومن يرتكب نهى الله في هذا فقد برئ من الله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ أي إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم فله أن يقيهم بظاهره لا ببطانه ونيته»^(٢).

وقال رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرُ أَوْلِيَاءُ﴾^(٣): «وهذا تنفير من موالة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتعلة على كل خير دنيوي

(١) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

(٢) التفسير ٤٣٩/١.

(٣) سورة المائدة، الآية [٥٧].

وأخروي يتخذونها هزوا ويستهزؤون بها، ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد»^(١).

[٢] وجانب آخر من جوانب العقيدة يستفيدة المدعو في هذا العصر من منهج ابن كثير وهو وجوب التحاكم إلى ما أنزل الله، فإذا قضى الله ورسوله أمراً فلا يسع أحد مخالفة ذلك الأمر أو تقديم غيره عليه، وأن شريعة الله صالحة لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فلا يسع أحد تركها والتحاكم إلى غيرها من القوانين الوضعيه، يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢)، «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم «جنكيزخان» الذي وضع لهم «الياسق» وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»^(٣).

(١) التفسير ٩٣/٢، ٩٤.

(٢) سورة المائدة، الآية [٥٠].

(٣) التفسير ٨٨/٢.

[٣] ومما يستفيدة المدعو المسلم في هذا العصر في جانب العقيدة أيضاً من منهج ابن كثير أن ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم هو المنهج الصحيح فيقول عند تفسير الآية: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١)، «أي لا يثقله ولا يكرهه حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير له، «وهو العلي العظيم»، وكقوله: «وهو الكبير المتعال»، وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه»^(٢).

[٤] وهناك جانب آخر من جوانب العقيدة يستفيدة المدعوون المسلمون في هذا العصر وهو عدم تكفير أهل الكبائر كما هو الحال عند الخوارج ومن تابعهم الذين يكفرون بالكبائر من الذنوب، فيقول رحمه الله عند تفسيره الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٣)، «فسماهم مؤمنين مع الاقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم»^(٤).

[٥] ومما يستفيد المدعو من المسلمين في هذا العصر أيضاً من منهج ابن كثير هو التحذير من البدعة فيقول عند تفسير الآية: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^(٥)،

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٥].

(٢) التفسير ٣٨٤/١.

(٣) سورة الحجرات، الآية [٩].

(٤) المرجع نفسه ٢٤٨/٤.

(٥) سورة النحل، الآية [١١٦].

«ويدخل في هذا كل مبتدع ابتدع بدعة ليس لها مستند شرعي أو حلل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه»^(١).

[٦٦] ومما يستفيد المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير هو الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة، فابن كثير رحمه الله حريص على تقرير هذا المبدأ وبيانه فقال عند تفسيره الآية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة، بالنهي عن التفرق والأمر بالإجماع والاتلاف كما في صحيح مسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٣). وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضاً وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية ومُسَلَّمة من عذاب النار وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»^(٤).

(١) التفسير ٧٢٨/٢ عند تفسير الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج ٢].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٠٣].

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه رقم (١٧١٥).

(٤) التفسير ٤٧٦/١.

[٧] وهناك جوانب أخرى تتعلق بالعبادة يستفيدها المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي منها أن العبادة هي الغاية من الخلق فيؤكد رحمه الله أن الله سبحانه «خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم»^(١)، وأن العزة في عبادة الله وطاعته، فالعزة والرفعة في الدنيا والآخرة لا تحصل إلا بطاعة الله سبحانه ويؤكد رحمه الله أنه من «كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعاً كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾»^(٢)، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾»^(٣) أي فليعتز بطاعة الله عز وجل»^(٤).

وكذلك الاستمرار على الطاعة والعبادة، فيقول عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾»^(٥)، «أي أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه ومن نوى صالحاً بُت عليه»^(٦). وأن هناك آثار للطاعة

(١) التفسير ٢٨٠/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

(٢) سورة النساء، الآية [١٣٩].

(٣) سورة فاطر آية [١٠].

(٤) المرجع نفسه ٦٧٣/٣ عند تفسير الآية: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر ١٠].

(٥) سورة البقرة، الآية [١٣٢].

(٦) المرجع نفسه ٢٣٢/١.

والعبادة والتقوى كالتمتيع لمعرفة الحق من الباطل «فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل»^(١)، وحفظ الله من اتقاه وأطاعه، وغرس محبة من عبده واتقاه في قلوب الناس، وحصول الخير له ودفع الشر عنه، وقد أشار رحمه الله إلى أن العبادة شاملة لأنواع القرب من صلاة وصيام وزكاة وحج، وذكر فيها من الحكم والأسرار والآداب والأحكام ما يمكن للمدعو المسلم في هذا العصر أن يستفيد منها.

[٨] ومما يستفيدة المدعو من المسلمين في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي أنه كما أن للطاعة والعبادة آثاراً حميدة على العباد والبلاد فكذلك الذنوب والمعاصي، حيث إن «جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسير في اللذة، قيل وما التعسير في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلالاً إلا جاء من ينغصه إياها»^(٢)، ويقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣)، «يخبر تعالى من تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

(١) التفسير ٣٧٧/٢ عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَشْفُوا اللَّهَ فَنَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال ٢٩].

(٢) المرجع نفسه ٦٥٤/٣ عند تفسير الآية [١٧] من سورة سبأ [١٧]، وقد أورد ابن كثير هذا الأثر عن أبي حنيفة بن عبد الله الضبي، من أصحاب علي من أهل البصرة، توفي بعد المائة، انظر ثقات ابن حبان ٤ / ٣٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية [٥٢].

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ^١ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ^٢ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ^٣ ،
وقوله : ﴿كَذَّابٍ أَلٍ فَزَعَوْتَ﴾^(٢) ^(٣) . ويؤكد رحمه الله : «أن الأمور إذا كانت
ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد»^(٤) .

[٩] وهناك بعض الجوانب المتعلقة بالمعاملات يمكن للمدعو المسلم في هذا
العصر أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوى في ذلك ، فقد حذر رحمه الله من
التعامل بالمعاملات المحرمة كالربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل ، وحث
على بعض الآداب كإظهار المعسر حتى يتيسر حاله وكتابة الدين والمعاملات
المؤجلة ليكون ذلك أحفظ لمقارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها .

[١٠] ومما يستفيدة المدعو من المنهج الدعوي لابن كثير رحمه الله ، من قواعد
دعوية وتوجيهات إصلاحية وآداب مرعية تعتبر نماذج فريدة ، حري بالمدعو في
هذا العصر أن يستفيد منها ، فمن هذه القواعد الجميلة قوله رحمه الله : «من لا
يقبل الخير يقبل الشر»^(٥) ، فهو يقرر رحمه الله أن الذي لا يقبل الخير يقبل الشر ؛
لأن الله سبحانه ألهم النفوس فجورها وتقواها كما قال سبحانه : ﴿فَأَلْهَمَهَا

(١) سورة الرعد ، الآية [١١] .

(٢) سورة آل عمران ، الآية [١١] .

(٣) التفسير ٣٩٨/٢

(٤) المرجع نفسه ٢٨١/٢ عند تفسير الآية : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾
[الاعراف : ٥٦] .

(٥) المرجع نفسه ٦٧/٤ عند تفسير الآية : ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَخَذَ أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾
[الزمر : ٤٥] .

لْجُورِهَا وَتَقْوَنَهَا»^(١)، فليس هناك حياد بين الخير والشر، فالنفس إذا ما قبلت الخير وعملت به، فإنها حتما ستتحرف إلى الشر وتقبله وتعمل به.

ومما ذكره ابن كثير أيضاً ولفت إليه قيمة النية والقصد وأثر ذلك في العمل وبلوغ المراد، فمن كان صادقاً في قصده الخير وفقه الله له، بينما من كان قصده الشر فإن الله يخذله ولا يوفقه لمراد الخير فيقول رحمه الله: «الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر»^(٢)، فهو يدعو رحمه الله إلى إخلاص السريرة والنية وأنها تظهر آثارها على صفحات وجه الإنسان وفتلات لسانه مهما حاول إخفاء ذلك أو ستره، فيقول رحمه الله: «ما أسر عبد سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر»^(٣).

ومن توجهاته التي يمكن أن يستفيد منها المدعو هو عدم التروي في قبول الحق إذا وضح، لأن الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام جلي وواضح فلا يفكر في قبوله إلا جاهل أو غبي، فيقول رحمه الله: «الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال بل لابد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء، ولا يفكر ويروي هاهنا إلا عبي أو غبي والرسل صلوات الله وسلامه

(١) سورة الشمس، الآية [٨].

(٢) التفسير ٦١٦/٤ عند تفسير الآية: ﴿وَأَنَا مِنْ مِّثْلٍ مَا نَحْنُ﴾ وَكَذَّبَ بِآيَاتِنَا [الليل ٨-٩].

(٣) المرجع نفسه ٦٧٤/٣ عند تفسير الآية: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر ١٠].

عليهم أجمعين إنما جاؤوا بأمر جلي واضح»^(١).

ومن الأمور التي أوصى بها ابن كثير في منهجه الدعوي ويمكن للمدعو أن يستفيد منها هو الاعتصام بالله والتوكل عليه لأنه سبحانه الموفق والهادي إلى كل خير، وأن من اعتمد عليه سبحانه أفلح ونجا، ومن أعرض عنه خاب وخسر فيقول رحمه الله: «الاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية والعدة في مباحدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد»^(٢) وأيضاً من توجيهاته أن تقوى الله سبحانه هي الزاد والمعين، والفرقان بين الحق والباطل والخير والشر لا سيما في هذا العصر الذي حصل التباس لكثير من الناس في هذه الأمور فيقول رحمه الله: «من اتقى الله بفعل أو امره وترك زواجه، وفق لمعرفة الحق من الباطل»^(٣).

وكذلك نبّه رحمه الله على خطورة أهل الفجور الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ممن يدعون إلى المنكرات بجميع الوسائل وشتى الطرق، ويعتبر رحمه الله أن الظن الحسن بمن هذا حاله وواقعه يعتبره خطأ، بل من المحذورات الكبيرة فيقول رحمه الله: «من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خيراً»^(٤).

(١) التفسير ٥٤٥/٢ عند تفسير الآية: ﴿فَقَالَ أَمْلَأْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود ٢٧].

(٢) المرجع نفسه ٤٧٤/١ عند تفسير الآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران ١٠١].

(٣) المرجع نفسه ٣٧٧/٢ عند تفسير الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال ٢٩].

(٤) المرجع نفسه ٦٥/١ عند تفسير الآية: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْذَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة ٩].

ومن قواعد منهج ابن كثير الدعوي الجميلة وتوجيهاته السديدة أنه يدعو إلى التوازن والاعتدال والتوسط وعدم الغلو والإفراط أو التفريط فيمكن للمدعو في هذا العصر الذي أصبح الناس بين طرفي نقيض إما غلو وإفراط أو تقصير وتفريط، أن يستفيدوا من منهج ابن كثير الدعوي حيث يؤكد رحمه الله: «أن شرع الله عدل بين الغالي فيه والجاهلي عنه لا إفراط ولا تفريط»^(١).

[١١] كما أنه يمكن للمدعو من أهل الكتاب في هذا العصر أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي في الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ وبدين الإسلام الذي جاء به؛ لأن من كفر بنبي من الأنبياء الذين بعثهم الله فقد كفر بجميعهم، فإيمان أهل الكتاب بالأنبياء الذين بعثوا إليهم يلزمهم أن يؤمنوا ببقية الأنبياء والمرسلين ومنهم محمد ﷺ، يقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾^(٢)، «أي كفروا بها وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل»^(٣).

وكذلك المدعو من غير المسلمين في هذا العصر يمكن أن يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي وهو أن ابن كثير رحمه الله يقرر أن ما ثبت بطريق الوحي حقائق

(١) التفسير ١١٥/٢ عند تفسير الآية: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا عَنْ آلِهَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَا يَجْحَدُ الْمُنْعَدِينَ﴾ [البقرة ١٩٠].

(٢) سورة هود آية ٥٩.

(٣) المرجع نفسه ٥٥٥/٢.

يقينه ثابتة فهو مصدر من مصادر المعرفة بل هو المصدر الأول للحقائق والعلوم والمعارف والتشريعات ؛ لأن أخباره صادقه وأحكامه عادلة ، فالقرآن المنزل من عند الله كما قال ابن كثير : «أمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(١)» أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام ، وأنه اشتمل على كل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمور دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم^(٢).

وأخيرا يمكن أن يستفيد المدعو في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي في عدم الاغترار بالدنيا وزخارفها ، وأن السعادة والطمأنينة والرخاء في عبادة الله وطاعته وأن سبب القلق والضيق وضنك المعيشة الذي يعيشه الناس في هذا العصر هو بسبب مخالفة أمر الله ومجانبة سبيله وهداه كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٣) ، «أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه ، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي في الدنيا ، فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلالة ، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال ربه يتردد فهذا من ضنك المعيشة^(٤)». وغير ذلك من الطرق والمجالات والجوانب الكثيرة التي يمكن أن

(١) سورة الأنعام ، الآية [١١٥].

(٢) التفسير ٧١٩/٢.

(٣) سورة طه آية [١٢٤].

(٤) التفسير ٢١٣/٣.

الفصل الثاني

استفادة الداعية المعاصر

من منهج ابن كثير

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر.

المبحث الثاني: الاستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في

العصر الحاضر.

المبحث الثالث: الاستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر.

المبحث الرابع: الاستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر.

المبحث الخامس: الاستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر.

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

2. The second part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

3. The third part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

4. The fourth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

المبحث الأول

نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر

الداعية إلى الله له مكانة عظيمة وأهمية بالغة، وشرف تام، وذلك لما يقوم به من الدعوة إلى دين الله عز وجل وعبادته، وبيان وتوضيح أحكام شريعة الإسلام وأخلاقه وآدابه وفضائله، وما يكفله من سعادة وهناء في الدنيا والآخرة، فالداعية وارث النبي ﷺ، والقائم مقامه في إبلاغ دين الله وشرعه، والداعية إلى الله في هذا العصر واجباته كبيرة، ومسؤولياته عظيمة، وهو يختلف عن الداعية السابق من حيث ظروف المدعوين، ووسائل الدعوة وأساليبها.

ولاشك أن ظروف الدعوة وأحوال المدعوين تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلكل زمان خصائصه ولكل مكان ملامحه، ولكل مجتمع سماته وطبائعه، فالاختلاف بين الداعية في هذا العصر وبين الداعية السابق ليس في موضوع الدعوة ومحتواها؛ لأن موضوع الدعوة مستمد مما جاء به الله سبحانه وتعالى في كتابه أو على سنة رسوله ﷺ، فالدعاة إلى الله تعالى في الماضي والحاضر منهجهم ودعوتهم واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله والإيمان به، على نور وبصيرة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١).

فالاختلاف إذن في الظروف والأحوال المتعلقة بالواقع المعاصر وكذلك في الوسائل والأساليب المتجددة والمختلفة، والتي كان لها الأثر على طبيعة الدعوة وإعدادهم وتكوينهم في هذا العصر، إضافة إلى ذلك «فإن ما تواجهه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر من العداء السافر بوسائل جديدة لم تكن في السابق، فالصراع بين الحق والباطل باق إلى قيام الساعة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٨].

يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا^(١)، فقوى الشر والفساد في العصر الحاضر يتفقون مع سابقهم في الهدف ولكنهم يختلفون عنهم في الوسيلة فتارة بالعداء السافر وأخرى بالكيد المستتر، ومرة بالقبلة والصاروخ وثانية بالصوت والصورة، ولا تفوتهم الحروب الاقتصادية، أو الضغوط السياسية فضلاً عن محاولات التشويه والتشكيك في هذا الدين الحنيف^(٢).

والداعية في هذا العصر يعيش في زمن يشن أعداء الدين حرباً مسعورة عليه، بما زحف على العالم العربي من إلحاد نتيجة لما اصطدم به العقل العلمي هناك من متناقضات صارخة في الدين الذي يدين به، فساء ظنه بكل دين، وانتشرت المذاهب والآراء التي تستخف بالدين وتزدرى بالمتدينين وتدعو إلى الكفر بالحياة الآخرة، وما يتخيل للناس منها من سراب خادع، كما يزعم الماديون والعلمانيون وغيرهم، فمهمة دعاة الإسلام اليوم هي العمل في ميدانين في وقت واحد:

الأول: هو دفع الآراء والأفكار والمذاهب المنحرفة الوافدة علينا من الغرب، وكشف باطلها وتبصير الشباب المسلم بزيورها وخداعها.

الثاني: هو نقل حقائق الإسلام إلى العالم الغربي الذي فرغ كيانه من الدين، وإزاحة هذه الغواشي التي غشته من الكفر والإلحاد والانحلال والضياع^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية [٢١٧].

(٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله د. سليمان العيد ص ٤٩٣ مرجع سابق .

(٣) انظر: علي صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ٥٥، طبعة مكتبة لينه

للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

كما أن من مهمة الدعاة إلى الله في هذا العصر «مناظرة أهل العلوم الذين فتحت لهم علومهم آفاقاً من التفكير في حقيقة هذا الكون ومدبره، كعلوم الفلك والكيمياء والأحياء والطب، واستغلال ما توصل إليه العلم من اكتشافات حديثة وأسرار عجيبة في هذا الكون لإثبات مقدرة المولى جل وعلا وأحقية بالعبادة»^(١).

ولا يمكن للدعاة في هذا العصر أن يؤدوا واجبهم المنوط بهم إلا إذا أعدوا إعداداً جيداً وفق منهج علمي متكامل يحتوي على دراسات إسلامية مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، مع العناية بالسيرة النبوية، وكذلك يحتوي على دراسات لغوية وأدبية تعين على فهم الإسلام وحسن عرضه بأسلوب بليغ، وكذلك دراسات التاريخ الإسلامي بما فيه من أمجاد وبطولات، واستخلاص العبر منه، خصوصاً من سير الأبطال ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وكذلك دراسة قدر مناسب من الثقافة العامة والعلوم الحديثة وخاصة العلوم الإنسانية والطبيعية، إضافة إلى دراسة الأديان والمذاهب المعاصرة وحاضر العالم الإسلامي، وأبرز قضاياها، والقوى المعادية للإسلام والفرق المنشقة عنه، وكذلك دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله لكل إنسان تحقيقاً لعالمية الرسالة^(٢).

فالإعداد الجيد المتكامل المدروس للدعاة إلى الله في هذا العصر يقضي على كثير من المشاكل والعقبات التي تعترض طريق الدعاة وتسبب لهم مشكلات

(١) منهج علي بن أبي طالب ﷺ في الدعوة إلى الله، سليمان العيد ص ٤٩٤ مرجع سابق.

(٢) انظر: علي بن صالح المرشد مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ١٠٩ مرجع سابق.

كثيرة ومتنوعة بعضها من أنفسهم والأخرى من غيرهم ، والتي منها على سبيل المثال : الجهل وهو أسوأها ، لأن عدم العلم بالدين ، وعدم العلم بأمور الدنيا ، وعدم معرفة الداعي ما يجري حوله من أحداث ، وغفلته عن ذلك كله يجعله قاصراً ومقصراً في معرفته الدعوية ، وتُحْدُ من معالجته لمشكلة المدعويين . ومن العقبات والمشكلات اليأس والقنوط ، وهذا مترتب على قلة العلم وضحالة الفقه الذي يُيَصِّرُ الداعية بما يلزم أن يقوم به حيال الدعوة ، فلو كان عالماً لما تسرب إليه هذا النوع من الفتور الدعوي والخمول الديني ولما وجد إليه طريقاً . وكذلك من المشكلات عدم الثبوت والتبين عند كثير من الدعاة في الأقوال والأفعال والأحوال الصادرة عن الآخرين .

ومن المشاكل أيضاً التشدد والغلو في غير محله ، وكذلك عدم المبالاة والجد في الأمور أو ما يسمى بالتسيب ، وهو نوع من الفتور في الهمة أو عدم الدقة في التخطيط .

ومن المشكلات التي تواجه الدعاة في هذا العصر الخلافات التي تنشأ بسبب التعصب والحزبية^(١) ، وغيرها من المشكلات والعقبات التي تواجه الدعاة وتحتاج إلى وقفة جادة وحازمة لمعالجة هذه الأخطاء والمشكلات ، وذلك بالحرص على تربية الدعاة تربية صحيحة وأن ينشأوا في محاضن تربية صالحة وسليمة ، كما نوصي الدعاة أنفسهم والعلماء ورجال الفكر أن يلتقوا ويجتمعوا لبحث القضايا والمشكلات الدعوية ومحاولة علاجها وحلّها من خلال عقد اللقاءات

(١) انظر: محمد زين الهادي العرمابي ، الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب ، ص ٣٤١ - ٣٤٥ ،

والمؤتمرات والندوات ، بل واللقاءات الشخصية والتواصل الأخوي سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الجماعات أو الحكومات الإسلامية والخروج بحلول وتوصيات واقتراحات وإجراءات عملية مثمرة لصالح الدعوة والدعاة^(١) .

(١) من المؤتمرات التي عقدت لتوجيه الدعوة والدعاة ، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة في رحاب الجامعة الإسلامية في ٢٤ - ٢٩ / ٢ / ١٤٠٤ هـ وبما ورد فيه من التوصيات :

١. تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة يمارسون خلالها مهام الدعوة بطريقة علمية مدروسة مع التعمق في العلوم الإسلامية وتزويد الدارسين بالثقافة العامة الضرورية لمواجهة التيارات المعادية للإسلام .

٢. إقامة دورات توجيهية في مجال الدعوة لغير المتفرغين من الراغبين في العمل للدعوة كالأطباء والمعلمين والمهندسين والتجار وغيرهم .

٣. تنظيم لقاءات إسلامية للدعاة للتعارف وتبادل الخبرات مما يمكنهم من الوقوف على الإيجابيات والسلبيات في المناطق التي يدعون فيها .

٤. تزويد الدعاة بما يمكنهم من الوقوف على المذاهب المنحرفة والمبادئ الهدامة لمواجهة التحديات والتيارات المعادية للإسلام .

٥. دعم المراكز والبيئات الإسلامية الموجودة حالياً مع إنشاء مراكز جديدة في البلاد التي بها أقليات مسلمة لإمداد الدعاة بما يحتاجون إليه في أداء رسالتهم .

٦. تزويد مراكز الدعوة وهيئاتها بالكتب المناسبة والنشرات المتعلقة بالدعوة وأحوال العالم الإسلامي وإمدادها بالأسرطة التي تسجل بها محاضرات لكبار المفكرين الإسلاميين .

٧. دعوة الجامعات في البلاد الإسلامية بأن تخصص منحاً دراسية لأبناء الأقليات الإسلامية ليتلقوا علومهم في الكليات النظرية والعملية كالطب والهندسة وغيرهما .

٨. الاهتمام بإعداد الداعيات من النساء المسلمات نظراً لخطورة الميدان النسائي ، وتأثير المرأة في الأسرة والمجتمع ، واستغلال الحركات الهدامة والقوى المعادية للإسلام لهذا الميدان وحرصها على غزوه وكسبه في صفها .

وانظر: علي المرشد مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص ١١٠-١١١، مرجع سابق.

المبحث الثاني

الاستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في العصر الحاضر

إن منهج ابن كثير رحمه الله في موضوع الدعوة من خلال اهتمامه وعنايته بالعتيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق والآداب ونحوها، إنما هو لتحقيق مقصدها الأساسي وهو تعييد الناس لرب العالمين، وتزكية نفوسهم وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد، ومن بدع الاعتقادات والعبادات، ومن رديء الأخلاق وذميم الخصال، وفي المقابل تحليتها بما فيه صحة القلوب وسلامتها، من صفاء الاعتقاد وصحيح الإيمان والتوحيد وصحة النسك والعبادة، وجميل الخصال وحسن الفعال، الذي ترجع غايته إلى إصلاح العلاقة مع الله وإصلاح العلاقة مع الناس، وهذه المقاصد أمور ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان لأنها تمثل صلب الدين وأساسه، ولب حقيقته، فلا يقع فيها شيء من الاختلاف، وإنما يقع الاختلاف في عرض تفاصيل محتوى الدعوة وموضوعها ومقاصدها^(١).

وفي هذا المبحث نحاول معرفة مدى استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة وذلك من خلال النقاط التالية :

[١] يستفيد الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة بالحرص على تعليم الناس وتبليغهم محتوى الدعوة وموضوعها بالمفهوم الشمولي والعام

(١) انظر: عبد الحميد هنادي منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، ص ٢٠ طبعة دار الآفاق العربية،

القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

الذي بيّنه ابن كثير ودعا إليه في العقيدة والعبادة والشريعة والمعاملة والأخلاق والآداب وتحقيق مقاصد الدعوة الإسلامية لذلك، والداعية المعاصر لا يمكنه تحقيق ذلك إلا إذا كان على مستوى من العلم بموضوع الدعوة بمعنى أن لديه العلم والمعرفة بما يدعو إليه من عقائد وشرائع وأحكام وعبادات وأخلاق وسلوك ونحوها؛ لأن ثقة المدعويين بالداعية وتأثيره فيهم مرتبط بمدى ما عنده من العلم في موضوع الدعوة ومحتواها، وهو ما كان عليه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، فقد كانت له مكانة في قلوب معاصريه لما عنده من سعة العلم مما جعل كلامه عندهم مقبولا، ويحظى بالاحترام والتقدير ويشهد له بالمكانة العالية والمنزلة الرفيعة وأنه: «كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع، وصنف ودرّس، وحدث وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة مفيدة»^(١).

وهذا المستوى العلمي الذي وصل إليه الإمام ابن كثير لم يتم إلا من خلال مثابرة وجد واجتهاد، فالمنهج الذي سار عليه ابن كثير في طلب العلم يتسم بالجدية وبذل الجهد واستفراغ الوسع من أول حياته إلى آخرها، فقد حفظ رحمه الله القرآن سنة ٧١١ هـ^(٢)، أي أن عمره آنذاك حوالي عشر سنوات وحفظ كتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي وعرضه في الثامنة عشرة من سنّه^(٣)

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٢٣/١١ وانظر: أحمد شاكر، عمدة التفسير ٢٧/١.

(٢) البداية والنهاية ٣٢٦/١٨.

(٣) انظر: الدارس للنعمي ٣٧/١.

«وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب»^(١).

وقد مر معنا أنه اشتغل بالكتابة والتأليف حتى ذهب بصره^(٢)، وحتى بعد ذهاب بصره كان مهتما بالعلم والتأليف والكتابة^(٣).

ومما يعين الداعية المعاصر على طلب العلم وتحصيله ملازمته للعلماء والأخذ عنهم والاستفادة منهم والتربي على أيديهم كما كان حال ابن كثير رحمه الله فقد كان ملازماً لشيخه، يحفظ عليهم وينهل من علمهم فمثلاً شيخه المزي لازمة وانتفع به وسمع منه أكثر تصانيفه، وتخرج على يديه ثم صاهره وتزوج ابنته وصار قريباً منه في بيته ومتأثراً به^(٤)، وكذلك ملازمته لشيخه ابن تيمية، حيث صحبه وقرأ عليه كثيراً ولازمه فأكثر عنه وانتفع بعلمه، فكانت هذه الصحبة والملازمة لها أثر على ابن كثير حيث «أفادته أعظم فائدة عظيمة في علمه ودينه وتقوية خلقه، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة»^(٥).

(١) طبقات ابن قاضي شهبه ص ٤٧٣ وانظر الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته، د. سعود الندوي ص ٤٣، ٥١.

(٢) يقول رحمه الله: «لا زلت أكتب في الليل والسراج ينوص - يتأخر في نوره - حتى ذهب بصري معه»، انظر ص ٦٦٣.

(٣) فقد ذكر ابنه زين الدين عبد الرحمن كما مر معنا أنه «لما أضر الوالد كان يؤرخ له»، انظر ص ٦٦٣.

(٤) البداية والنهاية ١٨/ ٤٢٨.

(٥) الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته، مسعود الندوي ص ٤٩، مرجع سابق.

[٢] نظرا لكثرة العلوم في هذا العصر وتشعبها وتنوعها وكثرة الكتب والإصدارات فيها مما يصعب معه قراءتها والاستفادة منها، وهنا يأتي ضرورة الاختيار من هذه الكتب وأهمية الانتقاء من هذه المعلومات، وقد أوصى الإمام ابن كثير رحمه الله بأن العلم الذي لا يترتب على تعلمه وتحصيله والوقوف عليه مقصد شرعي، وليس هناك حاجة إلى تعلمه والسؤال عنه لا تتعين معرفته، وضرب ابن كثير على ذلك مثالا بمكان الكهف الذي آوى إليه الفتية الذين ذكرهم الله في القرآن بقوله سبحانه: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا﴾^(١)، فذكر ابن كثير أن الله لم يذكر مكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض «إذ لا فائدة لنا فيه ولا مقصد شرعي ... ولو كان لنا مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه»^(٢).

كما نبه رحمه الله على أنواع العلوم فذكر أن «العلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي»^(٣). وأخيرا أشار ابن كثير رحمه الله إلى بعض الآداب المتعلقة بطلب العلم وتعلمه والعمل به كالصبر وعدم الحياء أو الاستكبار عن طلبه والسؤال عنه وأن يحرص على طلب العلم في سن مبكر وأن يتلطف عند سؤال أهل العلم، ولا يكون طلبه على سبيل الإلزام والإجبار ونحو ذلك مما ذكرناه سابقا، مما يتعين على الداعية المعاصر التحلي به من الآداب والأخلاق المتعلقة بطلب العلم، والتي تعينه على تحصيل المراد وتعلمه في موضوع الدعوة، فينال ثقة المدعوين، ويصبح داعية وقدوة يدعو إلى الله على نور وعلم وبصيرة.

(١) سورة الكهف، الآية (١٠).

(٢) التفسير ٩٨/٣.

(٣) المرجع نفسه ٦٣٠/٤ عند تفسير الآية (٥ من سورة العلق).

[٣] ومما يستفيدة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة هو اهتمام ابن كثير بالعقيدة والإيمان وأركانه، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، مما ذكرناه مفصلاً في الباب الثاني، فيتعين على الداعية المعاصر العناية بذلك والحرص عليه لأن العقيدة أصل الدين وأساسه، وإن قبول الأعمال مرتبط بالتوحيد وسلامته من الشرك، فالله سبحانه لا يقبل عملاً أشرك صاحبه مع الله أحداً غيره في عبادته ولأن بعض الدعاة في هذا العصر أغفلوا هذا الجانب، ولم يكن لكثير منهم عناية بمعالجة وقوع بعض المسلمين فيما يناقض التوحيد أو ينقصه أو يخل به كدعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة بغيره سبحانه، أو الذبح أو النذر لغير الله وغيرها من الممارسات التي تخل بكمال التوحيد أو أصله. فيتأكد على الدعاة في هذا العصر معالجة هذا الأمر «أولاً قبل غيره من الأمراض الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية... إلخ؛ لأن مرض الاعتقاد هو مرض القلوب، وهو الداء العضال والمرض الأول الذي نتجت عنه جميع الأمراض والانحرافات الخلقية وغيرها وهذا هو داء الأمم قديماً وحديثاً»^(١).

[٤] ومما يستفيدة الداعية المعاصر في موضوع الدعوة من منهج ابن كثير اهتمام ابن كثير وعنايته بالشرعية والدعوة إليها وخطورة مخالفتها، وأن كل عمل لا يكون خالصاً ولا موافقاً للشرعية فهو باطل، وكذلك العبادة وأنها شاملة لأنواع الطاعات والقرب من صلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها مما ذكرناه

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل ص ٧٢، مرجع سابق.

مفصلاً في الباب الثاني ، والداعية في هذا العصر بحاجة إلى مثل هذا التصور وإلى مثل هذه العناية والاهتمام بالشرعة والعبادة والأحكام كما هو الشأن عند الإمام ابن كثير ، ذلك أن الداعية في هذا العصر يعيش في زمن أقصي فيه تطبيق الشرعة في كثير من بلاد المسلمين وانحسر مفهوم العبادة والدين في إطار ضيق ، ودائرة محدودة وذلك بعد دخول العلمانية وانتشارها في العالم الإسلامي وتأثيرها على حياة المسلمين^(١).

[٥] ومما يستفيدة الداعية من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعاقبة تركه ، وأن ذلك سبب عقوبة الله وسخطه ، وكذلك تصحيح مفهوم ابن كثير للمفهوم الخاطئ وهو أن من وقع في مخالفة أو معصية فانه لا ينهى غيره عنها ، لأنه مذموم بقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) ، وقد ذكرنا رد ابن كثير على من استدل بذلك وتأكيده رحمه الله على أن العالم والداعية يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، لكنه مذموم على ترك الطاعة وفعل المعصية . ولا شك أن الداعية بحاجة إلى مثل هذا التصور عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نبه إليه الإمام ابن كثير ، ثم إن الداعية المعاصر يعيش في زمن قصر كثير من المسلمين في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بواجب الحسبة ، سواء كانت الطوعية أو الإدارية الرسمية ، وأصبح من

(١) يمكن الرجوع إلى ما كتبه الدكتور محمد زين الهادي في كتابه نشأة العلمانية ودخولها العالم الإسلامي ، طبعة دار العاصمة بالرياض ١٩٨٨م ، ومجالات انتشار العلمانية ، طبعة دار العاصمة بالرياض ١٤٠٩هـ .

(٢) سورة البقرة ، الآية [٤٤] .

يدعو إلى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثار استغراب واستهجان؛ لأن هذا يعتبر تدخلا في الأمور الشخصية للناس وتعد على حرياتهم وشؤونهم الخاصة، ونسوا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة نجاة المجتمع وتركه سبب في عقوبته وهلاكه.

[٦] وما يستفيدة الداعية من منهج ابن كثير الدعوي في موضوع الدعوة عناية ابن كثير رحمه الله بالأخلاق، وحرصه على توجيه الأمة وتربيتها على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، إضافة إلى ما نبه عليه رحمه الله من خصائص التربية الأخلاقية في الإسلام، من موافقتها للفطرة، وأن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر وكذلك تميزها باليسر والسهولة وأنها جبلية من وجه ومكتسبة من وجه آخر ونحو ذلك مما أشرنا إليه سابقا، مما يحتاجه الداعية إلى الله في هذا العصر الذي أصبح مفهوم الأخلاق فيه يعتمد على المصالح المادية والمنافع الدنيوية والأغراض الشخصية، إضافة إلى شيوع التصورات والنظريات الخاطئة حول الإنسان وطبيعته وفطرته^(١) مما كان له أثر على مفهوم الأخلاق والتربية،

(١) من هذه النظريات أن الإنسان يولد محايدا كالصفحة البيضاء أو الطينة غير المشكلة وأن البيئة هي التي تكتب عليها ما تريد وتشكله كيف تريد، ومن هذه النظريات أن للإنسان حقيقة وحقيقته أنه مخلوق شرير يولد الشر معه مفروضا في طبعه والبيئة هي التي تحاول أن تهذيبه، وغيرها من النظريات والفلسفات والتصورات الخاطئة حول الإنسان وطبيعته وفطرته المخالفة للتصور الإسلامي. انظر: جعفر شيخ إدريس، التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ٣١ مارس - ١٨ أبريل ١٩٧٧م.

أو انتشار ما يسمى بنظرية النسبية (relativism) في الأخلاق وفحوى هذه النظرية «أنه ليس هناك معيار ثابت يميز به الحق والباطل والخير والشر، بل إن هذه الأحكام أحكام نسبية ... فما يراه أصحاب كل ثقافة حقا أو خيرا فهو حق أو خير بالنسبة لثقافتهم هذه، لأنه ليس هناك معيار عالمي للحق والخير متفق عليه بين الناس»^(١).

(١) انظر: جعفر شيخ إدريس الإسلام لعصرنا، ص ٩٥ طبعة المنتدى الإسلامي بلندن، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

المبحث الثالث

الاستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر

التأمل في حال الناس في الواقع المعاصر يجد أنهم قد تشعبت مذاهبهم، وتنوعت معتقداتهم، واختلفت أفكارهم وتعددت مللهم ونحلهم، وأصبحت القوانين الوضعية، والمبادئ الأرضية والمذاهب البشرية هي التي تسير حياة كثير منهم، فابتعدوا عن منهج الله الحق الذي بعث به رسوله ﷺ وارتضاه لعباده، والداعية المعاصر بحاجة إلى معرفة ما عليه الناس في هذا الزمن من المعتقدات الباطلة، والأفكار المنحرفة وما يسلكونه من سبل في بث سمومهم ونشر ضلالهم، فهناك الحركات الباطنية المناوئة للإسلام كالبهائية^(١) والقاديانية^(٢)، وهناك غلاة الصوفية

(١) البهائية : حركة نبعت من المذهب الشيعي سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، ويعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء ويقولون بالحللول والاتحاد والتناسخ ويقولون القرآن تأولات باطنة ليتوافق مع مذهبهم (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٤٠٩، ٤١٢، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ).

(٢) القاديانية : حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، ويعتقد القاديانيون أن النبوة لم تحتم بمحمد ﷺ بل هي جارية، والله أرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعا، ويعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم (انظر: الموسوعة الميسرة ص ٤١٦-٤١٧، مرجع سابق).

كالبريلويه^(١) وهناك الحركات اليهودية كالماسونية^(٢) والصهيونية^(٣)، وهناك منظمات تدعي أنها مسيحية وهي في الحقيقة واقعة تحت سيطرة اليهود ويعملون

(١) البريلوية : وهي فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية اترابديش بالهند أيام الاستعمار البريطاني وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة والنبي ﷺ بخاصة، ويعتقد أبناء هذه الطائفة أن الرسول ﷺ لديه قدرة يتحكم بها في الكون، يقول أجد علي : «إن النبي ﷺ نائب مطلق لله سبحانه وتعالى وأن العالم كله تحت تصرفاته فيفعل ما يشاء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ويأخذ ما يشاء وليس هناك أحد مصرف لحكمه في العالمين، سيد الآدمين ومن لم يجعله مالكا له حرم من حلاوة السنة» (انظر : الموسوعة الميسرة ص ٢٩٨ - ٢٩٩، مرجع سابق).

(٢) الماسونية : معناها البنائون الأحرار وهي منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة «حرية - إخاء - مساواة - إنسانية»، وقد عرّفها المستشرق الهولندي دوزي بأنها «جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، وهي إعادة الهيكل إذ هو رمز إسرائيل». (انظر : الموسوعة الميسرة ص ٥١٠، مرجع سابق).

(٣) الصهيونية : حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم «جبل صهيون» في القدس إذ ابنتى داود قصره بعد انتقاله من حيرون الخليل إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها، وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم (انظر : الموسوعة الميسرة ص ٥١٨، مرجع سابق).

لحسابهم مثل منظمة شهود يهوه^(١)، وهناك العلمانية^(٢) والاستشراق^(٣)

(١) شهود يهوه : منظمة عالمية دينية وسياسية تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتدعي أنها مسيحية، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم، وهي تعرف باسم « جمعية العالم الجديد إلى جانب (شهود يهوه) » الذي عرفت به ابتداء من ١٩٣١م، وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٨٤م، وأتباع هذه المنظمة يعملون على إشاعة الفوضى الخلقية والتحلل من جميع الفضائل الإنسانية التي حثت عليها التعاليم الدينية (انظر: الموسوعة الميسرة ص ٦٤٨، مرجع سابق).

(٢) العلمانية secularism وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم science، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين. وقد اختيرت كلمة علمانية؛ لأنها أقل من كلمة لا دينية ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع (انظر: الموسوعة الميسرة ص ٦٧٩، مرجع سابق).

(٣) الاستشراق orientaism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد بذلك التيار الفكري الذي يمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، وهناك أهداف وراء الاستشراق منها التشكيك في صحة القرآن الكريم والرسول ﷺ، والنيل من اللغة العربية، وهناك هدف استراتيجي ديني وهو تشويه الإسلام عند الأوروبيين وذلك حتى لا يقبلوه ويدخلوا فيه (الموسوعة الميسرة ص ٦٨٧، ٦٩١، مرجع سابق).

والتغريب^(١)، وهناك المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية كالوجودية^(٢) والإلحاد^(٣) والوضعية^(٤) والذرائعية^(٥)

(١) التغريب: وهو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صنع حياة الأمم بعمامة والمسلمين بمخاضة بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية (انظر الموسوعة الميسرة ص ٦٩٨، مرجع سابق).

(٢) الوجودية: اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفردة وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وهم يكفرون بالله ورسله وكتبه ويكل الغيبات وكل ما جاءت به الأديان ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨١٨، مرجع سابق).

(٣) الإلحاد: هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى. فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه، ومما لا شك فيه أن كثيرا من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدها الشيوعية النهارية والعلمانية المخادعة (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨٠٣، مرجع سابق).

(٤) الوضعية: مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولا سيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها (انظر الموسوعة الميسرة ص ٨١١، مرجع سابق).

(٥) الذرائعية أو البراجماتية: مذهب فلسفي اجتماعي يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي، وقد أصبحت الذرائعية طابعا مميّزا للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي (انظر: الموسوعة الميسرة ص ٨٣٢، مرجع سابق).

والحدائثة^(١) والنبوية^(٢) وغيرها من المذاهب والأفكار والنظريات المنحرفة .
 كما أن الداعية في هذا العصر بحاجة إلى معرفة طبائع المدعويين وأصنافهم
 وخصائصهم ، وحاجة كل منهم فعامّة الناس يختلفون عن العلماء والكبراء ،
 وأهل المعاصي والشهوات يختلفون عن أهل البدع والأهواء والضلالات ،
 والدعاة إلى باطلهم يختلفون عن السذج والدهماء والأتباع ، والمشركون من
 أهل الكتاب يختلفون عن غيرهم من أهل الشرك والإلحاد ، إلى غير ذلك مما
 يتعلق بموضوع فقه المدعو ومعرفة حاله وواقعه ، وابن كثير رحمه الله كما مر
 معنا في الحديث عن منهجه في الدعوة إلى الله باعتبار المدعو قد تطرق لهذا الأمر
 بكل عناية واهتمام ، وسنحاول في هذا المبحث أن نستخلص أهم الجوانب التي
 يمكن أن يستفيد منها الداعية في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما
 يتعلق بفقه المدعو وذلك حسب النقاط التالية :

(١) الحدائثة : مذهب فكري أدبي علماني بُني على أفكار وعقائد غريبة خالصة مثل الماركسية
 والوجودية والفرويدية والدارونية وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقت مثل
 السريالية والرمزية وغيرها .

وتهدف الحدائثة إلى إلغاء مصادر الدين ، وما صدر عنها من عقيدة وشرعة ، وتحطيم كل
 القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية
 والفوضى والغموض وعدم المنطق والغرائز الحيوانية ، وذلك باسم الحرية والنفاد إلى أعماق
 الحياة (الموسوعة الميسرة ص ٨٦٧ مرجع سابق).

(٢) النبوية : منهج فكري وأداة للتحليل ، تقوم على فكرة الملكية أو المجموع المنتظم ، اهتمت
 بجميع نواحي المعرفة الإنسانية وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي ،
 ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة (الموسوعة الميسرة ص ٨٩٧ مرجع سابق).

[١] الدعاة إلى الله في هذا العصر مأمورون بدعوة الناس جميعاً؛ لأن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الناس، وهذا ما بينه ابن كثير رحمه الله ورسمه من خلال منهجه الدعوي، وهو الذي يتأكد على الدعاة فعله والاستفادة منه في دعوتهم للناس في هذا العصر، فأشار رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم : «أن لا يخص بالإنذار أحداً بل يساوي بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم له الحكمة والحجة»^(١).

[٢] ذكر ابن كثير رحمه الله من خلال منهجه الدعوي أصناف المدعويين، فمنهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات بإذن الله وعرف كل صنف من هذه الأصناف كما ذكرنا ذلك عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة الناس، فالدعاة إلى الله في هذا العصر يمكن أن يستفيدوا في موضوع فقه المدعويين ومعرفة أحوالهم من هذا التصنيف ومن هذا المنهج في دعوة عامة الناس من المسلمين، فالسابق بالخيرات يُرغب ويحث ويشجع على الازدياد من الخير والطاعة والمسابقة في فعل الخيرات، والمقتصد يُدعى إلى الثبات على الحق وتجنب المعاصي والآثام والترقي في درجات الخير، والظالم لنفسه يُحذر من المعاصي ويحث على التوبة والإنابة من كل الذنوب، كما يستفيد الدعاة أيضاً من منهج ابن كثير في مراعاة

(١) التفسير ٥٥٥/٤ عند تفسير الآية : ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى﴾

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿عبس ٥-١٠﴾.

أحوال المدعوين كل حسب ما يناسبه ويحتاجه فهناك المحب للخير ولكنه جاهل فإذا عُلِّمَ وبَيِّنَ له الحق اتبعه والتزم به ، وهناك من هو غافل فيحتاج إلى نصح وتذكير فهو مؤمن والذكرى تنفع المؤمنين ، وهناك معاند وهناك من لديه شبهات وشكوك وغير ذلك من الحالات والأحوال التي يكون عليها المدعوون مما يجب على الدعاة مراعاته والتفطن له حتى يكون لدعوتهم أثر ونجاح بإذن الله .

[٣] من أصناف المدعوين الذين اعتنى ابن كثير بهم وحرص على دعوتهم وتوجيههم المرأة والشباب والأطفال وقد ذكرنا ذلك مفصلاً عند الحديث عن شمول دعوة ابن كثير للمرأة ، ودعوته لعامة الناس ، مما يتعين على الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير الدعوي في ذلك ، فمثلاً فيما يتعلق بالمرأة نجد أن ابن كثير رحمه الله حذرهما من الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء ، وأشار رحمه الله إلى أنه من أعظم أسباب الفتنة والفساد ، فيقول عند ترجمته للشيخ خضر الكردي في وفيات سنة ٦٧٦هـ : «ولكنه لما خالط الناس افتن ببعض بنات الأمراء ... وكن لا يحتجبن منه فوقع في الفتنة ، وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب فلا يسلم العبد البتة منهن»^(١) ، لذلك فالدعاة بحاجة إلى الاستفادة من منهج ابن كثير الدعوي في هذا الجانب خاصة وهم يعيشون في هذا العصر الذي كثر فيه الدعوة إلى الاختلاط في كثير من الدول الإسلامية

(١) البداية والنهاية ١٧/ ٥٣٨ .

«حتى أصبحت هذه الظاهرة الاجتماعية ظاهرة مألوفة، فالاختلاط بين الرجال والنساء نراه في المدارس والجامعات والمنتديات، ونراه كذلك في المكاتب والمؤسسات والدوائر الحكومية في معظم البلاد الإسلامية بل أصبح تذكير المسلمين بالعودة إلى الفصل بين الجنسين دعوة إلى التخلف والتزمت والرجعية»^(١)، وكذلك الشباب فقد مر معنا أن الشباب عند ابن كثير يختلفون عن غيرهم من أصناف المدعوين في سرعة الاستجابة للدعوة وتقبل الخير منهم كما وصفهم بأنهم «أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ... ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً»^(٢)، فمطلوب من الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير رحمه الله في نظرته للشباب وأهمية دعوتهم والعناية بهم، فيحرص الدعاة على معاملتهم بلطف، وأن يوجهوا عن بعد كأن يرشدوا إلى قراءة الكتب والمجلات الجاذبة ذات المادة الخفيفة التي لا يملها والتي تتماشى مع المنهج الإسلامي العام، والتي تركز على أصول الإسلام العامة، ثم يتدرج معهم، وكذلك يوجه إلى المواقع الجيدة الإسلامية في شبكات المعلومات الدولية "internet" وتوضع له في جهاز الحاسوب المواد التي لا تنافي الخلق الإسلامي الرفيع، وأن يربط بالأصدقاء الصالحين والجمعيات الإسلامية الخيرية والمراكز الصيفية في العطلات حتى يشغل فراغه وينمي قدراته الذهنية والعقلية والبدنية، وكل البرامج التي تستوعب الشباب وتكون هادفة وذات فائدة ترتبط بها^(٣).

(١) قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، محمد عبد القادر هنادي ص ٦٧، طبعة مكتبة

الطالب الجامعي مكة ط ١، ١٤٠٨ هـ.

(٢) التفسير ٩٥/٣-٩٦.

(٣) انظر: محمد زين الهادي، الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ص ١٣٧، مرجع سابق.

[٤١] مما يستفيده الدعوة إلى الله في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو، منهجه في دعوة العلماء والأمراء، فابن كثير رحمه الله حرص على إبراز مكانة العلماء وبيان فضلهم ومنزلتهم والدور المناط بهم من نشر العلم وتعلمه وبيان الحق والدعوة إليه وعدم مخالفته، كما حذرهم من اتباع سبل الضلال وأوصاهم بتقوى الله وخشيته ونحو ذلك مما ذكرناه مفصلاً عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة العلماء، وكذلك منهجه رحمه الله في دعوة الأمراء والولاة حيث أشار إلى أهمية وجودهم وضرورة تعيين الإمام ونصبه والحاجة إليه ووجوب طاعته في المعروف، وعدم الخروج على الأئمة والحرص على معاونتهم وبذل النصيحة لهم والدعاء لهم بالصالح والتوفيق، وغير ذلك من الأمور التي أشار إليها ابن كثير في دعوة الولاة والتي سبق أن ذكرناها والذي يتعين على الدعوة في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير فيها في دعوة الولاة وطريقة معاملتهم، حتى تكون دعوتهم إلى الله على هدى وبصيرة وعلى المنهج الذي سار عليه السلف الصالح، وحتى لا تضيع جهودهم سدى.

وكذلك بالنسبة للعلماء فعلى الدعوة أن يستفيدوا من منهج ابن كثير في أهمية الالتفاف حول العلماء والحرص على التلقي عنهم وتوقيرهم واحترامهم والذود عنهم وإحسان الظن بهم، والأخذ بتوجيهاتهم ومشورتهم والرجوع إليهم والصدور عن رأيهم خصوصاً أيام الفتن، والتعامل معهم بكل أدب واحترام، والحذر من القدح فيهم وتخطئتهم بغير بينة وعلم، وإن ما نراه اليوم من وقوع بعض الشباب وبعض الدعوة في مخالفات شرعية واجتهادات خاطئة،

قد يكون من أهم أسبابها البعد عن أهل العلم والعلماء والاستهانة بهم وغمطهم حقوقهم والتشنيع عليهم وعدم الثقة بهم وإن كان واقع بعض العلماء في بعض البلدان الإسلامية هو أنهم يعيشون بعيداً عن حياة الناس وواقعهم فإنه بحمد الله هناك علماء كثيرون لهم اهتمام بحياة الناس وقضاياهم، كما أن لهم جهوداً مشكورة في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك لهم جهود في التوجيه والإرشاد والتعليم والأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

[٥] من الجوانب التي يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو، هو اهتمام الإمام ابن كثير بدعوة أهل البدع والمنكرات وأهل النفاق، وحرصه على بيان ضلالهم وكشف زيفهم وانحرافهم وردده على طوائفهم وفرقهم، وتنبية الأمة إلى أن ما هم عليه مخالف لما كان عليه الرسول ﷺ، ولذلك عاقبهم الله بالذل والصغار في الحياة الدنيا، وجعلهم في ضلال عن الحق بسبب ما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء والأحكام، إلى غير ذلك مما ذكرناه سابقاً عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة أهل البدع والمنكرات وأهل النفاق، فالدعاة إلى الله في هذا العصر مطالبون بالسعي إلى محاربة البدع والأهواء، وتصحيح الخلل العقدية الذي يعيشه كثير من الناس في المجتمعات الإسلامية، وإن ما يقوم به كثير من الدعاة إلى الله - في هذا العصر - من اهتمام بتشخيص وعلاج مظاهر الانحراف والفساد الأخلاقي لدى المسلمين هو جهد يشكرون عليه وخصلة تحمد لهم بل هو من الواجبات المتعينة على كل داعية ومصلح أن يقوم بها كل بحسبه،

ولكنهم لا يعذرون حين يذهلون ذهولا أعمى عن الخلل الأعظم والخطر الأكبر، ذلك الخلل الذي لا شك أنه هو السبب الأول للانحراف الخلقي والفساد الاجتماعي والفوضى والجهل والتخلف وسائر المفاسد، ذلك الخلل الحاصل في اعتقاد كثير من المسلمين في شتى بلاد الإسلام علماً وعملاً، والتمثل في الوقوع في المعتقدات الضالة والأعمال الشريكة والبدعية مما لا يتسع المجال لبسطه، فصلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف مرتبط قبل كل شيء بصلاح عقيدتهم واستقامتهم على دين الله وعبادته وحده دون سواه، وتقواه سبحانه وطاعته واتباع رسوله ﷺ وهذا هو منهج الرسل ومنهج القرآن والسنة ومنهج المصلحين المهتدين^(١).

وأما أهل النفاق فقد بين ابن كثير رحمه الله صفاتهم وعداءهم للمؤمنين وأنهم يتربصون بهم الدوائر، فلذلك نهى الله سبحانه أن يتخذهم المؤمنون بطانة، إلى غير ذلك مما ذكرناه مفصلاً عند الحديث عن منهج ابن كثير في دعوة أهل النفاق، مما يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير الدعوي في دعوة أهل النفاق والتعامل معهم، فلا يفتروا بظواهر أعمالهم وينخدعوا بها بل يجب عليهم الحذر منهم لأنهم العدو الذي يجب الاحتراز منه وأخذ الحيطة والحذر منه، «فالذين ينطقون بالشهادتين ومع ذلك يفضلون حكم

(١) انظر: د. ناصر العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية

المعاصرة منها، طبعة دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

غير الله على حكم الله وأخلاقيات الأعداء على أخلاقيات الإسلام مدعين أن ذلك هو التطور الحضاري، فماذا نسمي هؤلاء؟ أليس هو شر أنواع النفاق... والمنافقون من قبلهم كانوا يشككون في التكاليف التي جاء بها الشرع فلا يؤدون الصلاة إلا وهم كسالى رثاء الناس، وعندما يخلو بنفسه يتخلص من كل التكاليف وهو في الظاهر ينطق بالشهادتين، ما الفرق بين هؤلاء وبين من ينطق بالشهادتين الآن ثم هو تحت شعار الحرية ينادي بحرية المرأة في جسدها..... ولا يؤدي الفرائض ولا يلتزم بها أليس هو شر أنواع النفاق، يظهر من جديد؟ هذه مظاهر النفاق في العصر الحديث الذي أصبح من الواجب على الدعاة أن يعدوا العدة لمقاومتها وينبهوا الناس إلى خطرها^(١).

[٦] وما يستفيدة الدعاة إلى الله في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي فيما يتعلق بفقه المدعو، ومنهجه في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركون، فابن كثير رحمه الله اعتنى بموضوع الشرك وبيان آثاره وأضراره في الدنيا والآخرة، كما أوضح رحمه الله موقف المشركون والكفار في الصد عن الخير وعداء أهله وإنفاق أموالهم في سبيل ذلك، ولذلك حذر رحمه الله من خطر موالة المؤمنين للكفار ومن الآثار المترتبة على ذلك، كما حذر من التشبه بهم واتباع طرائقهم، إضافة إلى جهوده في دعوتهم إلى الإسلام ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، ودعوة جميع الكفار إلى الله وتوحيده وعبادته من خلال تفهم القرآن والرجوع إلى سيرة الرسول ﷺ ومعرفة حياته

(١) المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم للدكتورة سميرة جمجوم، ص ٣٦٠، طبعة دار المجتمع للنشر والتوزيع بمكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

وأخلاقه وصدقه وأمانته ونحو ذلك من الجوانب الدعوية في منهج ابن كثير في دعوة غير المسلمين والتي يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يستفيدوا منها، فمثلا في دعوة أهل الكتاب يحسن بالدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من منهج ابن كثير في دعوة أهل الكتاب وحوارهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وذلك من خلال ما عندهم من الحق في كتبهم المقدسة عن الإسلام، والبشارة بمحمد ﷺ، ومن جانب آخر كشف وتوضيح ما دخل في هذه الكتب من التحريف والتبديل والتناقض، ومقارنة ذلك بالقرآن وأنه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ.

وهذا الأسلوب الذي كان يستخدمه الداعية الإسلامي أحمد ديدات رحمه الله، وقد أثر هذا الأسلوب في دعوة النصارى لا سيما القساوسة منهم ورجال الدين، وقد أسلم عدد منهم بسبب ذلك وهذا بلا شك يحتاج إلى وجود فريق من الدعاة المسلمين بحيث تكون لهم عناية وتخصص بمعرفة أسفار أهل الكتاب وأناجيلهم وكتبهم المقدسة، كما هو الحال عند ابن كثير رحمه الله، حتى أن بعض كبار رجال الدين عندهم في زمانه يسألونه عن بعض القضايا والمسائل في دينهم كما فعل البترك بشارة الذي قال عنه ابن كثير أنه «يفهم بعض الشيء ولكن حاصله أنه حمار من أكفر الكفار»^(١).

(١) البداية والنهاية ١٨/٧١٦، وللإستزادة انظر التفسير ٣/١٥٤ عند تفسير الآية [٣٤] من سورة

المبحث الرابع

الاستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر

إن منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله من خلال توجيهاته السديدة، ونصائحه المفيدة، ومن خلال استخدامه لأساليب ووسائل الدعوة المختلفة، والتي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها، لا سيما في هذا الزمن الذي تعددت فيه وسائل وأساليب للدعوة لم تكن معروفة من قبل كالإذاعة والتلفاز والأقمار الصناعية والتسجيلات الصوتية والهاتف، والشبكة العالمية «النت» وأقراص الليزر الممغنطة (CD) والسينما والمسرح والصحف والمجلات والملصقات وغيرها من الوسائل والأساليب الكثيرة، والذي يتعين على الداعية استخدامها والاستفادة منها وتطويرها وتوجيهها وفق الضوابط والمقاصد الشرعية لهذه الأساليب والوسائل، ووفق المنهج الدعوي الصحيح الذي دعا إليه ابن كثير وهو الدعوة إلى الله على بصيرة وبرهان كما هو منهج الرسول ﷺ وصحابته ومن سار على دربهم.

فالداعية المعاصر يستفيد من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله في استخدام وتطبيق الأساليب والوسائل التي استخدمها ابن كثير في نشر الخير والعلم والدعوة إلى الله، وكذلك باستخدام الوسائل والأساليب الحديثة والجديدة وتطويرها وتوجيهها وفق الضوابط والقواعد والمقاصد الشرعية التي بينها ابن كثير ورسمها ودعا إليها، فيمكن للداعية المعاصر أن يستفيد من ذلك في دعوته في الوقت الحاضر من عدة جوانب منها:

[١] اعتناء ابن كثير رحمه الله بإبراز المنهج الدعوي الصحيح الذي يلزم الداعية إلى الله سلوكه والسير على نهجه وعدم الخروج عنه، وهذا المنهج هو الذي سلكه وسار عليه قدوة الدعاة وسيدهم محمد ﷺ وصحبه الكرام ومن جاء بعدهم

وسلك منهجهم من الدعاة والمصلحين، بل هو المنهج الذي أمر الله رسوله ﷺ أن يسلكه ويلتزم به هو ومن اتبعه، وهو أن يدعو إلى الله على بصيرة وبرهان كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، فالله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يبين المنهج الذي يسير عليه في دعوته هو ومن اتبعه، وأن هذه سبيله، أي طريقة ومسلكه وسنته ... يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه^(٢).

فالدعاة إلى الله في هذا العصر عليهم أن يلتزموا في دعوتهم إلى الله بسلامة المنهج وصحته، وهو ما دعا إليه ابن كثير رحمه الله لا سيما ونحن في عصر قد كثرت فيه الخلاف والتباين حول منهج الدعوة وطرقها وأساليبها بين الدعاة إلى الله، فمثلاً اضطراب كثير من المتسبين إلى العمل الإسلامي في تحديد مدلول جماعة المسلمين الواجبة اضطراباً عظيماً وتفاوتت اجتهاداتهم في ذلك ما بين من يرى الجماعة أصلاً من أصول الدين لا تثبت صفة الإسلام ابتداءً إلا باستيفائه، وما بين مبدع لكافة صور التجمعات الإسلامية المعاصرة قاصراً معنى الجماعة على الاجتماع على الخليفة المتمكن الذي يقيم الحدود ويستوفي الحقوق ويرد المظالم، وما بين من يرى نفسه أو القلة القليلة التي حذت حذوه هم الجماعة، فأُنزل عليها النصوص الواردة في لزوم الجماعة والتحذير من مفارقتها، فمن تبعه كان من الجماعة ومن خالفه فقد خرج عن الطاعة وفارق الجماعة، مع ما يستتبعه ذلك من التكفير أو التبديع في أحسن الأحوال إلى من يرى أنه لا وجود للجماعة على الإطلاق إلا بعد قيام الدولة ونصب الإمام وانقياد الأمة له، فتتج عن ذلك ما نتج

(١) سورة يوسف، الآية [١٠٨].

(٢) انظر التفسير ٦١٠/٢.

من آفات التعصب والتدابير وفساد ذات البين^(١).

[٢] ومن ملامح المنهج الدعوي الصحيح الذي دعا إليه ابن كثير في كيفية الدعوة إلى الله أن يدرك الداعية أن مهمته البلاغ كما أرشد الله سبحانه وتعالى رسوله إلى ذلك ويُن له أن مهمته البلاغ وأن الواجب عليه دعوة الناس وتبليغهم هذا الدين أما هدايتهم فهي إليه سبحانه لأنه كما قال ابن كثير من «كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم فلا يهمنك ذلك: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾»^(٢) وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^{(٣)(٤)}.

وحيث إنه ﷺ «يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة في الذكر الأول»^(٥)، فالدعاة إلى الله في هذا العصر يجب أن يتنبهوا لذلك، ويستفيدوا من هذا المنهج الذي دعا إليه ابن كثير، لأن اعتقاد بعض الدعاة في هذا العصر أن هداية الناس هي من مسؤوليته وواجبه أوقع بعضهم في تبني الفتاوى الشاذة أو الأقوال المرجوحة والضعيفة رغبة في التيسير على الناس - كما يتصوره ويظنه - وهو في الواقع استجابة ومسايرة لشهوات الناس ورغباتهم وأهوائهم ولو كانت مخالفة للشرع، كل ذلك باسم المنهج

(١) انظر: صلاح الصاوي، جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر ص ٧-

٨ طبعة دار الصفوة للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى صفر ١٤١٣ هـ.

(٢) سورة الرعد، الآية [٤٠].

(٣) سورة الرعد، الآية [١٧].

(٤) التفسير ٦١/١.

(٥) التفسير ٦١/١.

الوسطي والوسطية وتقديم الإسلام للآخرين بصورة محبة ومقبولة^(١)، وما

(١) ولذلك نجد أن بعض الدعاة إذا قال للإنسان كلاماً أو دعاهم إلى أمر فإنه يحب ويرغب أن يقبل منه الناس هذا الكلام وهذه الدعوة ويستعجل النتيجة في قبول الآخرين لما يدعوههم إليه من الحق والخير، فإذا لم يفعلوا هذا غرّه شياطين الإنس والجن على أن يُغيّر في دعوته كي تناسب ما عندهم، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حذر رسوله ﷺ من أمثال هؤلاء فقال: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿ للإسراء ٧٥، ٧٣ وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ هذا كلام في غاية الأهمية، وذلك لأن دعاة الباطل والكفار يغرون الداعية بأنه إذا غيّر هنا أو غير هناك أو أوّل الدين أو فسره بما يناسب أهواءهم فإنهم يحبونه ويعظمونه، وهذا ما يحدث الآن في واقعنا، فإن المستشرقين وأمثالهم كثيراً ما يمدحون الدعاة أو المنتسبين إلى الإسلام الذين يعمدون إلى مثل هذا التغيير فيصفونهم بسعة الأفق وفهمهم العصر، ويصفونهم بأنهم يجعلون الدين للناس يسرا ويصفونهم بأنهم أذكاء وبأنهم متحررون، وهذا يغر الإنسان فيتمادى في التحريف وهم لا يريدون لهذا التحريف أن يقف عند حد، فكلما وجدوا إنساناً أكثر تحريفاً عظموه عن أقل منه تحريفاً لأنهم لم يرضوا عنه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة ١٢٠). هذه الغاية التي يريدون للإنسان الداعية أن يصل إليها، وإذا كان هذا قد حدث في زمان الرسول ﷺ فإنه موجود عندنا الآن، ف نجد أن المجتمع والمنحرفين فيه كثيراً ما يضغطون على الدعاة بأن يفسروا الدين وأن يؤولوه بما يناسب أهواءهم، والداعية المخلص يظن أنه إذا استجاب لكلامهم فإن هذا مما يدعوههم لأن يقلبوا كلام الله سبحانه وتعالى، ويقلبوا دعوته، ولكن الله سبحانه وتعالى يحذر الرسول ﷺ ويبين له أن الإنسان الصالح الذي يريد الهدى يكفيه هذا الذي أنزلناه إليه، وأما الذي يقترح عليه ويطلب منه أن يُغيّر هنا أو يبدل هناك لكي يستجاب لدعوته فإنه لن يستجاب له أبداً، ولهذا يقول سبحانه للرسول ﷺ: ﴿فَإِنْ أَشْطَقْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْإِلْهَائِينَ﴾ (الأنعام ٣٥) (انظر: جعفر شيخ إدريس، مهمة الداعية البلاغ، مجلة التوعية الإسلامية، تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية، العدد الثاني عشر ١٨ ذو الحجة ١٤٠٢ هـ، السنة الثامنة ص ٢٣-٢٨، بتصرف واختصار).

درى أولئك أن موافقة الشرع واتباع النصوص هي اليسر والوسط كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

فاتباع الشرع والإلتزام به هو المنهج الوسط وهو اليسر وعدم العنت بينما مخالفة النصوص وتحريفها واتباع الأقوال الشاذة والآراء المرجوعة هو الزيف والهلاك والانحراف ومخالفة مقصود الشريعة، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «من تأمل موارد الأحكام عرف أن الشريعة حمل على التوسط، وليس ميلا إلى الرخص في الفتيا، لأن بعض أهل العلم يتحرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناء على أن الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وخرج في حقه، وأن الخلاف إنما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة، وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة»^(٤).

[٣] ومن الملامح أيضاً أنه لا يسوغ للدعاة إلى الله أن يكرهوا أحداً على الدخول في دين الله، لأن المكروه لا يفيد الدخول في دين الله وهو مكروه

(١) سورة الحج الآية [٧٨].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٥].

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٤) الموافقات للشاطبي ٢٥٩/٤، وانظر: عبدالله الطويل منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية

أسباب ظهور منهج التيسير المعاصر ص ٢٣٥ طبعة دار الهدى النبوي بمصر، الطبعة الأولى

مقصور، يقول ابن كثير عند تفسير الآية : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) ، «لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، ولا يحتاج أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقصوراً»^(٢).

ومن الخطأ عند الإمام ابن كثير رحمه الله أن يدعو الإنسان ويحاج فيما لا علم له به، فكما أن الداعية مطالب أن يدعو إلى الله على بصيرة فكذلك لا يجوز له أن يدعو ويحاج فيما لا علم له به، فيقول عند تفسير الآية : ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوهُمْ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٣) ، «هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك»^(٤).

وأمر آخر لفت ابن كثير النظر إليه وهو مما يستفيد الداعية في قيامه بالدعوة وهو أن يحرص الداعية على صلاح نفسه وفعل الخير والدعوة إلى الله، ولا ينظر إلى فساد الناس بحيث يكون ذلك عائقاً ومثبطاً له في طريق دعوته،

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٢) التفسير ٣٨٥/١.

(٣) سورة آل عمران آية ٦٦.

(٤) المرجع نفسه ٤٥٦/١.

فيقول رحمه الله عند تفسير الآية: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾^(١) «يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ويخبرهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريباً أو بعيداً»^(٢)

[٤] ومن الجوانب التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها في منهج ابن كثير في كيفية الدعوة إلى الله هو استخدامه رحمه الله لأسلوب المناظرة والحوار والمجادلة، وأنه يجب على من يقوم بذلك أن يكون على علم ومعرفة، وأن تكون بالتي هي أحسن، والناظر في منهج ابن كثير رحمه الله الدعوي يجد أنه حاور العلماء^(٣)، وحاوَرَ الحكام^(٤)، كما حاور أهل البدع من الرافضة ونحوهم، وكذلك حاور غير المسلمين من النصارى، ولكل حوار من ذلك طريقته وأسلوبه وأدبه، والدعاة إلى الله في هذا العصر يتعين عليهم «أن يكون لهم حوار مع أنفسهم أولاً يناقشون فيه قضاياهم ويحلّون فيه كثيراً من خلافاتهم ومشاكلهم ويضعون الأسس فيما يقبل الخلاف فيه وما لا يقبل، وحوار مع مشايخهم وعلمائهم يناصحون فيه، ويستفيد الصغير من الكبير،

(١) سورة المائدة، الآية [١٠٥].

(٢) التفسير ١٤١/٢ - ١٤٢.

(٣) انظر: مثلاً البداية والنهاية ٦٨٨/١٨ في حوارهِ مع العلماء والقضاة في أمر المدرسة التدمرية وقرابة الواقف، في أحداث سنة ٧٦٥هـ، وانظر: البداية والنهاية ٧٠٨/١٨ في حوارهِ مع العلماء في أمر تقي الدين السبكي في أحداث سنة ٧٦٧هـ.

(٤) انظر: مثلاً البداية والنهاية ١٠٦/١٨ في حوارهِ مع نائب السلطنة في شأن النصارى في أحداث سنة ٧٦٧هـ.

ويُعرف فيه لأهل العلم والفضل حقهم، ملتزمين في ذلك أدب العلماء وطريقة السلف الصالح في مناقشة الأمور المختلف فيها وبيان الخطأ الذي ربما وقع فيه أحدهم، فالخطأ والنسيان لا يسلم منهما أحد من الناس وأهل السنة لا يعتقدون العصمة لعلمائهم ومشايخهم^(١).

وكذلك يكون للدعاة في هذا العصر حوار مع أهل البدع والضلال يدعونهم إلى الحق وقيمون عليهم الحجة ويكشفون زيفهم وضلالهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم^(٢)، وكذلك حوار بعض الدعاة مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام، وإقامة الحجة عليهم بصدق نبوة محمد ﷺ، وصدق ما جاء به من القرآن الكريم، ورد الشبهات التي تثار حول الإسلام ونبيّه والقرآن الكريم، وفي نفس الوقت كشف وتوضيح ما حصل في كتبهم المقدسة من التحريف والتبديل والتغيير^(٣).

وهكذا فالدعاة إلى الله اليوم هم بأمس الحاجة إلى الحوار المفيد البناء القائم على العلم والمعرفة الملتزم بأدب الإسلام المتأسى فيه برسول الله ﷺ وبصحابته الكرام ومن سار على نهجهم من الدعاة والمصلحين.

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله د. سليمان العيد، مرجع سابق.

(٢) فمثلاً الحوارات والمناظرات التي تعقد في قناة المستقلة الفضائية بين فريق من علماء أهل السنة وبين غيرهم من علماء الشيعة، كان له أثر في معرفة كثير من الناس أموراً كانوا يجهلون عنها مثل هذه الطوائف والفرق.

(٣) سبق أن أشرنا إلى جهود الداعية الإسلامي أحمد ديدات رحمه الله في مناظرة النصاري وإقامة الحجة عليهم وكشف التحريف والتبديل الذي حصل في أناجيلهم، مما كان لذلك أثر في دخول بعضهم في الإسلام.

[٥] ومن الجوانب التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها في منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة هو نظرة ابن كثير للعقل واعتباره أشرف ما في الإنسان، وتحديد علاقته بالنقل وأن العقل لا يمكن أن يستقل عن النقل بمعرفة الحق والباطل والحسن والقبيح، وأن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح، وكذلك إنكاره رحمه الله على من عارض النصوص بالرأي، وأن الغلو في تقديس العقل يؤدي إلى الانحراف والضلال ونحو ذلك مما بيّنه ابن كثير حول العقل ومكانته ومنزلته وحدوده^(١).

فالدعاة إلى الله يتعين عليهم أن يستفيدوا من هذا المنهج الذي أشار إليه ابن كثير تجاه العقل خصوصاً ونحن في هذا العصر الذي وجد فيه اتجاه (يمجد العقل الإنساني ويغالي في تقديمه على الدين وتحكيمه في عالمي الغيب والشهادة، ويعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار النصوص الشرعية الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ)، ويجعل العقل وسيلة الإثبات وأساس الحكم على الأشياء وطريق القبول لها^(٢).

وبتأثير هذا الاتجاه قام بعض الدعاة في هذا العصر إلى «تفسير الإسلام في مصادره وأصوله تفسيراً عقلانياً مادياً، دون اعتبار لدلالات اللغة وأصول الدين ومفاهيم النصوص وعمل المسلمين وإجماعهم، وتفسير الوحي والدين والنبوات والغيب والمعجزات والقدر، على مقتضى المفاهيم العقلانية البشرية

(١) انظر: ص ١٤٢ من هذا الكتاب.

(٢) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية للدكتور مفرح القوسي ص ٣٣ طبعة دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

المحدودة، والكشوفات العلمية المحسوسة، والنظريات الغربية المادية، والتجديد والنظر في الإسلام - بحسب مقتضيات العصر الحديث - عقدياً وتشريعياً وتاريخياً، ليساير الفكر الغربي والحياة الغربية المتقدمة، وإخضاعه للسيادة العقلانية كما فعل الغرب بالكنيسة ودينها المحرف^(١).

[٦] ومن الجوانب أيضاً التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله هو أن طرق المعرفة ومصادرها تشمل الوحي والكون، خلافاً للتصورات الغربية التي قصرت ثبوت مصادر المعرفة وحقائق العلم على ما يثبت عن طريق الحس والتجربة والعقل فحسب، وأن ما وراء ذلك إنما هو خرافة فما يثبت بطريق الوحي والدين أياً كان فهو خرافة ومفاهيم غير علمية، وقد تأثر بهذه التصورات الخاطئة بعض الدعاة من المفكرين والباحثين فظنوا أن الوحي المنزل من الله سبحانه كالقرآن الكريم والسنة المطهرة والأخبار التي وردت في الوحي عن اليوم الآخر والجنة والنار وعذاب القبر والملائكة بل وجميع الحقائق الدينية كل ذلك لا يعتبر ثبوتها عن طريق مصادر علمية يقينية بل تسمى مصادرها دينية أشبه ما تكون بالظن والخرافة.

[٧] ومن الجوانب التي يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله عناية ابن كثير بضبط المصطلحات

(١) الوقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية للدكتور مفرح القوسي ص ٣٤، وانظر:

د. ناصر العقل، المدرسة العقلية الحديثة وعلاقتها بالقدمة، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض العدد ٣ عام ١٤٠٠-١٤٠١ هـ ص ٢٥١.

والألفاظ ومعانيها، وحرصه رحمه الله على اتباع المنقول من المصطلحات، وأثر مخالفة المصطلحات في اللغة والشرع على الاختلاف العلمي والعملية على الأمة. وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل عند الحديث عن عناية ابن كثير بالمصطلحات، فيمكن للداعية المعاصر أن يستفيد من ذلك بتحرير المصطلحات والألفاظ والوقوف عندها ورفض بعضها أو إعادة تفسيرها بما يناسب الشرع والدين، وأن لا يقعوا في خطأ تأويل النصوص الشرعية بقصد التوفيق بينها وبين تلك المصطلحات التي استهوت العقول دون أن يدركوا واقعها وحقيقة أمرها، وخطورة ما تحمل من مفاهيم وأفكار مناقضة للإسلام بل هادمة له^(١).

فمثلاً تصور بعض الدعاة إلى الله في هذا العصر لمصطلح الديمقراطية بأنها تعني الممارسة الشورية ونبد الاستبداد والتسلط والدكتاتورية، تصور قاصر لأن الديمقراطية في مفهومها الصحيح (تقف من الدين موقفاً محايداً)^(٢) وتعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية، فهي تترك الناس أحراراً فيما يعتقدون لكن تقول لهم لا دخل لذلك كله في السياسة ولا في القانون، وقد نشأت هذه الفكرة نتيجة الصراع بين الكنيسة والأمراء الذين يدعون لأنفسهم حقاً إلهياً في الحكم وبين المحكومين، فتوصل المفكرون إلى حل وسط يترك الناس وما يدينون، لكنه يبعد الدين والوحي عن التأثير في الحياة، ولا يُعترف به مصدراً ومرتكزاً للحقوق والقيم، وإنما يكون الشعب هو مصدر ذلك كله وينطق عنه نوابه

(١) انظر ص ٢٤٥ من هذا الكتاب.

(٢) بل في الحقيقة مغايراً ومعادياً.

الذين يختارهم حسب مبدأ الأكثرية في التصويت»^(١)، وحتى لو أضيف إلى هذا المصطلح كلمة إسلامية فيصبح المسمى ديمقراطية إسلامية فيتعين على الدعاة ويجب عليهم أن يرفضوا ذلك ولا يغترون به ولا يدعوا الناس إليه «لأن المشرع الحكيم نهانا أن نستخدم عبارات وكلمات يوظفها خصومنا توظيفات مشبوهة ومحاربون بها مبادئنا، فنرفض ذلك لأننا حينما نقول ديمقراطية إسلامية نكون قد أحدثنا مزجا ومواءمة بين الإسلام وغيره، وإن نظام الإسلام لا يقبل المزج وغيره، لأنه كامل وغير محتاج للاستدراك، وكل إضافة عليه ابتداء آثم فاعلمها»^(٢).

[٨] ومما يمكن أن يستفيدة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله هو استخدام ابن كثير لأساليب الدعوة ووسائلها الممكنة في عصره كالتدريس والإفتاء والردود العلمية والاتصالات والمراسلات الشخصية ونحوها، مما يمكن للداعية أن يستخدمها مستثمراً ومستفيداً من التطور التقني في هذا العصر وملتزماً بالضوابط والقواعد الشرعية التي بينها ابن كثير في سلامة المنهج وصحة الوسائل والأساليب، فإذا كان التأليف مثلاً في عصر ابن كثير يتم على نطاق ضيق ومحدود، فإنه الآن، وبسبب وجود الآلات

(١) رؤية إسلامية للديمقراطية الغربية، عبد المجيد الحافظ ص ١٢، ١٣ طبعة دار وحي القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧.

الحديث من المطابع ونحوها، يستطيع الداعية أن يُدبِّجَ المقالات، ويكتب الرسائل والمؤلفات الكثيرة ويتمكن من قراءتها والاطلاع عليها عدد كبير من الناس، وكذلك الاتصال الشخصي أو المراسلات الشخصية إذا كانت في ذلك الوقت لا تتم إلا بشكل محدود وأحياناً قد يصعب الاتصال أو يستغرق الوصول إلى بعض الناس زمناً طويلاً، فإنه في هذا العصر يتم التواصل كما هو معلوم خلال دقائق معدودة سواء كان اتصالاً مباشراً أو غير مباشر من خلال الفضائيات والهاتف والفاكس والإنترنت ونحو ذلك من الوسائل الكثيرة والمتعددة، فالدعاة إلى الله في هذا العصر إذا لم يُسخروا هذه الوسائل والأساليب والأدوات الحديثة ويستفيدوا منها في نشر الخير والفضيلة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فستكون وسائل وأدوات وطرق لنشر الفساد والكفر والإباحية والأفكار الضالة، كما هو الحال في وسائل الإعلام اليوم التي تمثل أكبر تحدٍ يواجهه المسلمون في هذا العصر^(١).

وأخيراً فيمكن أن يستفيد الداعية المعاصر من منهج ابن كثير الدعوي في كيفية الدعوة إلى الله من بعض الجوانب التي ذكرناها، والتي هي بمثابة التوجيه السديد والنصائح المفيدة للدعاة في هذا العصر كتوجيه ابن كثير رحمه الله

(١) لمعرفة الآثار السيئة والخطيرة لوسائل الإعلام على المجتمعات الإسلامية يمكن الرجوع إلى كتاب (قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها) للدكتور محمد عبد القادر هنادي، ص ٧١، التحديات الإعلامية مرجع سابق.

الداعية بانتهاز الفرص واستغلال المناسبات ، وترتيب الأولويات والعناية بما هو أهم وبما يحتاجه المدعو ، وكذلك تنويع أوقات الدعوة وأساليبها ، وأن تعم دعوته جميع الناس ، وغير ذلك^(١) من المجالات والطرق والأساليب والوسائل ، وغيرها من المناهج الدعوية المختلفة التي استخدمها ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله بجمع أركانها ، سواء كانت من المناهج العاطفية التي تثير الجوانب الروحية والإيمانية ، أو المناهج العقلية التي تعتمد على الحجة والمنطق والحوار والعقل ، أو المناهج الحسية التي تلفت النظر إلى ما هو موجود ومشاهد في الحياة والكون والأنفس.

(١) للاستزادة في موضوع كيفية الدعوة ينصح بالرجوع إلى ما كتبه الدكتور محمد زين الهادي في كتابه (فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً) طبعة دار العاصمة بالرياض ، ط ١٤٠٩ هـ .

المبحث الخامس

الاستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر

من الجوانب المهمة التي يستفيد بها الداعية المعاصر من منهج الإمام ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله معرفة تلك المؤهلات التي اتصف بها، ودعا إليها، وكان لها الأثر الكبير في نجاحه في توجيه الناس ودعوتهم وتأثيره فيهم. والدعاة إلى الله في هذا العصر هم بأمر الحاجة إلى تلك المؤهلات التي يتصف بها الإمام ابن كثير وأمثاله من الدعاة المخلصين والأئمة المصلحين ومن أبرز هذه المؤهلات ما يلي :

[١١] الإخلاص : فمن أهم أسباب نجاح الداعية في دعوته الإخلاص، وهو من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^(١) ، وإذا كان الإخلاص مهماً ولازماً لكل مسلم فهو للداعية أهم وألزم، لأن الداعية هو القدوة العملية لغيره، ولذا نجد الإمام ابن كثير يؤكد على هذا الأمر، وينبه على أن قبول العمل متوقف على الإخلاص والموافقة فيذكر رحمه الله أن «للعمل المتقبل شرطين أحدهما أن يكون خالصاً لله وحده والآخر أن يكون صواباً موافقاً للشرعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ... وأما إن كان موافقاً للشرعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص

(١) سورة البينة، الآية [٥].

عامله القصد لله تعالى فهو أيضاً مردود على فاعله»^(١)، فالداعية إلى الله في هذا العصر يستفيد من منهج ابن كثير رحمه الله الدعوي فيما يتعلق بمؤهلات الداعية بأن يكون مخلصاً في أعماله وأقواله ودعوته لربه، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا مدحهم وإنما يريد وجه الله والدار الآخرة، ولهذا فإن الداعية المخلص لا يكون همه تكثير أتباعه أو ذيوخ صيته أو كثرة مدحه أو نحو ذلك، وإنما همه وغايته دخول الناس في دين الله وإنقاذهم من النار^(٢).

[٢] العدل والإنصاف: إن من أفضل نعم الله على المرء هو كما قال ابن حزم: «أن يطبعه على العدل وجهه وعلى الحق وإشاره»^(٣)، فالعدل «به قامت السماوات والأرض»^(٤) ولذلك حرص ابن كثير رحمه الله على التأكيد على هذا الجانب واتخذ شعاراً عملياً يمارسه مع غيره، ولو كانوا من خصومه وأعدائه فهو يقرر رحمه الله أن الله سبحانه «يأمر بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل أحد في كل وقت في كل

(١) التفسير ١/ ١٩٤.

(٢) انظر: عبد الرزاق البدر (الجامع للبحوث والرسائل) ص ٤٩٢/ ٤٩٥، طبعة دار كنوز إشبيلية بالرياض، ط ١٤٢٦ هـ.

(٣) انظر: ابن حزم، مداواة النفوس ص ٩٠.

(٤) التفسير ٢/ ١٠.

حال»^(١). وقد ذكرنا بعض المواقف العملية لابن كثير التي تدل على التزامه بمبدأ العدل والإنصاف في دعوته لغيره وتعامله معهم حتى ولو كانوا خصوماً له وأعداءً وحتى لو كانوا من غير دينه وملته، فمثلاً عدله وإنصافه مع كل من ابن الزملاكاني، ومع القاضي تقي الدين السبكي وكذلك إنصافه وعدله لنصاري الشام حينما صادر نائب دمشق أموالهم بسبب اعتداء إخوانهم الفرنجة على الإسكندرية، وغيرها من المواقف العملية الكثيرة التي تدل على التزام وتطبيق الإمام ابن كثير لمبدأ العدل والإنصاف، وذلك مما يستفيده الدعاة في هذا العصر الذي عَزَّ فيه العدل والإنصاف في التعامل بين المسلمين، بل ومن كثير من الدعاة إلى الله، فتجد أن بعض الدعاة يرى أن ما عليه هو الصواب والحق وأنه الجدير بالاتباع والجدير بقيادة الأمة، وأنه هو ومن سار على طريقته ومنهجه هم الذين يملكون القدرة على حل مشكلاتها.

ومن الدعاة من ينظر إلى إخوانه من الدعاة الآخرين الذين ليسوا على منهجه وأسلوبه وطريقته أنهم بدرجة أقل من الجدارة والتفكير والإدراك للمصالح، أو على الأقل أنهم - مساكين - فينظر إليهم نظرة إشفاق وإهمال، بل إن بعض الدعاة من يحدد طريقة ويجزم بها ويعتقدها ويرتب عليها أحكاماً شرعية ومستلزمات دعوية ويخطئ غيره ويرده، ويجعل فكرته هي الميزان، وأن من حاد عنها فهو مخطئ أو هو عقبة في وجه الدعوة

(١) التفسير ٢/ ٢٤١.

والإصلاح ، مما أدى إلى وجود الحزبيات والتكتلات بين صفوف الدعاة^(١) ، ولا شك أن هذا ينافي العدل والإنصاف والحقوق الواجبة بين الدعاة إلى الله وينافي التعاون على البر والتقوى والوقوف صفاً واحداً في وجه أعداء الأمة الذين يترصدون بها الدوائر.

(٣) الثقافة الواسعة : والمقصود بذلك أن يكون الداعية على علم بطبيعة عصره وظروف مجتمعه ، وهو ما كان عليه ابن كثير رحمه الله ، فقد كان على قدر كبير من العلم والثقافة والوعي ، والناظر في سيرته رحمه الله يجد أنه منذ صغره وهو حريص على طلب العلم ومعرفة أحوال مجتمعه وما يحدث فيه ، ولعل قصته مع القاضي صدر الدين الحنفي وجلوسه إليه بعد عودة القاضي من مصر وابن كثير صغير لم يتجاوز سنه العاشرة تدل على ذلك^(٢) ، وكذلك معرفته بعقائد أهل الكتاب خاصة النصارى وما حصل في كتبهم من التحريف والتبديل ، وكذلك المذاهب والفرق الضالة والمذاهب المنحرفة وبيانه لزيغها وانحرافها كالقدرية والجهمية والمعتزلة ، إضافة إلى معرفته للتار وشريعتهم التي وضعها لهم جنكيز خان في كتابه الياسق ليكون ديناً ومرجعاً لهم ، فالداعية المعاصر يستفيد من ذلك بأن يكون على وعي ودراية بواقعه الذي يعيش فيه ، وذلك بمعرفة ما يقوم عليه من نظم وما يسوده من مذاهب وما يحركه من

(١) انظر ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة ، ص ٧٤-٧٨ ، مرجع سابق.

(٢) انظر ص ٤٤.

عوامل ، وما يصطرع فيه من قوى ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يعاني أهله من متاعب ، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط ، بآلامه وآماله وأفراحه ومآسيه ، ومصادر قوته وعوامل ضعفه ، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلية وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما يقاسيه من صراعات ومشكلات ، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار.

إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم ، وحتى يعرف كيف يدعوهم ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ومن هنا يتعين على الداعية في هذا العصر أن يكون لديه إلمام بواقع العالم الإسلامي ، وواقع القوى المعادية للإسلام ، وواقع الأديان المعاصرة ، وواقع المذاهب السياسية المعاصرة ، وكذلك الحركات الإسلامية المعاصرة ، وواقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام وواقع الفرق المنشقة على الإسلام ، وواقع البيئة المحلية التي يعيش فيها.

ولا يخفى أن هذه الثقافة لا تستمد من الكتب وحدها ، فهي ثقافة نامية متجددة مستمرة ، يمكن للداعية أن يجدها في وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة ، بل يستطيع أن يتلقى معلوماته عن الواقع من مصادرها الحية المباشرة بقاء الناس ومخاطبتهم ومشاهدة أحوالهم^(١).

[٤] نبذ الجمود والتعصب : سبق أن ذكرنا أن الإمام ابن كثير رحمه الله يمتلك شخصية متحررة من الجمود الفكري والتعصب المذهبي ، مما كان له أثر طيب على علاقته بالعلماء والدعاة والمصلحين ، فمثلاً الإمام ابن القيم وابن

(١) انظر: يوسف القرضاوي (ثقافة الداعية) ص ١٤٠-١٤١ ، مرجع سابق .

عبد الهادي^(١) هما من أصحابه وأقرب الناس إليه وهما من الخنابلة، وإسحاق ابن يحيى الآمدي^(٢) من شيوخه وهو من الحنفية، وابن تيمية وابن المطعم^(٣) وابن غيلان البعلبكي والعفيف المقدسي من شيوخه وهم من الخنابلة، ومن مظاهر عدم جموده وتعصبه موافقته وتبني بعض الآراء الفقهية المخالفة لمذهبه الشافعي، كمسألة الطلاق بالثلاث بلفظ واحد، والمسح على الخفين ومسألة المناقلة في الوقف وغيرها مما سبق أن ذكرناه، مما يدل على أنه رحمه الله ينبذ الجمود الفكري والتعصب المذهب، فهو مستقل الرأي يدور مع الدليل حيث دار، وينشد الحق ولا يتعصب لمذهب ولا لشيخ ولا لطائفة، وهذا ما يتعين على الدعاة إلى الله في هذا العصر أن يستفيدوا من ذلك وينبذوا التعصب والحزبية بغير حق، ويكون همهم الحرص على الدعوة إلى الحق والأخذ به

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد شمس الدين ابن قدامه المقدسي، حافظ للحديث عارف بالأدب، أخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما، من كتبه: "العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، والمحرر في الحديث وفضائل الشام وغيرها، توفي سنة ٧٤٤هـ (الأعلام ٣٢٦/٥).

(٢) هو إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الآمدي، ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية، سمع الحديث على جماعة كثيرين، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر يحب الرواية ولديه فضيله، توفي سنة ٧٢٥هـ (البداية والنهاية ٢٦٠/١٨).

(٣) هو الشيخ الصالح المعمر عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل المقدسي الصالح المطعم، راوي صحيح البخاري وغيره وقد سمع الكثير من مشايخ عدة، توفي رابع ذي الحجة سنة ٧١٩هـ وله أربع وتسعون سنة (البداية والنهاية ١٨/١٩٧).

مهما كان قائله ومهما كان مصدره، ومما يؤسف له أن تجد بعض الدعاة في هذا العصر يتعصب لمن وافقه، فيضفي على هذه الفئة أو الجماعة (من الصفات ما يشبه القداسة أو العصمة فكل ما تقوله فهو حق وكل ما تفعله فهو جميل، وكل ما يصدر عنها فهو صواب، وكل تاريخها أمجاد وكل رجالها ملائكة، وهذا ليس بصحيح، فكل جماعة قامت لنصرة الإسلام وتجديده في العقول والأنفس والحياة والمجتمع ليست أكثر من مجموعة من المسلمين تجتهد في خدمة الإسلام وإعلاء كلمته، وهي في اجتهداتها تصيب وتخطئ وهي مأجورة على كل حال أصابت أم أخطأت فلكل مجتهد نصيب ولكل امرئ ما نوى»^(١).

وقد بلغ التعصب المذموم من بعض الدعاة في هذا «أن لا يذكر لجماعته أو لحزبه إلا المزايا والحسنات، ولا يذكر للجماعات الأخرى إلا العيوب والسيئات وأن يعظم رجال مجموعته مهما يكن منهم من تقصير أو قصور ويحقر رجال الآخرين مهما يكون فيهم من سمو في العلم والعمل وأن يفرح بأخطاء الآخرين وقد يشنع بها ويضرب بها الطبل في حين يتغاضى عن أخطاء فئته وجماعته، وإذا اعترف بها حاول أن يهون منها ويعتذر لها ويدافع عنها»^(٢).

[٥] وهناك جوانب في منهج ابن كثير يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر فيما يتعلق بموهلات الداعية: مثل التصور الشمولي والمتكامل في الدعوة عند ابن كثير فاشتملت دعوته على نواحي الدين كله، في العقائد والعبادات

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ليوסף القرضاوي ص ٢١٩،

طبعة دار الصحوة بالقاهرة، ط ١٤١١ هـ.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠.

والأحكام والأخلاق والآداب والسلوك وهذا ما يتعين على الدعاة في هذا العصر أن يكونوا عليه في دعوتهم إلى الله، وهو دعوة الناس إلى الإسلام كافة كما قال سبحانه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١)، قال ابن كثير: «يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»^(٢).

والملاحظ على الدعاة في هذا العصر «إغفال أكثرهم الاهتمام بأصول الدين وفرائض الإسلام أو إعطائها أقل مما تستحقه من الاهتمام والعناية، مع العلم أنها هي مفاتيح الخير والصلاح وهي مغاليق الشر والفساد، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والبدع ووسائلهما ونحو ذلك من الأصول»^(٣).

ومن الجوانب المهمة في منهج ابن كثير الدعوي التي يمكن أن يستفيد منها الداعية في هذا العصر فيما يتعلق بمؤهلات الدعوة مراعاة الفروق الفردية بين المدعويين، ومخاطبتهم ودعوتهم بما تبلغه عقولهم وتدركه فهمهم، وهذا ما أكد عليه ابن كثير ولفت النظر إليه؛ لأن الله سبحانه وتعالى كما قال ابن كثير: «فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول

(١) سورة البقرة، الآية [١٠٨].

(٢) التفسير ٣٠٨/١.

(٣) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها لناصر العقل ص ٨٠، مرجع سابق.

والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة»^(١) ، فالدعاة إلى الله في هذا العصر لا بد أن يراعوا هذا الأمر ويتنبهوا له ، ودعوة الناس والحديث إليهم بما يعرفون له جانبان :

الأول : يتعلق بأسلوب الخطاب فيكون سهلاً وواضحاً وبعيداً عن التعقير والتكلف ، والبحث عن الألفاظ الغريبة.

والثاني : يتعلق بمضمون الخطاب ، فليس كل ما يعلم يقال ، والعامّة إنما يدعون للأمور الواضحة من الكتاب والسنة وما لا يسع الناس جهله ، وما يكلفون بعلمه أمر نسبي يختلف باختلاف الناس ، وهو في دائرة العامة أوسع منه في دائرة طلبه العلم ، وتحديث الناس ودعوتهم إلى ما يشكّل عليهم فهمه ، أو لا تدركه عقولهم وفهومهم يخشى أن ينزلوه غير تنزيله ويتأولوه غير تأويله ، يقول الحافظ ابن حجر في شرحه لخبر علي عليه السلام ^(٢) : «ومن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصته العرنين ؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمد منه من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي»^(٣).

[٦] ومما يستفيدة الدعاة في هذا العصر من منهج ابن كثير الدعوي في مؤهلات الداعية هو الصفات الحميدة التي كان يتحلى بها الإمام ابن كثير

(١) التفسير ١/ ١٥٠ .

(٢) وهو قوله : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

(٣) ابن حجر (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ١/ ٢٧٢ ، وانظر : محمد الدرويش (تأملات في العمل الإسلامي) ص ٩٣-٩٤ ، طبعة مطابع البيان بالرياض ، ط ١٤٢٢ هـ.

رحمه الله، والتي كان لها أكبر الأثر في قبول الناس له وانتفاعهم بعلمه وتأثرهم بدعوته، وهذه الصفات هي بمثابة الدروس القيمة للداعية المعاصر يستفيد منها ويُقَوِّمُ بها أخلاقه ويحاسب بها نفسه، ومن هذه الصفات الحميدة: الصدق: وهو كما قال ابن كثير: «خصلة محمودة... وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق، ومن صدق نجا»^(١).

وكذلك التواضع: وهو من صفات المؤمنين كما قال ابن كثير: «من صفات المؤمنين الكَمَلُ أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، ومعتزاً على خصمه وعدوه»^(٢).

ومن هذه الصفات الترفع عن اللغو: واللغو هو كما قال ابن كثير: «ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال»^(٣).

وكذلك محبة الآخرين والحرص على نفعهم: فالمؤمن الصادق والداعية المخلص هو الذي يحب الناس ويحرص على نفعهم في كل وقت وحين، فهو كما قال ابن كثير: «عن قتادة لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً»^(٤)، وكذلك حسن الظن بالآخرين والتماس العذر لهم، وهذه الصفة من الصفات التي كان يتحلى بها ابن كثير ويتصف بها، وقد مر معنا بعض المواقف التي تدل

(١) التفسير ٦٠٠/٣.

(٢) المرجع نفسه ٩١/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٠٠/٣.

(٤) المرجع نفسه ٦٩٧/٣.

على ذلك، وليست هذه الأخلاق فحسب هي التي يمكن أن يستفيد منها الداعية المعاصر من منهج الإمام ابن كثير في الدعوة إلى الله، بل غيرها كثير مما لا مجال لتفصيله، كالصبر، والترفع عن اللغو، والقصد، والاعتدال ونحوها.

الخاتمة

2010年10月10日
星期五

الخاتمة

وتشمل:

أولاً: النتائج:

[١] إن ابن كثير رحمه الله سلك في تفسيره للقرآن منهجاً يعتبر أحسن المناهج لتفسير القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن أولاً ثم بالسنة...، ولذلك صار تفسيره من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها.

[٢] لم يكن تفسير ابن كثير مختصراً لتفسير ابن جرير الطبري كما يتصوره بعض الناس، وذلك لاختلاف منهجيتهما ولأن ابن كثير له موارد كثيرة رجع إليها في تفسيره غالباً هي مما جاء بعد ابن جرير.

[٣] تبين لي من خلال البحث أن ابن كثير رحمه الله تعالى لم يكن حافظاً ومحدثاً وفقهياً ومؤرخاً وعالمياً فحسب بل هو إلى جانب ذلك يعتبر من أعلام التربية ومشاهير الدعاة ومن الرواد المصلحين.

[٤] إن منهج ابن كثير الدعوي من خلال تفسيره القرآن العظيم تميز بالشمول والتكامل في مضمون الدعوة والتنوع في أصناف المدعويين والعناية بتوجيه الدعاة والتعدد في وسائل الدعوة وأساليبها.

[٥] تبين لي من خلال البحث أن ابن كثير رحمه الله استخدم المناهج الدعوية المختلفة، فأحياناً يستخدم المنهج العاطفي وأحياناً المنهج العقلي وأحياناً المنهج الحسي وذلك حسب موضوع الدعوة وحال المدعويين.

[٦] إن ابن كثير رحمه الله يمتلك شخصية علمية متحررة من التعصب الفكري والجمود المذهبي، وهو ما يجب أن يكون عليه العلماء والمصلحون والدعاة إلى الله.

ثانياً: التوصيات:

[١] أوصي الدعوة إلى الله أن يستفيدوا من منهج ابن كثير رحمه الله في الدعوة إلى الله وهو ما بينته مفصلاً في الباب الثالث من هذا البحث.

[٢] أوصي أقسام التربية وعلم النفس والاجتماع في الجامعات العربية والإسلامية أن تُعنى بالدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية للإمام ابن كثير، وهي دراسات قيمة وعميقة سواء كانت في تفسيره أو في تاريخه البداية والنهاية.

[٣] أوصي أقسام علوم القرآن وتفسيره في الجامعات العربية والإسلامية أن يعتنوا بتفسير ابن كثير دراسة وتحقيقاً، لأن الجهود الفردية المبذولة في ذلك - وهي قيمة ومشكورة - لم تصل إلى المستوى اللائق بهذا السفر الجليل.

[٤] أوصي الدعوة إلى الله جماعات وأفراداً ومؤسسات أو حكومات أن يتأسوا بمنهج ابن كثير القائم على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

وتشمل:

- [١] فهرس الآيات.
- [٢] فهرس الأحاديث.
- [٣] فهرس الآثار.
- [٤] فهرس الأعلام.
- [٥] فهرس المصادر والمراجع.
- [٦] فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٥٣٢ ، ٣٦١ ، ٢٢٣
﴿إِنَّا لَكَ نَتَّعِدُ وَإِنَّا لَكَ نَسْتَعِيرُ﴾	٥	٥٦٩ ، ٣١٠
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٥٧٠
سورة البقرة		
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	٢٢٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١١	٥٤٠ ، ٣١٦
﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾	٢١	٤٠١ ، ٢٩٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	٢٦	٢١٠
﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	٢٦	٢٠٦
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾	٣٠	٥١٣
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٢٨٧ ، ١٩٢
﴿يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	٤٠	٥٥٢
﴿وَأَرْكَمُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	٤٣	٤٥٥
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾	٤٤	٤٧٤
﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا آيَاتِهِمْ﴾	٤٦	٢٠٦
﴿يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٤٧	٥٥٣
﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾	٤٩	٦٨
﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٥٧	٢٧٥
﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾	٦٦	٦٣٢
﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٢٠٤
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	٧٩	٢١٠
﴿وَوَيْلٌ لِلْقُرُونِ الَّتِي نَسُوا﴾	٨٣	٢٠٦

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	٦٣٢
﴿وَقَالُوا أَفَلَوْبُنَا غُلْفٌ﴾	٨٨	٢٨٨
﴿فَتَعْلَمُونَ مِنْهُمْ مَا يُفْرُقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ	١٠٢	٥٣١ ، ٣٤٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا﴾	١٠٤	٥٥٣ ، ٢٤٤ ، ٢٣٨
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	١٠٦	١٤٩
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠٧	٣٦٢
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾	١٠٨	٧٤٤
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	١٠٩	٥٥٤
﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١١٢	٣١٢
﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	٥٢٣ ، ٣٠٧
﴿وَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ أَهْوَاءَهُمْ﴾	١٢٠	٥٥٣
﴿وَإِذْ أَنْتَنَّىٰ إِبْرَاهِيمَ عَمْرَأَتُهُ بِكَلِمَاتٍ﴾	١٢٤	٦١٦
﴿وَعَوَّذَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمِعِيلَ﴾	١٢٥	٧٩
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ﴾	١٣٢	٦٨٧
﴿صَبِغَةً اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِمَّنْ اللَّهُ صَبِغَةً﴾	١٣٨	٢١١
﴿قُلْ أَنَحَا جُؤُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا﴾	١٣٩	٦٣٦
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	٧٢٧
﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾	١٤٣	٢٧٦
﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرُقُونَهُ كَمَا يَفْرُقُونَ﴾	١٤٦	١٧٠
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾	١٥١	٤٩١
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	١٥٤	٢٣٨
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	١٥٨	٢٢٨ ، ٦٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾	١٥٩	٩٩
﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ ۖ جَدَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٦٣	٤٠٣
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٦٤	١٧٩

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	١٧٢	٣١٦
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾	١٧٣	٨٧
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ﴾	١٧٧	٤٠٨، ٣٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾	١٧٨	٢٨٨
﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾	١٧٩	٢١٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٤٦٠
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٧٢٧، ٤٥٩
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾	١٨٦	٥٨٧
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾	١٨٧	٦٥
﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾	١٩٦	٤٦١، ٢٠٧
﴿وَتَزِدُّوا إِفْرَادَ النَّفَقَى﴾	١٩٧	٤٦٤، ١٣٧
﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾	١٩٨	٢١١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْخُلُوا فِي الْيُسْرِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٥٤٨
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾	٢١٠	٤٤٤
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾	٢١٦	٤٦٩
﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾	٢١٧	٦٩٨
﴿أَوَلَيْسَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّارِ الَّذِينَ عُوا إِلَى الْجَنَّةِ﴾	٢٢١	٩٤
﴿نَسَاؤُكُمْ حَزَنٌ لَكُمْ﴾	٢٢٣	٣٦٨
﴿وَلَا تَحِجِلْ مَنْ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾	٢٢٨	٣٤٩، ٣٤٣، ٣٤١
﴿وَلَا تَمْسِكُوهُمْ ضُرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾	٢٣١	٣٤٧، ٣٤٦
﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾	٢٤٨	٢٠٣
﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾	٢٥٥	٦٨٥، ٤٦
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٦	٧٢٨
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي دِينِهِ﴾	٢٥٨	٦٣٩، ٤٠٧
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾	٢٦٩	٦٢٧، ١٣٧
﴿وَإِنْ كَانَتْ دُوعُسْرَةٌ فَنُفِثَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾	٢٨٠	٤٦٦

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَأَشْهِدُوا ذُنُوبَكُمْ﴾	٢٨٢	٢٤٠
﴿فَتَذَكَّرْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ﴾	٢٨٢	٤٦٦
﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِ﴾	٢٨٥	٤٣٠
سورة آل عمران		
﴿نَزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾	٣	٤٢٥
﴿كَذَّابٌ إِلَىٰ قَرْعُونَ﴾	١١	٦٨٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾	٢٣	٥٥٠
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾	٢٨	٦٨٣ ، ٥٥٩
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾	٣٠	١٢٤
﴿وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾	٣٦	٣٣٩
﴿قُلْ إِنَّمَا هَلْ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَ سَوَاءٍ﴾	٦٤	٥٤٩
﴿هَئَانَتْ هَؤُلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾	٦٦	٧٢٨ ، ٦٣٧ ، ٥٦٧ ، ٣٨٢
﴿وَدِدْتُ طَائِفَةً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضِلُّونَ﴾	٦٩	٥٥٤
﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	٧٨	٤٢٦
﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾	٨١	٥٤٩
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾	٩٧	٤٦٢ ، ٤٦١
﴿يَتَأَيُّبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقِّ ثِقَابِهِ﴾	١٠٢	٤٩٩
﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٥٨٧ ، ٣١٣
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٦٨٦
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	٤٧٦ ، ٤٧٣ ، ٩٧
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٦٤ ، ١٠٢
﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَاطِلًا﴾	١١٨	٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٢٠
﴿إِنْ تَقَسَّيْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ﴾	١٢٠	٥٤٢
﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٢٩٧
﴿لَتَنبِيئُهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ﴾	١٨٧	٣٨٢

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	١٩٠	١٣٧
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	١	٢٣٩، ٢٣٠
﴿ذَلِكَ أَتَى أَلا تَعْلَمُوا﴾	٣	٦٥٣، ٢٢٥، ٢٢٤، ١٢٨
﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتٍ مِّمَّا مَلَكَتْهُنَّ﴾	٤	٣٤٦
﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾	٥	٣٤١
﴿لِلزَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾	٧	٣٤٥
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾	١٤	١١٥
﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾	١٩	٣٤٦
﴿وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١٩	٣٤٨
﴿وَخَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٣٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾	٢٩	٤٦٥
﴿الزَّجَالِ قَوْمٌ عَلَى النِّسَاءِ﴾	٣٤	٣٤٣
﴿فَالصِّلْهُنَّ فَتَبَيَّنَتْ حَبِطَ لَهَا فَلَاحُ لَيْلٍ﴾	٣٤	٣٥١
﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾	٣٤	٣٤٨
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاخْتَرَفُوا الْكَلِمَ﴾	٤٦	٢٣٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾	٤٧	٥٥٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	٤٨	٥٥٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ءَلَا تُنْفَسُوا إِلَى أَهْلِهَا﴾	٥٨	٥١٦، ٩١
﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾	٥٩	٥١١، ٥٠٦، ٣٠٦، ١٢٣، ١٢٢، ١١٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾	٦١	١٢٢
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٦٣	٥٤٥
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٦٥	١٢٠
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾	٦٦	٣٧٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾	٧٧	٤٦٩
﴿أَتَيْتُمَا تَكُونُوا بَذَرِكُمْ ءَلَمَوْتَ﴾	٧٨	٨٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾	٨٧	٤٠٣
﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾	١٠٢	٤٥٥ ، ٤٥٣
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٢٤	٣٥١
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾	١٢٥	٣١٢
﴿فَعَبَدَ اللَّهُ نِوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾	١٣٤	٣٧٨
﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾	١٣٦	٢١٣
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٣٦	٦٠٦ ، ٤٩٩
﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾	١٣٩	٦٨٧
﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْلًا﴾	١٤٢	٥٤١
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾	١٥٢	٤٢٩
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	١٥٩	٤٤٤
﴿وَهُوَ اتِّينَادُ أَوْ دَرِّيُورٌ﴾	١٦٣	٤٢٦
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	١٦٥	٥٧٢ ، ١٠٠ ، ٩٩
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يُكُونَ عَبْدُ اللَّهِ﴾	١٧٢	٤١٥
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾	١٧٦	٦٤٥
سورة المائدة		
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ﴾	٢	٣٦٩
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾	٣	٢٩٥ ، ٢١٢
﴿وَالْمُرْتَدَّةُ وَالنَّطِيجَةُ﴾	٣	٢٠٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾	٦	٥٣٤ ، ١٥٦
﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ﴾	٦	٢٢٦
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	١٢	٥٣٤ ، ٣٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿يَأْتِ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ﴾	١٥	٥٧١ ، ١٥٤
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	١٥	١٥٤
﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾	١٦	٥٧١ ، ١٥٤
﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾	٢٢	١٥٥ ، ٨٠
﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾	٢٤	٢٧٦
﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	٢٦	٥٧٦
﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾	٣٥	٤٦٨
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾	٣٨	٦٥
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا﴾	٤٨	١٨٦
﴿لِّكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ بَرَعَةً وَبَيْنَهَا جَا﴾	٤٨	٤٥١ ، ٤٣٢
﴿أَفَحُكْمَ الْجَبِلِيَّةِ يَنْتَوْنَ﴾	٥٠	٦٨٤ ٣٠٦ ، ٢٤٥ ، ١٢٦ ، ٤١
﴿يَقُولُونَ خُفِّىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾	٥٢	٥٤٣
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾	٥٤	٤٧٧ ، ٩٨
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾	٥٧	٦٨٣
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾	٦٥	٥٥١
﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾	٧٢	٥٥٦
﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	٧٧	٦٠٦
﴿فَعِزَّاءٌ يُقْتَلُ مَا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ﴾	٩٥	٤٨٨
﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾	٩٦	٨٧
﴿قُلْ لَا يَسْخَرُ الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾	١٠٠	٤٦٦
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾	١٠١	٣٨٣
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	١٠٥	٧٢٩ ، ٣٧٨
سورة الأنعام		
﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾	٣	٥٣٣ ، ٢٢١
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾	٧	١٨٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّائِ الْمُرْسَلِينَ﴾	٣٤	٦١٦
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٤٨	١٠٠
﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾	٥٠	٤٣٣
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾	٦١	٤١٢
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَابِئِنَا﴾	٦٨	٥٠٠
﴿قُلْ أُنذِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾	٧١	٥٠١، ٣٧٨
﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ﴾	٨٠	٦٣٩
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾	٨٣	٦٣٩
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	٨٨	٥٥٦، ٣٩٤
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾	٩٠	٦١٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	٩٣	٤١٤
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ﴾	١٠٣	٥٢٨، ١٦٢
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا﴾	١١٥	٦٩٣، ٢٩٥، ١٧٨
﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٢٥	١٦٤
﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	١٤١	١٤٣
﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ أُودَةٍ مُسْفُوحًا﴾	١٤٥	٦٥٣
﴿وَأَنْ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾	١٥٣	٣٨١، ٨٩
﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾	١٥٦	٥٤٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَّعُوا دِيهَنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا﴾	١٥٩	٣٢٧
﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُنِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٦١	٨٧
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾	١٦٢	٤٣١
﴿قُلْ أَعْلِمَ اللَّهُ أَتَنِي رَبِّي﴾	١٦٤	٥٨١
﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾	١٦٥	٣٧٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾	١٠	٢١٢
﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْجَدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾	١٢	١٦٣
﴿وَأَيُّمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٢٩	٥٨١
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	٦٠٧، ١٤٣
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَابِ رِجَالٌ﴾	٤٦	٢٨٨
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٥٤	٣٠٠
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾	٥٦	٣١٥
﴿أَتُحَدِّثُونَ فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾	٧١	٦٣٦
﴿وَالِلَّيْلِ مَذِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	٨٥	٩١
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ ابْنِي رَسُولَ اللَّهِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٠٤	٦٤٠
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	١٤٣	٥٣١
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾	١٤٦	٥٩٩
﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾	١٥٠	١٨١
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنُاسُهُمْ غَضَبٌ﴾	١٥٢	٣٢٧
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾	١٥٧	٥٥٠
﴿قُلْ يَتْلُوهَا النَّاسُ ابْنِي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٤٩٥
﴿وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ﴾	١٦٧	٥٧٣
﴿وَأَنْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَهُ﴾	١٧٥	٨٣
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	١٨٠	٢٣٧
﴿مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾	١٨٦	٥٣٢
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	١٨٧	٤٣٩
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٤٨٨، ٣٧٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾	٢٠١	٥٠٠

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا ﴾	٢	٣٠٣
﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٢	٥٨٧
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٢٢	١٤٥ ، ٢٩٩ ، ٣٩٥ ، ٥٤٤
﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾	٢٣	٢٩٩
﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لِحَرَجٍ ﴾	٢٩	٥٨٦ ، ٣١٣
﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾	٣٦	٥٥٨
﴿ كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾	٥٢	٦٨٨
﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾	٦٠	١٧٠
سورة التوبة		
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يَغْنِيكُمْ اللَّهُ ﴾	٢٨	٢٢٤
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾	٢٩	١٥١
﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾	٣٢	٥٥٩
﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِِنْ كَثُرَ مِنْ أَلْخَبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾	٣٤	٥٠٧
﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦١	٣٠٢
﴿ الْمُتَنِفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾	٦٧	٤٧٦
﴿ يَأْتِيهِمُ النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾	٧٣	٦٢٩ ، ٥٤٥
﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾	١٠٠	٢٨٠ ، ٢٦٤
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾	١٠٣	٤٥٧ ، ١٥٨
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ﴾	١٠٤	٦١١
﴿ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾	١١٢	٢٤٤

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	٥٨٢
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾	١٢٣	٣١٩ ، ٢١٩
سورة يونس		
﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٢٩	٥٥٧
﴿ وَتَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	١٠٠	١٦٤
﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٠١	١٣٨
سورة هود		
﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا زَكَّرْتُمْ تَوْبُوا إِلَيَّ ﴾	٣	٦١٢
﴿ وَلَئِنْ أَدْخَلْنَا آلَ نٰسِئْنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾	٩	٣٧٦
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ ﴾	٢٣	٢١٨
﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾	٢٧	١٥٩
﴿ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾	٤٤	٨٣
﴿ وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾	٥٢	٦١٢
﴿ إِنِّي نَوَّكْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾	٥٦	٣٠٠
﴿ وَتِلْكَ ءَادٌ جَعَدُوا بِأَنِّي رَبِّهِمْ ﴾	٥٩	٦٩٢ ، ٣٠٥
﴿ قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ ﴾	٦٩	٢١٥
﴿ فَبَشِّرْنَهَا بِلِسْحَقٍ ﴾	٧١	١٥٠
﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴾	٨٨	٤٧٤
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَبْتَغُونَ عَنِ الْفَسَادِ ﴾	١١٦	٤٧٥
﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾	١١٦	٤٧٦ ، ٩٨
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	١١٨	٣٨٠
سورة يوسف		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾	٢	٢٠٠ ، ٩٢
﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾	١٧	٣٠٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾	٢٠	٢٢٠
﴿ يَنْصَحِي النَّجْمَ أَزْنَابٌ مُتَفَرَّقُونَ ﴾	٣٩	٥٩٠
﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَايِنِ الْأَرْضِ ﴾	٥٥	٥٩٠
﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	٥٨	١٧٠ ، ١٦٩
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٠٥	١٣٨
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾	١٠٨	٦٩٧ ، ٥٦٦
﴿ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٠٨	٢٩٨
سورة الرعد		
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾	٦	٥٧٢
﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾	٧	٧٢٥
﴿ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِنْ يَمِينٍ وَيَمِينُ خَلْفِهِ ﴾	١١	٤١٢
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	٦٨٩
﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦	٣٩٣
﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾	٢٣	٤١٧
﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	٢٢٢
﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٥	٤٤٧
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾	٣٧	٥٠٩ ، ٣٢٩
﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾	٤٠	٧٢٥
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾	٤١	٥٠٦ ، ٢٨٧ ، ٦٧
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ ﴾	٤	٢٤١
﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾	٢٧	٤٣٧
﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾	٣١	٤٥٤
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٤٢٧ ، ١٨٦ ، ١٧٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	١٤	١٨٣
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَلٍ ﴾	٢٦	٦٤
﴿ بَيْنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	٤٩	٥٧٣
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾	٩٧	٥٨٥
﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	٥٣٦
سورة النحل		
﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾	٩	٤٢٧ ، ١٨٦ ، ١٨٣
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ﴾	٥٨	٣٣١
﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾	٦٤	١٢١
﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	١٤٢
﴿ وَاللَّهُ أَحْرَجَكُمْ مِّن بَطُونٍ أَمْهَنِيَكُمْ ﴾	٧٨	٣١٢ ، ١٧٨ ، ١٤٤ ، ١٤١
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾	٨٩	١٨٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾	٩٠	٤٨٤
﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِكُلِّ يَوْمٍ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا وَاسْجُدُوا لِلَّهِ رَبِّكُمُ الْكَرِيمَ ﴾	٩٢	٥٥٧ ، ١٥٧
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِعِمَّتِ ﴾	١١٤	٨٧
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ﴾	١١٦	٦٨٥ ، ٣٢٦ ، ١٥٩
﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾	١٢٥	٦٣٠ ، ٦٢٩
﴿ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	١٢٥	٦٣٧ ، ٦٢٩
﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	١٢٧	٥٨٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٣١٤
سورة الإسراء		
﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴾	٢٥	٢١٤
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	٢٩	٦٠٥ ، ٢١٧
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِتْلُوا ﴾	٣١	٣٤٥
﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴾	٣٦	١٤١
﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾	٣٩	٤٨٥

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾	٥٧	٣١٠
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ﴾	٧٠	٤١٥
﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا﴾	٨٠	٥١٢
﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾	٨٣	٣٧٧
سورة الكهف		
﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾	٥	٨٩
﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعَ نَفْسِكَ﴾	٦	٤٣٥
﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾	١٠	٧٠٥
﴿وَإِذَا غَرَّتْ تُفَرُّهُمْ﴾	١٧	٥٣٢
﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾	١٧	٥٩٧
﴿وَكَلْبُهُمْ بِسِيطٍ ذَرَأَهُ بِالْوَصِيدِ﴾	١٨	٨٩
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	٣٨١
﴿فَقَالَ لَصَّحَبِيهِ هُوَ مِثْلُ بَرْدٍ﴾	٣٤	٦٣٦
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ﴾	٣٥	٣٧٩
﴿لَيْكُنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾	٣٨	٢٢٢
﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾	٣٩	٣٦٥
﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ﴾	٦٦	٥٩٦
﴿إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾	٨٤	٣٦٧
﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾	٨٤	٩٠ ، ٨١
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	١٠٣	٢٩١
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾	١١٠	٥٨١ ، ٣٩٤
سورة مريم		
﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾	١٣	٦٨
﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾	٥٤	٥٨٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾	٥٩	٢١٨
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾	٦٢	٦٠٢
﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾	٩٠	٢٩٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٩٦	٣١٤
سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	٤٠٧
﴿أَذْهَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	٤٣	٥٧٠ ، ٤٨٩
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ﴾	٤٤	٥١٧ ، ٤٨٩
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعَى﴾	٥٤	١٤١
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ﴾	٨٢	٤٩٩
﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ﴾	١٢٤	٦٩٣
سورة الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	١٤٩
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾	٢٦	٤٠٨
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَّحْفُوظًا﴾	٣٢	٤٠٣
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾	٦٠	٥٩٦
﴿وَنَحْنُ لَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	٧١	٤٤٢
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ﴾	٨٧	٥٧٠
سورة الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	٣	٣٢٥ ، ١٥٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾	٨	٣٢٦ ، ١٦٤
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَثَامُوا الصَّلَاةَ﴾	٤١	٥١٥
﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِن حَرْجٍ﴾	٧٨	٧٢٧ ، ٤٦٨ ، ٣٠٩
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾	٣	٦٠١
﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٥١	٣١٦

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَإِنْ هَدَيْتُمْ أَهْلَ مَدْيَنَ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ جُفَاءً فَمَا يَتَّبِعْكُمْ مِنْكُمْ أَبَدًا ثُمَّ يَقُولُوا هَذَا مَا لَمْ نَدْعُهُمْ لَمَّا قُدِرَ عَلَيْهِمْ جُنُودُهُمْ وَإِنَّ أَهْلَ مَدْيَنَ لَخَالَفَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا تَبَتَّلْنَا بِهَذِهِ آيَاتِهِمْ وَإِنَّا لَظَاهِرُونَ لَهَا فَأَعْوَدُنَا إِلَى بَيْتِهِمْ وَجَعَلَ بَيْنَهُمُ الْبَيْنَ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاهْوَىٰ آلُ يُثُومَ فَمَا تَعْلَمُ لَهُمْ مَسْجِدًا وَلَا عُودًا فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَهُمْ حَرْشٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٥٢	٩٩
﴿ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ إِذْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ لِيُذْخِرُوا وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ عَذَابٌ أَفْظَىٰ ﴾	٦٨	٥٦٠
﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾	٨٨	٢٢٢
﴿ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	٩٠	٥٥٧ ، ١٥٧
﴿ أَذْفَعُ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيْفَةِ ﴾	٩٦	٥٦١ ، ٣٧٥
سورة النور		
﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ مِنْكُمْ أَبَدًا وَمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ الْمُعَذِّبِينَ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٢	٥٢٠
﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾	٢١	٤٨٦
﴿ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلَيْهِ ﴾	٣١	٤٨٥ ، ٣٥٤
﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	٣١	٣٥٦
﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ ﴾	٣٦	٥٠٤
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ﴾	٣٧	٣٥٦
﴿ أَوْ كُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٤٠	٥٧٧
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	٥١	٥١٤
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٥٥	٤٤٠
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَشِيزَكُمْ الَّذِينَ أُوتِيَ ﴾	٥٨	٥٠٣
﴿ وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُمْ ﴾	٦٠	٣٥٤
﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾	٦٣	٤٥١ ، ١٢٥
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾	١	٢١٣
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾	٢	٤٤٨
﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغَىٰ لَنَا ﴾	١٨	١٠١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ ﴾	٢٣	٣٩٤
﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُكَ إِنْ قَوْمِي ﴾	٣٠	١١٤
﴿ فَسَقَلْ بِهِ حَبِيرًا ﴾	٥٩	١٢٣
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ﴾	٦٧	٦٠٥
﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾	٧٢	٦٠١
﴿ وَإِذَا سُرُوا بِاللُّغْوِ ﴾	٧٢	٦٠٢
﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾	٧٤	٣٦٦
سورة الشعراء		
﴿ لَعَلَّنَا نَسِيعُ السَّحَرَةِ ﴾	٤٠	٥٧٧
سورة النمل		
﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾	٣٣	٣٤٢
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَزَّيْتُكَ ﴾	٤٢	٣٤١
﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	٦٥	٤٣٤
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّذَا كُنَّا تُرَابًا ﴾	٦٧	٤٤٥
﴿ قُلْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٦٩	٤٤٦
سورة القصص		
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْوَ أَعْرَضُوا ﴾	٥٥	٦٠٢
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾	٥٦	٤٣٥
﴿ وَزَكَاتُكَ مَخْلُوقٌ مَا يَشَاءُ وَمَخْتَارٌ ﴾	٦٨	٦٥٣
﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾	٧٣	٢١٦
سورة العنكبوت		
﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾	١٦	٣١٥
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾	٢٤	٢١٩
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٣٥	١٣٧
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾	٤٠	٢١٦
﴿ وَلَا تَجْعَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٦٣٨، ٦٢٩، ٥٥١، ٤٢٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ﴾	٦١	٤٠٤
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٦٣	٥٦١ ، ٣٠٠
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	٦٩	٤٩٢
سورة الروم		
﴿وَمِنَ الْآيَاتِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٢١	٣٣٠
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	٣٠	٤٨٣ ، ٣٧٤
﴿مِنَ الَّذِينَ فُرِقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ﴾	٣٢	٣٢٨
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	٤١	٣١٥
سورة لقمان		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾	١٢	٦٣٠
﴿وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٧	٥٨٤
سورة السجدة		
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَهْمَةً يَتَذَوَّرُ بِأَمْرِنَا﴾	٢٤	٥٨٦ ، ٥٠٩ ، ٥٠٥
سورة الأحزاب		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتُوَةٌ حَسَنَةً﴾	٢١	٦١٥ ، ٦١٤
﴿يَبْسُأَتِ اللَّيْلِ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ الْنِسَاءِ﴾	٣٢	٣٥٣
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	٣٥	٥٩٩ ، ٣٥٠
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾	٣٦	٣٠٦ ، ١٢٦ ، ١١٥
﴿الَّذِينَ يُلْقُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ﴾	٣٩	٤٤٢
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	٤٠	٤٩٥
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	٥٨	٥٣٥ ، ٢٨٠
﴿يُذَيِّبُ عَلَيْهِنَ مِنْ جُلَيبِيْنٍ﴾	٥٩	٢٠٨
سورة سبا		
﴿يَسْجَالُ أَوْيَ مَعَهُ﴾	١٠	٦٥٣ ، ٢٠٩
﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾	١٥	٢٧٥

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَإِنَّا أَوْثِقُكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى ﴾	٢٤	٢١٦
سورة فاطر		
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١	٤٠٩
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُزَّ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾	٦	٤٨١
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَزَا فَلَهُ الْغَزَا جَمِيعًا ﴾	١٠	٦٨٧
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	٢٨	٥٨٣ ، ٥٠٨ ، ٤٠٥
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾	٣٢	٥٩٥ ، ٤٩٨
﴿ أُولَئِكَ يَسْمُرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنَقِبُهُ ﴾	٤٤	٥٦٢
سورة يس		
﴿ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْأُمِّيَّتِ ﴾	١٧	٤٣٦
﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْيَ يَعْلَمُونَ ﴾	٢٦	٣٦٦
﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾	٦٢	١٤٧
سورة الصافات		
﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾	٩٣	٢٠٩
﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ﴾	١٠٢	٥٠٢
سورة ص		
﴿ فَتَنَادُوا وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴾	٣	٢٠٧
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِنُطْلًا ﴾	٢٧	٣٩٣
﴿ أَمْرُ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٨	٤٤٦ ، ٣٠٥
﴿ وَلَيَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَسَ ﴾	٢٩	١٤١
سورة الزمر		
﴿ فَأَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	٢	١٠٠
﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾	٣	٥٨٠ ، ١٠٠
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَبِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾	٩	٣١٠
﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	٣٦٠
﴿ فَيُبَيِّنْ عِبَادَ ٱللَّهِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ ﴾	١٧-١٨	١٦٤ ، ١٤٥ ، ١٤٣

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٦١٢، ٦١١
﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْنَا إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٥	٣٩٤
سورة غافر		
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾	١٣	١٨١
﴿أَوَلَمْ يَسْمُرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٢١	٣٢٠
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٥١	٤٤٢
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٦٤	٤٠٣
﴿أَقْلَمَ يَسْمُرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٨٢	٣٢١
سورة فصلت		
﴿يَكْتَسِبُ فَضَلَتْ ءَايَتُهُ﴾	٣	٢٠٠
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾	٢٣	١٠٣
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا الْكَفَّةُ﴾	٣٤	٣٧٥
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٤٩٠
سورة الشورى		
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	١٠	١١٩
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٣٠٢
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾	١٣	٥٥٠، ٣٨١
﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾	١٣	٣٧٢
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾	٢١	٥٥٨
﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٢٣	٣٠٧
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ زُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا﴾	٥٢	١٨٥
سورة الزخرف		
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾	٣	٢٠٠
﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ الْجَلْدَةَ﴾	١٨	٣٣٩
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ ءَابَاءَنَا عَلَى﴾	٢٢	١٥٧

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ﴾	٢٣	١٣٨
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمُورٍ ﴾	٢٣	٦١٤ ، ٢٩٩
﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾	٨٤	٥٣٣
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾	٨٧	٥٦١
سورة الدخان		
﴿ كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٢٥	٣٩
سورة الجاثية		
﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣	١٤٢
﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٥	٣٩
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ ﴾	٢٣	١٤٦
﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾	٢٤	٣٦٢
سورة الأحقاف		
﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾	١١	٣٠٦ ، ٢٨٤
سورة محمد		
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾	٢٩	٥٤٤
سورة الفتح		
﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٨	٢٦٤
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾	٢٩	٢٧٨
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ ﴾	٢٩	٢٨٤
سورة الحجرات		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا ﴾	١	١١٣
﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾	٩	٦٨٥
﴿ وَلَا تَحْسَبُوا ﴾	١٢	٥١٨
﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَّا ﴾	١٤	٣٠٤ ، ٢٣٩
سورة ق		
﴿ قُتِّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾	١	٨١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿وَأَخِينَا بِمِدْ بِلْدَةً مِّنَّا﴾	١١	١٨٠
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾	١٦	٤١١
﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	٤١١
﴿فَتَقَبَّوْا فِي الْبَلَدِ﴾	٣٦	٢٠٥
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾	٤٥	٢٠٩
سورة الذاريات		
﴿فَالْمُفْتِمَسَّتْ أَمْرًا﴾	٤	٤١٦
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾	٧	١٦٠
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٠	٣٧٧
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	١٣٨
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا﴾	٢٥	٢١٦
﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٣٥	٥٣١
﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَشَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٦	٣٠٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٥٢ ، ٣٩٣
سورة الطور		
﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾	٤٤	١٨٤
سورة النجم		
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾	١٣	٣٦٣
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا﴾	٢٣	٢٤٨
﴿وَيَحْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾	٣١	٦٠٩
سورة القمر		
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْبُدْرِ﴾	٣٣	٤١٤
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	٤٧	٣٩٥ ، ٣٢٩
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٤٤٨ ، ٣٠٥

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الرحمن		
﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَلٍ كَافَخَارٍ ﴾	١٤	٦٤
﴿ تَبَرَّكَ أَتَمَّ رَبِّكَ ﴾	٧٨	٢٣٨
سورة الواقعة		
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾	٢٥	٦٠٢
﴿ فَسَيَحِبُّكُمْ رَبُّكَ بِالْعَطِيمِ ﴾	١٦	٢٣٧
سورة الحديد		
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٢	٤٤٨
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾	٢٥	٥١٣
سورة المجادلة		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾	١٤	٥٣٢
سورة الحشر		
﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾	٧	١١٣
سورة الممتحنة		
﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾	١٠	١٧٠
سورة الصف		
﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾	١٤	١٠١
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾	٢	١٠٢
سورة المنافقون		
﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾	٢	٥٤٢
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾	٣	٥٤٤
سورة التغابن		
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾	١١	٣٠٥
سورة الطلاق		
﴿ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾	١	٣٤٨

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	١٠	١٤٥
سورة التحريم		
﴿ عَلَيْهَا مَلَيْكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾	٦	٥٠٤، ٤١١
﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَبَوُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	٨	٦١٣
﴿ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾	١٢	٣٤٣
سورة الملوك		
﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾	٢٣	١٧٩
سورة القلم		
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾	٣	٤٧٨
سورة المعارج		
﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾	١٩	٤٩٠
سورة نوح		
﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾	٨	٥٩١
﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾	١٥	١٨٤
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾	٢٦	٨٠
سورة المدثر		
﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكَةً ﴾	٣١	٤١٠
سورة القيامة		
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾	١٧	١١٠
﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾	٢٢	٥٢٨
سورة الإنسان		
﴿ وَلَا تَطْغَبْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ءَاكُفُورًا ﴾	٢٤	٢٠٤
سورة النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴾	٢ - ١	٤٢٨
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَّاجًا ﴾	١٤	٢٠٩

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا﴾	٣٥	٦٠٢
سورة النازعات		
﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾	٥	٤١٦
﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾	٢١	١٧٢
سورة عبسى		
﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾	٨	٥٩٢ ، ٣٦٧
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾	١٥	٤٠٩
سورة الإنفطار		
﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾	١٠	٤١٣ ، ٤١١
سورة المطففين		
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	٥٢٨
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحْ أَشْرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	١	٦٠٠
﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾	٩	٥٧٩
﴿فَذَاقْ لِحَمَلٍ مِّنْ تَرْكَى﴾	١٤	٤٩١
سورة الفاشية		
﴿إِنَّا إِلَهَانَا إِيَّاهُمْ﴾	٢٥	٢١٥
سورة الفجر		
﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ	٢ - ١	٣١٠
﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ﴾	٥	١٤١ ، ١٤٠
﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾	٧	٢٢٦
﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾	٨	٢٢٦
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾	٧	٣٧٤
﴿فَأَلَمَتْهَا جُؤْرَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	٨	٦٩٠ ، ٤٨٣
﴿فَذَاقْ لِحَمَلٍ مِّنْ زَكَّاهَا﴾	٩	٤٩١

الآية	رقمها	الصفحة وتكرارها
سورة الليل		
﴿لَا يَصْلِيْهَا إِلَّا الْآسَفُ﴾	١٥	٢٢٤
سورة الضحى		
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ زُكْرًا فَتَرْضَى﴾	٥	٣٠٧
سورة التين		
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	٦	٣٠٣
سورة العلق		
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	٥٩٤
سورة القدر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١	٥٣٦
﴿تَنْزِيلَ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا يُلَاقِذُنْ رَيْمٍ﴾	٤	٤١٣
سورة البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	٥	٧٣٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ	٧	٤١٥
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَسِرٍ﴾	٢ - ١	٥٨٥
سورة الماعون		
﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْ ۝ وَيَتَعَوَّنَ الْمَاعُونَ﴾	٧ - ٦	٥٩٠
سورة الكوثر		
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	٢١٨

فهرس الأحاديث

م	الحديث	التكرار
[١]	ابدأ بما بدأ الله به.....	٢٢٨
[٢]	أتدرون من المفلس.....	٢٣٩
[٣]	اتقوا الدنيا واتقوا النساء.....	٣٥٢
[٤]	اجتنبوا السبع الموبقات.....	٦٠٨
[٥]	استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق.....	٣٥٥
[٦]	إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً.....	٣٥٧
[٧]	أرايتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة.....	٢٦٢
[٨]	إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان.....	٥١٩
[٩]	إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس.....	٥١٨
[١٠]	إن العلماء ورثة الأنبياء.....	٥٠٥
[١١]	إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة.....	٥١٧
[١٢]	إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل.....	٣١٤
[١٣]	إن الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك.....	٤٤٣
[١٤]	إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً.....	٨٠
[١٥]	إن الله قسم بينكم أخلاقكم.....	٤٩٠
[١٦]	إن الله لم يخلق داء إلا خلق له دواء.....	٤٤٤
[١٧]	إن الله مع الحاكم ما لم يجر.....	٥١٦
[١٨]	إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها.....	٤٨٤
[١٩]	إن الله يرضى لكم ثلاثاً.....	٦٨٦
[٢٠]	إن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه.....	٣٣٩
[٢١]	إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة.....	١٨٢
[٢٢]	إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله.....	٤٩٠

م	الحديث	التكرار
[٢٣]	إن لله تسعاً وتسعين اسماً	٢٣٧
[٢٤]	إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء	٤١٣
[٢٥]	إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم	٥١٧
[٢٦]	إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم	٥١٨
[٢٧]	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب	٥٧٤
[٢٨]	آيئون تائبون لرئيسنا حامدون	٢١٥
[٢٩]	آية المنافق ثلاث	٥٤١
[٣٠]	أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٣١٦
[٣١]	أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج	٤٦٢
[٣٢]	بشرا ولا تنفرا يسرا ولا تعسرا	٣٠٩
[٣٣]	بعثت بالحنيفية السمحة	٣٠٩
[٣٤]	بم تحكم قال بكتاب الله	١١٤
[٣٥]	بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة	٤٥٥
[٣٦]	بيننا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء	٢٧٦
[٣٧]	تعافوا الحدود فيما بينكم	٥٢٠
[٣٨]	ثلاث من كن فيه كان منافقاً	٥٧٤
[٣٩]	جنبوا مساجدكم صبيانكم	٥٠٤
[٤٠]	خرجنا مع رسول الله في جنازة رجل من الأنصار	٤٣٧
[٤١]	خير القرون قرني ثم الذين يلونهم	٢٦٤
[٤٢]	إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله	٤٩٠
[٤٣]	خير الناس امرأة إذا نظرت إليها سرتك	٣٥١
[٤٤]	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٣٤٩

م	الحديث	التكرار
[٤٥]	رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ	١٣٩
[٤٦]	رفعت وعسى أن يكون خيراً	٥٣٦
[٤٧]	سابقني رسول الله فسبقته	٣٤٩
[٤٨]	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً	٥٣٧
[٤٩]	صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها	٣٥٦
[٥٠]	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر	٥٨٣
[٥١]	العهد الذي بينا وبينهم الصلاة	٤٥٥
[٥٢]	فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك	٤١٠
[٥٣]	قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض	٤٤٩
[٥٤]	قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينه	٥٧٨
[٥٥]	القلوب أربعة	٥٧٥
[٥٦]	كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت	٣٥٥
[٥٧]	كل مولود يولد على الفطرة	٤٨٣
[٥٨]	كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا	٣٤٣
[٥٩]	لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم	٢٦٤
[٦٠]	لا تقولوا للعب الكرم ولكن قولوا الحبله	٢٤٤
[٦١]	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٤٤٥
[٦٢]	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٣٥٣
[٦٣]	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية	٤٦٩
[٦٤]	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	٥١٩
[٦٥]	لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً	٤٤٠
[٦٦]	لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد	٣٥٥
[٦٧]	لقد خبت وخسرت إن لم يكن أعدل	٥٢٥
[٦٨]	اللهم اهْدِنِي لأحسن الأخلاق	٤٩٠

م	الحديث	التكرار
[٦٩]	فإن كل محدثة بدعة	٥٢٤
[٧٠]	ما أنا عليه وأصحابي	٣٢٩
[٧١]	ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة	٥٢١
[٧٢]	ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء	٣٥٢
[٧٣]	ما من مولود يولد إلا على الفطرة	٣٧٤
[٧٤]	ما نقصت صدقة من مال	٥٩٨
[٧٥]	مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين	٥٨٩ ، ٥٠٤
[٧٦]	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله	٥١٤
[٧٧]	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	٩٧
[٧٨]	من سلك طريقاً يطلب فيه علماً	٥٩٥
[٧٩]	من سن في الإسلام سنة حسنة	١١١
[٨٠]	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٢٤
[٨١]	من قعدت أو كلمه نحوها منكن في بيتها	٣٥٤
[٨٢]	من كان على ما أنا عليه وأصحابي	٥٢٥
[٨٣]	من لزم الاستغفار	٦١٣
[٨٤]	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو	٤٦٩
[٨٥]	نحن معاشر الأنبياء أولاد علات	٤٣١
[٨٦]	نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة	١٥٦
[٨٧]	هو الطهور ماؤه الحل ميتته	٨٧
[٨٨]	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه	١٢١
[٨٩]	فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة	٥٢٤
[٩٠]	وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين	٥٢٥

م	الحديث	التكرار
[٩١]	ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً	٢٣٩
[٩٢]	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي	٣١٩
[٩٣]	ومن يتعفف يعفه الله	٤٩٢
[٩٤]	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة	٤٦٠
[٩٥]	يا معشر النساء تصدقن	٣٤٠
[٩٦]	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	٤١٣
[٩٧]	يرحم الله موسى ليس الخبر كالمعاينة	١٨١
[٩٨]	يقول أحدكم قد طلقتم قد راجعت	٣٤٧
[٩٩]	يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء	٣٧٥

فهرس الآثار

الأثر	القائل	التكرار
[١] اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين	عمر بن الخطاب	٥٢١
[٢] آثرنا الدنيا على الآخرة لأننا رأينا زيتها	ابن مسعود	٦٠٠
[٣] إذا رأيت الرجل يتقصص أحداً	أبو زرعة الرازي	٢٧٣
[٤] أما السابق بالخيرات فقد مضى على عهد رسول الله	عائشة	٦٠٠
[٥] أمر الله المؤمنين بالجماعة	ابن عباس	٣٨١
[٦] إن الشاب فيه تسعة أخلاق حسنة	عمر بن الخطاب	٥٠٢
[٧] إن العلم ليس بكثرة الرواية	مالك	٥٠٨
[٨] إن ذل البدعة على أكتافهم	الحسن البصري	٣٢٧
[٩] إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد	سعيد بن المسيب	٦٦٠
[١٠] إن لكم على الوالي من ذلك	عمر بن عبدالعزيز	٥١٥
[١١] إنه ليقع قلبي النكتة (كلمه الحق)	أبو سليمان الداراني	١٠٩
[١٢] جاهد الكفار بالسيف وأغلظ على المنافقين بالكلام	الضحاك	٥٤٥
[١٣] حدثوا الناس بما يعرفون	علي بن أبي طالب	٧٤٥
[١٤] الحكمة خشية الله	أبو العالية	٦٢٨
[١٥] الحكمة هي الفقه في دين الله	مالك	٦٢٨
[١٦] رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا	الشافعي	٢٩٢
[١٧] الشعر ديوان العرب	ابن عباس	٢٠٠
[١٨] عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله	عمر بن الخطاب	٥١٥
[١٩] علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة	الجنيد بن محمد	١٠٩
[٢٠] فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك	عبادة بن الصامت	٥١٤

الأثر	القائل	التكرار
[٢١] كل صاحب بدعة ذليل	سفيان بن عيينه	٣٢٧
[٢٢] لا إسلام إلا بطاعة	أبو الدرداء	٥١٥
[٢٣] لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً	قتادة	٧٤٦
[٢٤] لا كبيرة مع الاستغفار	ابن عباس	٦٠٩
[٢٥] لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني	ابن مسعود	٦٦٧
[٢٦] لو تمألاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم	عمر بن الخطاب	٢٨٨
[٢٧] ليس العلم عن كثرة الحديث	ابن مسعود	٥٩٦
[٢٨] ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس	ابن سيرين	١٦٣
[٢٩] من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض	أبو العالية	٣١٥
[٣٠] من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود	سفيان بن عيينه	٥٠٧
[٣١] من كان متأسياً فليتأسى بأصحاب رسول الله	عبدالله بن مسعود	٢٨٤
[٣٢] المنافق إن صلى رأى وإن فاتته لم ييأس	الحسن البصري	٥٤١
[٣٣] المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها	زيد بن أسلم	٥٤١
[٣٤] الناس يخلقون على أديان شتى	الحسن البصري	٣٧٢
[٣٥] نعمت البدعة هذه	عمر بن الخطاب	٥٢٤
[٣٦] هذا حبيب الله هذا ولي الله	الحسن البصري	١٠٣
[٣٧] والله لو منعوني عقلاً	أبو بكر	٤٥٨
[٣٨] يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان	ابن عباس	٥٤١

فهرس الأعلام المترجم له

م	العلم	التكرار
	[١]	
٢٠٨	[١] إبراهيم بن سري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ)	
٤٢	[٢] إبراهيم بن عبدالرحمن بن ضياء الفزاري ابن الفرکاح (٧٢٩هـ)	
٣٤	[٣] إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ)	
١٦١	[٤] إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)	
٦٢٨	[٥] إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (٩٦هـ)	
٣٥٥	[٦] أبو أسيد الساعدي (٤٠هـ)	
٥٣٠	[٧] أبوبكر بن سالم الأسدي (١٩٣هـ)	
٢٩٠	[٨] أبو السنابل بن بعكك	
٢٦٩	[٩] أبو سلمة بن عبدالأسد (٣هـ)	
٢٦٧	[١٠] أبي بن كعب بن قيس (٢١هـ)	
٤٢	[١١] أحمد بن أبي طالب بن نعمه الصالحي ابن الشحنة (٧٣٠هـ)	
٧٢	[١٢] أحمد بن الحسين بن علي أبوبكر البيهقي (٤٥٨هـ)	
٦٣٦	[١٣] أحمد بن العدل عماد الدين بن صصري (٧٢٣هـ)	
٧٠	[١٤] أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان النسائي (٣٠٣هـ)	
٥٠٨	[١٥] أحمد بن صالح المصري (٢٤٨هـ)	
٤٣	[١٦] أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني ابن تيمية (٧٢٨هـ)	
٧٣	[١٧] أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلی أبو يعلى (٢٢٧هـ)	
٢٧١	[١٨] أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب (٤٦٣هـ)	
٤٥	[١٩] أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)	

م	العلم	التكرار
[٢٠]	أحمد بن عمرو بن عبدالحق أبو بكر البزار (٢٩٢هـ)	٧٢
[٢١]	أحمد بن فارس الشدياق (١٣٠٤هـ)	٢٢٣
[٢٢]	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٩٥هـ)	١٦٨
[٢٣]	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)	٧٢
[٢٤]	أحمد بن محمد بن سلام الأزدي أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ)	٢٧٣
[٢٥]	أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (٤١٠هـ)	٦٩
[٢٦]	أحمد ديدات (٢٠٠٥م)	٤٢٨
[٢٧]	أحمد بن أيوب (٧٩٤)	٣٨٦
[٢٨]	أرسطو (٣٢١ق.م)	٢٣٥
[٢٩]	أسامه بن زيد بن حارثة بن شراحيل (٥٤هـ)	٣٥٢
[٣٠]	إسحاق بن إبراهيم بن غلغل بن راهويه (٢٣٨هـ)	٣٠١
[٣١]	إسحاق بن يحيى بن إسحاق الأمدي (٧٢٥هـ)	٧٤٢
[٣٢]	إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)	٧٥
[٣٣]	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (١٢٨هـ)	٧٨
[٣٤]	إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني (٥٣٥هـ)	٧٤
[٣٥]	أكنم بن صيفي (٥٩هـ)	٤٨٤
[٣٦]	امرئ القيس بن حجر الكندي (٨٠ق.هـ)	٢٠٥
[٣٧]	أمية بن عبدالله بن أبي الصلت (٥٥هـ)	٢١٤
[٣٨]	أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)	٦٣٤
[ب]		
[٣٩]	البراء بن عازب (٧١هـ)	٤٣٧
[٤٠]	بلال بن رباح الحبشي (٢٠هـ)	٥٢٩
[ج]		
[٤١]	جابر بن سمرة السوائي (٧٤هـ)	٥٣٥

م	العلم	التكرار
[٤٢]	جابر بن عبد الله (٧٨هـ)	٢٣٩
[٤٣]	جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي (٥٤هـ)	٢٠٥
[٤٤]	جرير بن عطية بن حذيفة التميمي (١١٠هـ)	٢٠٥
[٤٥]	جلال الدين خوارزم (٦٢٠هـ)	٣٩٨
[٤٦]	جمال الدين بن محمد بن قاسم القاسمي (١٣٣٢هـ)	٨٧
[٤٧]	الجنيد بن محمد بن الجنيد (٢٩٧هـ)	١٠٩
[٤٧]	جنادة بن أمية الأزدي الأوسي (٨٠هـ)	٥١٤
[٤٨]	جنكيز خان	٣١٨

[ج]

[٤٩]	حاطب بن أبي بلتعة (٣٠هـ)	١٢٠
[٥٠]	الحجاج بن يوسف الثقفي (٩٥هـ)	٥٧٧
[٥١]	حجي بن أحمد بن حجي (٨١٦هـ)	٥١
[٥٢]	حذيفة بن حسل بن يمان العبسي	٢٨٩
[٥٣]	حرقوص بن زهير ذو الخويصرة (٣٧هـ)	٥٢٥
[٥٤]	حسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (٧٧٩هـ)	٥٦
[٥٥]	الحسن بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٥١٠هـ)	٦٩
[٥٦]	الحسن بن يسار البصري (١١٠هـ)	٧٨
[٥٧]	الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ)	٥٣٧
[٥٨]	الحسين بن علي بن أبي طالب (٦١هـ)	٣٦٤
[٥٩]	الحسين بن محمد المفضل بن القاسم الأصفهاني (٥٠٢هـ)	١٥٣
[٦٠]	حفصة بنت عمر بن الخطاب (٤٥هـ)	٢٦٨
[٦١]	حممه بن أبي حممه	٢٦١

م	العلم	التكرار
	[خ]	
٢٦٩	[٦٢] خالد بن زيد بن كليب أبو موسى الأنصاري (٥٢هـ)	
٢٠٨	[٦٣] الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)	
	[ذ]	
٤٢	[٦٤] الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)	
	[ر]	
٢٢١	[٦٥] روبة بن عبدالله بن العجاج (١٤٥هـ)	
٣٦١	[٦٦] الربيع بن أنس البكري (١٣٩هـ)	
٤٧٥	[٦٧] ربيعة الرأي (١٣٦هـ)	
٣١٥	[٦٨] رفيع بن مهران البصري أبو العالية (٩٣هـ)	
٢٦٨	[٦٩] رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبه) (٤٤هـ)	
	[ز]	
١٢٠	[٧٠] الزبير بن العوام (٣٦هـ)	
٤٣٠	[٧١] زرادشت	
٢٠٣	[٧٢] زياد بن معاوية الضبي (١٨هـ)	
٢٢٤	[٧٣] زيد بن أسلم العدوي (١٣٦هـ)	
٢٦٧	[٧٤] زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي (٥٦هـ)	
	[س]	
٢٩٠	[٧٥] سبيعة الأسلمية	
٥٣	[٧٦] سعد الدين بن يوسف النواوي (٨٠٥هـ)	
٢٦٩	[٧٧] سعد بن أبي وقاص بن مالك (٥٥هـ)	
٢٩٠	[٧٨] سعد بن خولة	
٢٧٠	[٧٩] سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخزرجي (٧٤هـ)	

م	العلم	التكرار
[٨٠]	سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس (هـ) ٥٥	٢٧٧
[٨١]	سعيد بن المسيب المخزومي (هـ) ٩٤	٦١
[٨٢]	سعيد بن جبيرة الأسدي (هـ) ٩٥	٦١
[٨٣]	سعيد بن منصور المروزي (هـ) ٢٢٧	٧٢
[٨٤]	سفيان بن عيينه (هـ) ١٩٨	٣٢٨
[٨٥]	سفيان بن سعيد الثوري (هـ) ١٦١	٣٠١
[٨٦]	سلمان الفارسي (هـ) ٣٦	٢٦٨
[٨٧]	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (هـ) ٣٦٠	٧٢
[٨٨]	سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود (هـ) ٢٠٢	٧٠
[٨٩]	سليمان بن خلف القرطبي أبو الوليد الباجي (هـ) ٤٧٤	١٦٨
[٩٠]	سليمان بن مهران الأعمش (هـ) ١٤٨	٥٣٠
[٩١]	سمرة بن جندب الفزاري (هـ) ٦٠	٢٧٠
[٩٢]	سيبويه عمرو بن عثمان (هـ) ١٨٠	١٩٨
[٩٣]	سيف بن ذي يزن	٢٠١

[ش]

[٩٤]	شهر بن حوشب (هـ) ١٠٠	٥١٦
[٩٥]	شيبة بن عثمان بن أبي طلحة (هـ) ٥٩	٩١

[ص]

[٩٦]	صبيغ بن عسل	٤١٦
[٩٧]	صدي بن عجلان أبو أمامة الباهلي (هـ) ٨١	٥١٨
[٩٨]	صهيب بن سنان بن مالك (هـ) ٣٨	٥٢٩

م	العلم	التكرار
---	-------	---------

[ض]

- ٢٢٠ [٩٩] الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ)
 ٢٦١ [١٠٠] ضمام بن ثعلبة

[ط]

- ٦٤٦ [١٠١] طاهر بن عبدالحسن بن عمر بن حبيب (٨٠٨هـ)
 ٣٤٤ [١٠٢] طاووس بن كيسان (١٠٦هـ)
 ٣٦٥ [١٠٣] طلحة بن عبيد الله التيمي (٣٦هـ)

[ع]

- ٢٦٧ [١٠٤] عائشة بنت أبي بكر (٥٨هـ)
 ٣٨٣ [١٠٥] عبادة بن قيس (٣٤هـ)
 ٣٠٧ [١٠٦] العباس بن عبدالمطلب بن عبدمناف (٣٢هـ)
 ١٦٩ [١٠٧] عبدالجبار بن أحمد القاضي (٤١٥هـ)
 ٦٩ [١٠٨] عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)
 ١٩٨ [١٠٩] عبد الحميد بن عبد الحميد الأخفش (١٧٧هـ)
 ٤٤ [١١٠] عبدالحفي بن أحمد بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)
 ٣٨٦ [١١١] عبدالدائم الدواليبي (٧٢١هـ)
 ٣٣ [١١٢] عبد الرحمن بن إبراهيم تاج الدين الفزاري (٦٩٠هـ)
 ٦٠ [١١٣] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)
 ١٤٤ [١١٤] عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٥٩هـ)
 ١٠٩ [١١٥] عبد الرحمن بن عطية أبو سليمان الداراني (٢١٥هـ)
 ٣٠١ [١١٦] عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي (١٥٧هـ)
 ٢٧٠ [١١٧] عبد الرحمن بن عوف (٣٢هـ)
 ٦٩ [١١٨] عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)

م	العلم	التكرار
١١٩	عبدالرحمن بن هرمز الأعرج (١١٧هـ)	٢١٢
١٢٠	عبدالرحيم بن الحسين العراقي (٥٠٨هـ)	٢٥٨
١٢١	عبدالرزاق بن نعمان بن نافع الحميري (٢١١هـ)	٧٣
١٢٢	عبدالسلام بن محمد الجبائي (٣٢١هـ)	١٩٢
١٢٣	عبدالسيد بن محمد أبو نصر الصباغ (٤٧٧هـ)	٧٥
١٢٤	عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الرافعي (٦٢٣هـ)	٧٤
١٢٥	عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي	٢٧٤
١٢٦	عبدالله بن الزبير بن العوام (٧٣هـ)	٢٦٧
١٢٧	عبدالله بن حبيب أبو عبدالرحمن السلمي (٧٤هـ)	٥٣٠
١٢٨	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب (٦٨هـ)	٨٢
١٢٩	عبدالله بن عمر بن الخطاب (٦٥هـ)	٢٦٩
١٣٠	عبدالله بن عمرو بن العاص (٦٥هـ)	٢٦٩
١٣١	عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري (٤٤هـ)	٢٦٢
١٣٢	عبدالله بن قيس بن أم مكتوم (٢٣هـ)	٢٥٦
١٣٣	عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)	٧٣
١٣٤	عبدالله بن مسعود (٣٢هـ)	٢٧٩
١٣٥	عبدالمملك بن عبدالله أبو المعالي الجويني (٧٤٨هـ)	١٦٨
١٣٦	عبدالمملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ)	١٤٠
١٣٧	عبدالوهاب بن علي تاج الدين السبكي (٧٧١هـ)	٣٧١
١٣٨	عبدمناف بن عبدالمطلب أبو طالب (٣ق هـ)	٢٢٥
١٣٩	عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ)	٢٧٣
١٤٠	عبيدالله بن عمر بن الخطاب (٣٧هـ)	٩٢

م	العلم	التكرار
[١٤١]	عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)	١٩١
[١٤٢]	عثمان بن طلحة العبدي (٤٤٢هـ)	٩١
[١٤٣]	عثمان بن عبدالرحمن بن الصلاح (٦٤٣هـ)	٢٥٦
[١٤٤]	عثمان بن عمر بن يونس بن الحاجب (٦٤٦هـ)	٣٥
[١٤٥]	عرفجة بن عبدالله الثقفي	٦٠٠
[١٤٦]	عقبه بن مسلم	٥٩٩
[١٤٧]	عكاشه بن محسن (١٢هـ)	٢٦١
[١٤٨]	عكرمة بن عبدالله مولى ابن عباس (١٠٥هـ)	٢٨٧
[١٤٩]	علاء الدين بن محمد قلاوون (٧٤٦هـ)	٢٨
[١٥٠]	علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد بن حزم (٤٥٦هـ)	٣٦٣
[١٥١]	علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٥٧١هـ)	٧٣
[١٥٢]	علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ)	١٩٩
[١٥٣]	علي بن عبدالكافي بن علي السبكي (٧٥٦هـ)	٢٥٦
[١٥٤]	علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣٨٥هـ)	٧٢
[١٥٥]	علي بن عمر الداني (٧٢٧هـ)	٣٨٦
[١٥٦]	علي بن محمد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)	١٦٩
[١٥٧]	علي بن مخلوف النويري (٧١٨هـ)	٤٧
[١٥٨]	عمران بن حصين (٥٢هـ)	٥٣٦
[١٥٩]	عومر بن زيد بن قيس أبو الدرداء	٥١٨
[١٦٠]	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٥٤٢هـ)	٧٤
[١٦١]	عيسى بن عبدالرحمن بن المطعم (٧١٩هـ)	٧٤٢
[١٦٢]	عيسى بن ماهان أبو جعفر الرازي (١٦٠هـ)	٣٦١

[ق]

[١٦٣] القاسم بن محمد سلام الهروي أبو عبيد ٧٥

م	العلم	التكرار
١٦٤	القاسم محمد البرزاني	٤٣
١٦٥	قتادة بن دعامة الدوسي (١١٨هـ)	٣٦٦
١٦٦	قسطنطين	٣٨

[ك]

١٦٧	كعب بن مالك الأنصاري (٥٠هـ)	١٤٤
١٦٨	كعب بن مانع الحميري (٣٢هـ)	٣٦٨

[ل]

١٦٩	الليث بن سعد بن عبد الرحمن (١٧٥هـ)	٣٠١
-----	--	-----

[م]

١٧٠	مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)	٧١
١٧١	مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي	٣٥٥
١٧٢	مجاهد بن جبر (١٠٤هـ)	٧٨
١٧٣	محمد أسد (١٤١٢هـ)	٢٤٢
١٧٤	محمد الأمين محمد مختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ)	٨٩
١٧٥	محمد بن إبراهيم بن جماعه (٧٣٣هـ)	٢٥٧
١٧٦	محمد بن أبي بكر بن محمد بن ناصر الدين (٨٤٢هـ)	٥٧
١٧٧	محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)	٧٠
١٧٨	محمد بن أحمد بن أبي جمرة (٥٥٩هـ)	١٨٢
١٧٩	محمد بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤هـ)	٧٤٢
١٨٠	محمد أحمد الغزالي	٥٦٨
١٨١	محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)	٧٢
١٨٢	محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)	٧١

م	العلم	التكرار
[١٨٣]	محمد بن إسحاق بن يسار (١٥١هـ)	٣٧
[١٨٤]	محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)	٧٠
[١٨٥]	محمد بن الطيب محمد الباقلاني (٤٠٣هـ)	١٩٣
[١٨٦]	محمد بن بحر الأصفهاني (٣٢٢هـ)	٣٦٢
[١٨٧]	محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (٧٩٤هـ)	٥١
[١٨٨]	محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ)	٦٩
[١٨٩]	محمد بن جعفر بن فرغوش اللباد (٧٢٤هـ)	٣٤
[١٩٠]	محمد بن حبان بن أحمد (٣٥٤هـ)	٧١
[١٩١]	محمد بن الحسن بن فورك (٢٠٩هـ)	٢٣٦
[١٩٢]	محمد بن الحسين بن خلف الفراء (٤٥٨هـ)	١٤٣
[١٩٣]	محمد بن سيرين (١١٠هـ)	١٦٣
[١٩٤]	محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٩٠٢هـ	٢٥٥
[١٩٥]	محمد بن عبدالرحيم صفي الدين الهندي (٧١٥هـ)	٤٤
[١٩٦]	محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)	١٥٤
[١٩٧]	محمد بن عبدالله بن أبي زيد القيرواني	٢٧٤
[١٩٨]	محمد بن عبدالله بن حمدويه الحاكم (٤٠٥هـ)	٧١
[١٩٩]	محمد بن علي الحسيني (٧٦٥هـ)	٦٤٠
[٢٠٠]	محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)	٨٥
[٢٠١]	محمد بن علي بن أحمد الداودي (٩٤٥هـ)	٥٧
[٢٠٢]	محمد بن علي الحسيني (٧٤٥هـ)	٣٨٦
[٢٠٣]	محمد بن علي بن القاضي التهانوي (١١٥٨هـ)	١٦٧
[٢٠٤]	محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)	٤٧
[٢٠٥]	محمد بن عمر بن الحسن الرازي (٦٠٦هـ)	٦٩
[٢٠٦]	محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (٢٠٧هـ)	٧٣
[٢٠٧]	محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)	٧١

م	العلم	التكرار
[٢٠٨]	محمد بن كعب القرظي (١٠٨هـ)	٥١٦
[٢٠٩]	محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (٥٠٥هـ)	١٦٨
[٢١٠]	محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (٧٧٤هـ)	٦٤٣
[٢١١]	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود (٩٨٢هـ)	٩٠
[٢١٢]	محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٧٣هـ)	٧١
[٢١٣]	محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)	٣٣١
[٢١٤]	محمود بن أحمد بن موسى العيني (٨٥٥هـ)	٥٦٠
[٢١٥]	محمود بن عبدالله الألوسي (١٢٧٠هـ)	٩١
[٢١٦]	محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)	٦٩
[٢١٧]	مسروق بن الأجدع الوادعي (٦٣هـ)	٦١
[٢١٨]	مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)	٧٠
[٢١٩]	مصطفى عبدالله الحاجي خليفه (١٠٦٧هـ)	٦٦١
[٢٢٠]	معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري (١٨هـ)	٢٧٠
[٢٢١]	معاوية بن أبي سفيان (٦٠هـ)	٢٧٩
[٢٢٢]	معمر بن عبيدة بن المثنى أبو عبيدة (٢٠٩هـ)	٢٣٦
[٢٢٣]	منجك بن عبدالله بن سيف اليوسفي (٧٧٦هـ)	٣٢٣
[٢٢٤]	منصور بن محمد السمعاني (٤٨٩هـ)	٢٥٧
[٢٢٥]	ميمون بن قيس أعشى قيس (٧هـ)	٢٠٤

[ن]

[٢٢٦]	النعمان بن ثابت أبو حنيفة (١٥٠هـ)	٢٢٧
[٢٢٧]	نجم الدين بن حصري (٧٠٢هـ)	٦٣٣
[٢٢٨]	نعيم بن حماد الخزاعي (٢٨٨هـ)	٣٠٢

م	العلم	التكرار
	[هـ]	
٢٢٩	هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤٦٣هـ)	٧٤
٢٣٠	هشام بن عبد الملك الطيالسي (٢٢٧هـ)	٧٣
٢٣١	هشيم بن بشير أبي حازم (١٨٣هـ)	٢٢٥
٢٣٢	هند بنت أبي أمية أم سلمة (٦٢هـ)	٢٦٨
٢٣٣	هوزة بن علي الحنفي (٨هـ)	٥٢٣
	[و]	
٢٣٤	وائل بن حجر الحضرمي (٥٠هـ)	٢٥٨
٢٣٥	وكيع بن الجراح (١٩٧هـ)	٣٤٤
٢٣٦	وهب بن منبه (١١٤هـ)	٢٢٦
	[ي]	
٢٣٧	يحيى بن زياد بن منظور الفراء (٢٠٧هـ)	١٩٩
٢٣٨	يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)	٣٢
٢٣٩	يحيى بن وثاب (١٠٣هـ)	٥٣٠
٢٤٠	يزيد بن هارون (٢٠٦هـ)	٤٦٢
٢٤١	يوسف بن أيوب صلاح الدين (٥٨٩هـ)	٤٧١
٢٤٢	يوسف بن تغري بردي (٧٨٤هـ)	٣٥
٢٤٣	يوسف بن عبدالله القرطبي (٦٢٣هـ)	٧٤
٢٤٤	يونس بن علي الدبوسي (٧٢٩هـ)	٣٨٦
٢٤٥	يوسف عبدالرحمن المزري (٧٤٢هـ)	٤٢
٢٤٦	يوسف عبدالله التمري بن عبدالبر (٤٦٣هـ)	٧٤

فهرس المصادر والمراجع

[١]

- ١ الابتهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٠٤هـ.
- ٢ ابن كثير الدمشقي الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه، محمد الزحيلي، طبعة دار العلم بدمشق، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٣ ابن كثير ومنهجه في التفسير، إسماعيل عبدالعال مطبعة مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٤م.
- ٤ الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، طبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط ٣، ١٣٧٠هـ.
- ٥ الاجتهاد في طلب الجهاد، عماد الدين إسماعيل ابن كثير الدمشقي، حققه وعلق عليه عبدالله بن عبدالرحمن عسيلان، طبعة دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
- ٦ الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد بن حزم، تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- ٧ إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ٨ الأخلاق بين مدرستي السلفية والفلسفة، عبدالله بن محمد العمرو، طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٩ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد علي الشوكاني، طبعة دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ١٠ أزمة الحوار الديني، جمال سلطان، طبعة دار الصف بمصر، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١١ الإسلام لعصرنا، جعفر شيخ إدريس، طبعة المنتدى الإسلامي، لندن، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٢ الأسلوب النبوي في الدعوة، حمدان الهجاري، طبعة دار الهدى للطباعة القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ١٣ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل الموجود وعلي معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

- ١٤ أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي طبعة دار العلوم والحكمة، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ١٥ أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامية، وحدة الدراسات والبحوث، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٦ أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ١٧ الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي طبعة دار المعرفة بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ١٨ الأعلام، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ١٩ أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، راجعه طه عبدالرؤوف، طبعة دار الجليل، بيروت بدون تاريخ.
- ٢٠ الإمام ابن كثير سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتابه التاريخ، مسعود بن عبدالرحمن الندوي، طبعة دار ابن كثير بدمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٢١ إنباء الغمر بأنباء العمر، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبش، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.
- ٢٢ الإيمان باليوم الآخر، محمد بن إبراهيم الحمد، طبعة دار ابن خزيمة، الرياض ن ط٢، ١٤٢٣هـ.

[پ]

- ٢٣ الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، تأليف أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي بيح وأولاده، ط٣، ١٣٧٠هـ.
- ٢٤ البداية والنهاية للحافظ إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، طبعة دار هجر بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٢٥ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ.
- ٢٦ البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، طبعة دار المعرفة، ط٢، ١٣٩١م.
- ٢٧ بصائر دعوية، محمد أبو الفتح البيانوني، طبعة دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

[ت]

- ٢٨ تاريخ الممالك، عادل زيتون، المطبعة الجديدة بدمشق، ١٤٠١هـ.
- ٢٩ تأملات في العمل الإسلامي، محمد الدرويش طبعة مطابع البيان، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- ٣٠ تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، طبعة دار الشروق، ط٦، ١٩٨٠م.

- ٣١ تحقيق موقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، محمد أمزون، طبعة دار السلام بالقاهرة، ١٤٢٦هـ.
- ٣٢ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، طبعة مكتبة الكوثر، الرياض، ٢، ١٤١٥هـ.
- ٣٣ تذكرة الحفاظ للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، طبعة دار التراث العربي ببيروت، ١٩٥٨م.
- ٣٤ التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، طبعة دار الكتاب العربي، ٢، ١٤١٣هـ.
- ٣٥ تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين بن كثير طبعة عالم الكتب بالرياض، ٢، ١٣٨٢هـ.
- ٣٦ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة مؤسسة الرسالة، ١، ١٤٢٣هـ.
- ٣٧ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ٨، ١٤٢٤هـ.
- ٣٨ تكامل المعرفة عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
- ٣٩ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، إبراهيم الأبياري، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
- ٤٠ تهذيب لسان العرب، لأي الفضل جمال الدين بن منظور، تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف عبدالله علي مهنا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١، ١٤١٣هـ.
- ٤١ التوبة معناها وحقيقتها، صالح السدلان، طبعة دار الوطن، ٣، ١٤١٥هـ.

[٥]

- ٤٢ ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، طبعة مؤسسة الرسالة، ١، ١٣٩٨م.
- ٤٣ الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة أبي زيد القيرواني، صالح عبدالسميع الأزهرى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

[ج]

- ٤٤ جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٤٥ الجامع للبحوث والرسائل، عبدالرزاق البدر، طبعة دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

[ح]

- ٤٦ جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر، صلاح الصاوي، طبعة دار الصفوة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- ٤٧ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
- ٤٨ حضارة العرب، غوستاف لويون، نقله إلى العربية عادل زعتر، طبع بمطابع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٩م.
- ٤٩ حكم الإسلام في الاشتراكية، عبدالعزيز البدري، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- ٥٠ الحوار آدابه وضوابطه، يحيى زمزمي، طبعة دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٥١ حياة ابن كثير وكتابه تفسير القرآن العظيم، محمد عبدالله الفالح، طبعة مطبعة دار البيان، ١٤٢٥هـ.

[خ]

- ٥٢ خطط الشام، محمد علي كرد، نشر دار العلم للملايين بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ.

[د]

- ٥٣ الدارس في تاريخ المدارس، عبدالقادر النعيمي، طبعة الترقى، نشر المجتمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٦٧هـ.
- ٥٤ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.
- ٥٥ دراسات في علوم القرآن، زاهر عواض الألمي، مطبعة النرجس، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٥٦ دعوة الإسلام، سيد سابق، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

- ٥٧ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد علوش، طبعة دار الكتاب المصرية بالقاهرة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ٥٨ الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، محمد زين الهادي العرمابي، مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٥م.
- ٥٩ الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها، محمد خير رمضان يوسف، طبعة مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٧هـ.
- ٦٠ الدعوة الإسلامية والغزو الفكري، جعفر شيخ إدريس، من مطبوعات رابطة الشباب المسلم العربي، أمريكا، ١٩٨٧م.
- ٦١ الدعوة إلى الله، أ.د. حمد بن ناصر العمار، طبعة دار كنوز إشبيليا ١٤٢٥هـ.
- ٦٢ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث بالمملكة العربية السعودية ط ٣، ١٤٢٣هـ.
- ٦٣ دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية، صلاح مقبول أحمد، طبعة دار الأثير الكويت، ط ٢، ١٤١٦هـ.
- ٦٤ الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي، طبعة دار الوفاء، جدة، ١٤٠٧هـ.

[ذ]

- ٦٥ ذم تقديم العقل على النقل، بدر بن عبدالله البدر، طبعة مطابع دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٦٦ ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، للحافظ ابن أبي المحاسن الدمشقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.
- ٦٧ ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، مطبعة توفيق، مصر ١٣٤٧هـ.

[ر]

- ٦٨ الرأي العام، محمد بن عبدالله الخرعان، طبعة دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.
- ٦٩ الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، للحافظ محمد بن

- أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.
- ٧٠ الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٥٨هـ.
- ٧١ روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق عبدالكريم بن علي النملة، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط٧، ١٤٢٤هـ.
- ٧٢ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة القاهرة، عبدالرحمن بن ناصر سعدي، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٠هـ.

[س]

- ٧٣ السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٦هـ.
- ٧٤ سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٧٥ سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٧٦ سنن النسائي، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

[ش]

- ٧٧ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحفي بن العماد الحنبلي، طبعة القدس، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- ٧٨ شرح الصدور بتحريم رفع القبور، محمد علي الشوكاني، مطبعة العبيكان بالرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ٧٩ شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق عبدالله التركي، شعيب الأناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.
- ٨٠ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر القاسم الأنباري، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ٨١ شرح الكوكب المنير في أصول الفقه، محمد أحمد ابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، طبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ.

- ٨٢ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمري ابن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم الدين عبدالرحيم خلف، طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

[ص]

- ٨٣ الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٨٤ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، طبعة دار الصحوة الإسلامية، ١٤١١هـ.
- ٨٥ صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ.
- ٨٦ صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٨٧ صفات الداعية، محمد لطفي الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٣١٩هـ.

[ط]

- ٨٨ طبقات ابن سعد، طبعة دار صادر للطباعة، بيروت، بدون تاريخ.
- ٨٩ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، نشر مؤسسة دار الندوة الجديدة، بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٩٠ طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين بن علي الداودي، نشر مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٩٢هـ.
- ٩١ طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد أحمد فايز، الناشر الراية المتحدة، بيروت، ط ٦، ١٩٧٨م.

[ع]

- ٩٢ العقل، فهمي النجار، طبعة مطابع الحميضي، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٩٣ العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي عبدالله بن أحمد ابن عبدالهادي، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.
- ٩٤ العلم أصوله ومصادره، محمد عبدالله الخرعان، طبعة دار الوطن ١٤١٢هـ.

- ٩٥ علم النفس الدعوي، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة مطابع السودان للعملة المحدودة، بدون تاريخ.
- ٩٦ علوم القرآن والسنة، محمد اليحيائي وفالح الصغير طبعة دار إشبيليا، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٩٧ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد محمد شاكر، طبعة دار الوفاء ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٩٨ عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر، زكي علي السيد، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٤٢٨هـ.

[غ]

- ٩٩ الغلو في الدين، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ.

[ف]

- ١٠٠ فتاوى محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن ابن قاسم، طبعة مطابع الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.
- ١٠١ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١٠٢ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، طبعة دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤١٨هـ.
- ١٠٣ فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق وتعليق علي حسين علي، طبعة مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١١هـ.
- ١٠٤ فقه اللغة، محمد إبراهيم الحمد، طبعة دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٠٥ الفكر التربوي عند ابن تيمية، ماجد عرسان الكيلاني، طبعة مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٠٦ فن نشر الدعوة زماناً ومكاناً، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٧ الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

[ق]

- ١٠٨ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.
- ١٠٩ قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها، عبدالقادر هنادي، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١٠ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام، طبعة مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٠هـ.

١١١ قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري، مطابع ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٢ القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، طبعة مطابع المدينة، الرياض، ط١، بدون تاريخ.

[ك]

١١٣ الكفاية في علم الرواية، للإمام أحمد بن علي الخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

[ل]

١١٤ لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١١٥ لمعة الاعتقاد، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية بالملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.

[م]

١١٦ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ناصر العقل، طبعة دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١١٧ مجالات انتشار العلمانية، محمد زين الهادي العرماني، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٨م.

١١٨ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة دار عالم الكتب بالرياض ١٤٢٢هـ.

١١٩ محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبعة دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٢٠ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.

١٢١ المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوي، طبعة مؤسسة الرسالة دمشق، ط١، ١٤٢١هـ.

- ١٢٢ المدخل لدراسة الشريعة، عبدالكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة ط ١٠، ١٤٠٨هـ.
- ١٢٣ مذاهب الإسلاميين، عبدالرحمن بدوي طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩م.
- ١٢٤ مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، طبعة مكتبة كينه للنشر والتوزيع، دمنهور، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ١٢٥ المصباح المنير، أحمد محمد الفيومي المقرئ، طبعة مكتبة التبيان، ١٩٨٧م.
- ١٢٦ مع الله دراسة في الدعوة والداعية، الشيخ محمد الغزالي، الناشر المكتبة الإسلامية، ط ٥، ١٤٠١هـ.
- ١٢٧ المعالم الأثرية في السنة النبوية، محمد حسن شراب، طبعة دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- ١٢٨ المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملاؤه، طبعة المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
- ١٢٩ معجم محدثي الذهب المعجم المختص، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وعلق عليه روحية عبدالرحيم السويقي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ١٣٠ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٣١ المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها، عبدالله محمد القرني، طبعة دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ١٣٢ المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم، سمير جمجوم، طبعة دار المجتمع، جدة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ١٣٣ المغني، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ.
- ١٣٤ مفتاح دار السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٨هـ.
- ١٣٥ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، طبعة المكتبة العصرية، ١٤١١هـ.
- ١٣٦ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، عثمان بن عبدالرحمن بن الصلاح، منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٣٩٢هـ.

- ١٣٧ مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، نشر دار القرآن الكريم بالكويت ومؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ١٣٨ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، طبع الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ١٣٩ مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، طبعة دار إشبيلية، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٤٠ مناهج الحكم في الإسلام، محمد أسد، ترجمة منصور ماضي، مطبعة بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
- ١٤١ مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.
- ١٤٢ منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، عبدالله بن رشيد الحوشاني، طبعة دار إشبيلية، ط١، ١٤١٧هـ.
- ١٤٣ منهج ابن كثير في التفسير، سليمان بن إبراهيم الاحم، طبعة دار المسلم بالرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٤٤ منهج ابن كثير وموارده في المبتدأ والسيرة والراشدين من كتاب البداية والنهاية، شمس الدين محمد صديق، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- ١٤٥ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان ابن علي حسن، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٤٦ منهج التفكير العلمي في القرآن، خليل الحدري، طبعة دار عالم الفوائد، ط٥، ١٤٢٥هـ.
- ١٤٧ منهج التيسير المعاصر، دراسة تحليلية، عبدالله الطويل، طبعة دار الهدى النبوي، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٤٨ منهج الحياة الإسلام، محمد زين الهادي الرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ١٤٩ منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، عبدالحميد هنادي، طبعة دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٥٠ المنهج السلفي، تعريفه تاريخه مجالاته قواعده وخصائصه، مفرح بن سليمان القوسي، طبعة دار الفضيلة بالرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

- ١٥١ منهج العاملين في الدعوة، محمد زين الهادي العرماني، طبعة مركز الكتاب للنشر، عُمان، ١٩٩١م.
- ١٥٢ منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، عبدالله المعتاز، طبعة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ١٥٣ منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، سليمان بن قاسم العيد، طبعة دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٥٤ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف ابن تغري بردي، تحقيق محمد أمين و عبدالفتاح عاشور، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- ١٥٥ المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار المعروف بخط المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٥٦ الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، طبعة دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- ١٥٧ موجز التاريخ الإسلامي، أحمد معمور العسيري، طبعة مطابع الابتكار، الدمام، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ١٥٨ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل، طبعة دار الصميبي للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
- ١٥٩ موسوعة أعلام الفلسفة، روني إليي إلفا، طبعة دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٢هـ.
- ١٦٠ الموسوعة العربية العالمية، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ١٦١ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- ١٦٢ الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، مفرح سليمان القوسي، طبعة دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

[ن]

- ١٦٣ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٩هـ.
- ١٦٤ النحل والملل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

- ١٦٥ نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي، محمد زين الهادي العرمابي، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٨م.
- ١٦٦ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي، طبعة دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤هـ.
- ١٦٧ نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضمناتها التربوية، أحمد محمد الدغثي من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٦٨ هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي، طبعة دار الوراق، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ١٦٩ واقعنا المعاصر، محمد قطب، طبعة مؤسسة المدينة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ١٧٠ وسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، طبعة دار إشبيلية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٧١ وسائل الدعوة وأساليبها، حسين محمد عبدالمطلب، طبعة دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

تابع الفصل الأول

٤٢٥-٤٨١	منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله باعتبار الموضوع
٤٢٥	المطلب الرابع : منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالكتب
٤٢٨	المطلب الخامس : منهجه في الدعوة إلى الإيمان بالرسل
٤٣٦	المطلب السادس : منهجه في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر
٤٤٨	المطلب السابع : منهج ابن كثير في الدعوة إلى الإيمان بالقدر
٤٥٠	المبحث الثاني : منهجه في الدعوة إلى الشريعة
٤٥٢	المطلب الأول : منهجه في الدعوة إلى العبادات
٤٦٤	المطلب الثاني : منهجه في الدعوة إلى المعاملات
٤٦٧	المطلب الثالث : منهجه في الدعوة إلى الجهاد
٤٧٢	المطلب الرابع : منهجه في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧٨	المبحث الثالث : منهجه في الدعوة إلى الأخلاق
٤٧٩	المطلب الأول : أهمية الأخلاق في منظور ابن كثير
٤٨٢	المطلب الثاني : سمات التربية الأخلاقية عند ابن كثير

الفصل الثاني

٤٩٥-٥٦٢	منهج ابن كثير في دعوة الناس إلى الله
٤٩٧	المبحث الأول : منهجه في دعوة المسلمين
٤٩٧	المطلب الأول : منهجه في دعوة عامة الناس
٥٠٥	المطلب الثاني : منهجه في دعوة العلماء
٥١١	المطلب الثالث : منهجه في دعوة الولاة
٥٢٣	المطلب الرابع : منهجه في دعوة أهل البدع والمنكرات
٥٣٩	المطلب الخامس : منهجه في دعوة أهل النفاق

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: منهجه في دعوة غير المسلمين	٥٤٧
المطلب الأول: منهجه في دعوة أهل الكتاب	٥٤٧
المطلب الثاني: منهجه في دعوة المشركين	٥٥٤

الفصل الثالث

منهج ابن كثير في توجيه الدعوة	٥٦٣-٦١٦
المبحث الأول: التوجيه العلمي للداعية	٥٦٦
المطلب الأول: العلم بمضمون الدعوة	٥٦٦
المطلب الثاني: العلم بأساليب الدعوة ووسائلها	٥٦٨
المطلب الثالث: العلم بأحوال المدعوين	٥٧٣
المطلب الرابع: التوجيه للصفات الذاتية للداعية	٥٧٩
المبحث الثاني: التوجيه العملي للداعية	٥٨٨
المطلب الأول: التدريب على مهمات الدعوة	٥٨٨
المطلب الثاني: الحث على الاجتهاد في طلب العلم والعمل به	٥٩٣
المطلب الثالث: توجيه الداعية للتواضع	٥٩٧
المطلب الرابع: توجيه الداعية للترفع عن اللغو	٦٠١
المطلب الخامس: توجيه الداعية للقصد والاعتدال	٦٠٤
المطلب السادس: توجيه الداعية لاجتناب المواقف	٦٠٧
المطلب السابع: توجيه الداعية للمبادرة بالتوبة	٦١٠
المطلب الثامن: توجيه الداعية أن يكون قدوة حسنة	٦١٤

الفصل الرابع

استخدام ابن كثير لوسائل الدعوة وأساليبها	٦١٧-٦٧٢
المبحث الأول: تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما	٦٢٠

الصفحة	الموضوع
٦٢٧	المبحث الثاني: الأساليب في منهج ابن كثير
٦٢٧	المطلب الأول: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة
٦٣٤	المطلب الثاني: المجادلة والحوار والمناظرة
٦٤١	المطلب الثالث: التدريس والإفتاء
٦٤٩	المطلب الرابع: الاستدراكات والتعقيبات على غيره من العلماء
٦٥٦	المبحث الثالث: الوسائل في منهج ابن كثير
٦٥٦	المطلب الأول: الاتصال الشخصي
٦٥٩	المطلب الثاني: الرسائل الشخصية
٦٦٢	المطلب الثالث: الكتب والمؤلفات
٦٦٧	المطلب الرابع: الرحلات

الباب الثالث

٧٤٨-٦٧٢ الاستفادة من منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله

الفصل الأول

٦٩٤-٦٧٥ استفادة المدعو المعاصر من منهج ابن كثير

٦٧٧ المبحث الأول: واقع المدعو في العصر الحاضر

٦٨٣ المبحث الثاني: الطريقة التي يستفيد منها المدعو المعاصر من المنهج

الفصل الثاني

٧٤٨-٦٩٥ استفادة الداعية المعاصر من منهج ابن كثير

٦٩٧ المبحث الأول: نظرة إلى الداعية في العصر الحاضر

المبحث الثاني: الاستفادة من منهج ابن كثير في موضوع الدعوة في العصر

٧٠٢ الحاضر

٧١٠ المبحث الثالث: الاستفادة في فقه المدعو في العصر الحاضر

٧٢٣ المبحث الرابع: الاستفادة في كيفية الدعوة في العصر الحاضر

٧٣٧ المبحث الخامس: الاستفادة في مؤهلات الداعية في العصر الحاضر

الصفحة	الموضوع
٧٥٢-٧٤٩	الخاتمة
٧٥١	أولاً: النتائج
٧٥٢	ثانياً: التوصيات
٨٤٧-٧٥٣	الفهارس
٧٥٥	فهرس الآيات
٧٨١	فهرس الأحاديث
٧٨٦	فهرس الآثار
٧٨٨	فهرس الأعلام المترجم لها
٨٠٠	فهرس المصادر والمراجع
٨١٣	فهرس الموضوعات

من إصدارات

الصندوق الخيري لنشر البحوث والرسائل العلمية

- [١] بيع التقسيط وأحكامه (مجلد) سليمان بن تركي التركي
- [٢] أخذ المال على أعمال القرب (مجلدان) عادل بن شاهين شاهين
- [٣] الغش وأثره في العقود (مجلدان) د. عبدالله بن ناصر السلمي
- [٤] حماية البيئة والموارد الطبيعية فهد بن عبدالرحمن الحمودي
- [٥] أحاديث البيوع المنهي عنها؛ رواية ودراية (مجلد) خالد بن عبدالعزيز الباتلي
- [٦] أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة (مجلدان) ... د. مبارك بن سليمان آل سليمان
- [٧] ضوابط الثمن وتطبيقاته في عقد البيع (مجلد) سمير عبدالنور جاب الله
- [٨] أحكام الدين (دراسة حديثة فقهية) (مجلد) سليمان بن عبدالله القصير
- [٩] استيفاء الحقوق من غير قضاء (مجلد) د. فهد بن عبدالرحمن اليحيى
- [١٠] استثمار أموال الزكاة (مجلد) صالح بن محمد الفوزان
- [١١] المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد (مجلدان) ت. أ. د. عبدالله بن محمد المطلق
- [١٢] أحكام الرجوع في عقود المعاوضات المالية (مجلدان) د. فضل الرحيم محمد عثمان
- [١٣] تسليم المطلوبين بين الدول في الفقه الإسلامي (مجلد) زياد بن عابد المشوخي
- [١٤] أحكام نقل الأعضاء في الفقه الإسلامي (مجلدان) د. يوسف بن عبدالله الأحمد
- [١٥] الترتيب في العبادات في الفقه الإسلامي (مجلدان) د. عبدالله بن صالح الكنهل
- [١٦] الشرط الجزائي وأثره في العقود المعاصرة (مجلد) د. محمد بن عبدالعزيز اليماني
- [١٧] النسب ومدى تأثير المستجدات العلمية في إثباته (مجلد) د. سفيان بن عمر بورقعة
- [١٨] أحكام الهندسة الوراثية د. سعد بن عبد العزيز الشويرخ
- [١٩] أحكام لزوم العقد د. عبدالرحمن بن عثمان الجلعود
- [٢٠] كتاب التنبيه... لأبي الفضل السلمي حسين بن عبدالعزيز باناجه
- [٢١] القواعد والضوابط الفقهية في الضمان المالي د. حمد بن محمد الجابر الهاجري
- [٢٢] التدابير الواقية من انتكاسة المسلم سارة بنت عبدالرحمن الفارس
- [٢٣] شرح مشكل الوسيط، لابن الصلاح (ج ١+٢) د. عبدالمنعم خليفة أحمد بلال

- [٢٤] شرح مشكل الوسيط، لابن الصلاح (ج٣+٤) د. محمد بلال بن محمد أمين
- [٢٥] التحسين والتقييح العقليان وأثرهما في مسائل أصول الفقه د. عايض الشهراني
- [٢٦] الحاجة وأثرها في الأحكام د. أحمد بن عبدالرحمن الرشيد
- [٢٧] أحكام المعابد عبدالرحمن بن دخیل العصيمي
- [٢٨] دفع الدعوى الجزائية أثناء المحاكمة عبدالرحمن بن سليمان البلهي
- [٢٩] الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين د. سهل بن رفاع العتيبي
- [٣٠] أحكام التلقيح غير الطبيعي د. سعد بن عبدالعزيز الشويرخ
- [٣١] الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة د. علي بن سعيد العبيدي
- [٣٢] الانتخابات وأحكامها في الفقه الإسلامي فهد بن صالح العجلان
- [٣٣] آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية عجلان بن إبراهيم العجلان
- [٣٤] مسائل معاصرة مما تعم به البلوى في فقه العبادات نايف بن جمعان جريدان
- [٣٥] الشروط التعويضية في المعاملات المالية (ج١+٢) عياد بن عساف العنزي
- [٣٦] منهج ابن كثير في الدعوة إلى الله (ج١+٢) د. مبارك بن حمد الحامد الشريف
- [٣٧] الاحتساب على النساء في العصر النبوي وعصر الخلفاء د. الجوهرة بنت محمد العمراني

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة - نشر بواسطة مكتبة دار الفکر - بيروت - لبنان